نساء في
خدمة اللذة





مصباح محجوب

نساء
في خدمة اللذة



نساء
في خدمة اللذة

مصباح محجوب



ص.ب 113/5752

E-mail:arabdiffusion@hotmail.com
arabdiffusion@hotmail.co.uk

www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف:١٦٥٩١٤٨ -٩٦١ فاكس: ١٦٥٩١٥٠-٩٦١

ISBN 978-9953-476-28-5

الطبعة الأولى 2008

فهرس عناوين موضوعات المادة

الفصل الثاني

هل التناقض هو السمة الأساسية «التي تميّز تاريخنا»

الفصل الثالث

الفقه الإسلامي وأنواع المخلوقات

الإهداء

إلى زوجتي التي رافقتني رحلة العمر الطويلة.

إلى من اختصرت باختيارها كل النساء.

إلى مملكة الحياة.

مصباح محجوب

تعريف بالمادة

حديث عن الرسول (ص)

«إن النساء لُعَبٌ فمن اتخذ منكم لعبة فليستحسنها»

أما أبقراط فقال قبل حوالى ٢٤٠٠ سنة

«إن الاختلال الوظيفي الانتصابي سببه إجهاد العمل والنساء القبيحات»

إن هذه الدراسة تهدف إلى التبصّر والتفكير فيما يجري حولنا أو فيما نحن سائرون إليه لبيان فيما إذا كان من الخير أو من المفيد أو من العقل والمنطق في شيء أن نستمر في التطبيل والتزمير للقيم القديمة في العلن في الوقت الذي ننسفها من أساسها في السرّ.

مصباح

بقلم المؤلف

رغم ما عُرف عني من جرأة في التصدّي لموضوعات يعتبرها البعض خطرة وحساسة. فقد ترددت كثيراً قبل البدء في تأليف هذا الكتاب. (والذي محوره المرأة والجنس) لثقتي بان إعداده لن يكون بالأمر الهيّن أو اليسير خاصة وأن الموضوع الذي أنوي التطرق إليه شائك ويحتاج للكثير من الجهد والجرأة بدليل أن معظم الناس يتعامون عنه إما خوفاً أو جهلاً أو لمصلحة ما سواء علموا أم لم يعلموا.

أما مكمن الخطورة فيتجسد في واقعية الطرح وصراحته، الأمر الذي يتطلب استخدام العبارات الصريحة الواضحة، والمصطلحات العارية من أي تنميق تلك التي ابتكرها أهل اللغة لتؤدي وظيفتها المطلوبة وتخدم الهدف المنشود. هذا بالإضافة إلى الجرأة في معالجة مسائل تعدّها بعض الفئات المسلمة من المحظورات وفي مقدم هذه الفئات جماعات الخزعبلات الفكريّة السلفيّة، وتلك التي تدّعي الحرص على الإسلام فتتحدث باسم الدين وهم في الواقع أبعد ما يكون عن الفهم الحقيقي للخطاب الجنسي في الإسلام، فتقدم المعلومات من باب المراجع والفتاوى المفوّضة التي يمنع مناقشتها أو حتى محاولة تشريحها لفهمها من خلال العقل والمنطق ومسيرة التقدم العلمي والحضاري، منكرين أن الأخلاق بحدّ ذاتها تخضع للتطور التاريخي، فما كان شاذاً أو غريباً أو مرفوضاً في الماضي نراه وقد أصبح اليوم عادياً ومقبولاً ولا غبار عليه والعكس بالعكس. ومتعامين عن التغيير الذي أصاب مفهوم الخطاب الجنسي في الإسلام كما جاء في القرآن والأحاديث على يد الشعوب التي دخلت على الإسلام واجتهدت في تطويع بعض المفاهيم المسلمة الأصيلة بالعادات والأعراق السابقة على الإسلام والداخلة فيه بحيث بات من الصعب لدى العامة وربما الكثير من الخاصة أيضاً التمييز بين هذه وتلك.

أما النتيجة فكانت تدني مكانة المرأة العربية المسلمة عما قرّره كتاب اللّه

نتيجة الإصرار على الممارسات الاجتماعية المغلوطة التي بدأ يراها البعض متفقة والتعاليم الدينيّة لسبب أو لآخر.

وبالعودة إلى موضوع الكتاب نقول إن ما سيجده القارىء من صراحة (نعلم سلفاً أنها مرفوضة من البعض) القول في هذا الكتاب إنما تهدف بالدرجة الأولى إلى نشر العلم والمعرفة بواقعيّة وتجرّد، وليس إلى إثارة الشهوة الجنسية ولا التعرّض لتراث أمّة تقلّبت بها الأيام من ازدهار إلى انحطاط.

قد يقول البعض وَلِمَ هذا الاهتمام بموضوع العملية الجنسية (النكاح) وهي التي لا تستغرق من وقت أكثرية الرجال (خاصة الأزواج) سوى القليل ونحن نقول نعم هو كذلك طالما أنهم يتعاملون مع جسد المرأة (الزوجة) على أنه مجرّد مكبٍّ لما في ذكر الرجل من مني فائض يزعجه ويسبب له التوتر. وفات هؤلاء أن هذا الوقت القليل الذي يصرفونه في سرير الزوجيّة على الرغم من قلته زمنياً إلّا أنه في منتهى الخطورة لأن العملية الجنسية هي بمثابة النَفس الداخل إلى رئتي الرجل والذي بدونه تنقطع الحياة. وحتى وإن استمر فإنه يستمر جسداً مليئاً بالعلل والأمراض والعقد النفسيّة ما يمنعه من لعب دور إيجابي في حياة الأسرة وبالتالي فكل البناء الذي تنشئه يداه سرعان ما يهوي ويتحطم وتتشرد أجزاؤه أو مكوناته.

أخيراً لو لم يكن موضوع الجنس هاماً وخطيراً لما قد ينتج عنه من مفاعيل هدّامة للفرد وللأسرة وبالتالي للمجتمع لما ذكره القرآن في أكثر من آية بشكل مباشر وصريح ولما تعرّض له الرسول ﷺ في أحاديثه الكثيرة دون خجل. هذا من ناحية وأما من الناحية الثانية فلولا أهميّة الموضوع لما تناوله علماء النفس - وعلماء الاجتماع والفيزيولوجيا وكتبوا ما كتبوا على المستوى العلمي دون أن يقولوا انتهينا بل إنهم لا زالوا يعتبرون هذه القضية معضلة معقدة تحتاج إلى المزيد من الفهم المعمّق وإلى تشريعات أفضل.

أما على المستوى الإسلامي «التراث الفكري الثقافي»، فقد تصدى عشرات العلماء والفقهاء والباحثين لهذا الموضوع وتركوا لنا عشرات الآلاف من الكتب والرسائل في هذا الموضوع الذي تناولوه بصراحة شجاعة، وبموضوعيّة من أمثال: العلّامة جلال الدين السيوطي، وعبد اللّه بن نصر بن عبد اللّه الشيرازي، وأبو الفضل أحمد بن أبي الطاهر المعروف باسم (ابن طيفور)، ومحمد بن أحمد

التيجاني، وأبو عبد اللّه بن شمس الدين الذهبي، وأبو عبد اللّه محمد النفزاوي، وأبو الفرج بن الجوزي، وأبو الفرج الأصبهاني، وغيرهم من العلماء والشعراء.

ولعلَّ من المفيد أن نورد ما ورد على لسان السيد المسيح باعتباره أول القائلين الموثق له «قيل إن جماعة من أصحابه كانوا يرجمون مريم المجدليّة بتهمة الزنى فانكب عنها حامياً جسدها من الحجارة والتفت إلى الراجمين قائلاً: من كان منكم بلا خطيئة فليرجمني»[1].

(١) لا شك أن المسيح يعني بقوله هذا أن لكل إنسان دون استثناء خطيئة وإذا أنكرها أصحابه على أنفسهم فالمسيح يقرُّ بها على نفسه ـ والمقصود بالخطيئة هنا ـ الزلات الغريزية.

تكلُّف الأدب وتصنّع الخجل

بعض الناس إذا انتهى إلى ذكر الحِر أو الأرب أو الأداف والنكح والنكاح ارتدع وأظهر التعزز ـ واستعمل باب التورع. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجلٌ ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار إلّا بقدر هذا الشكل من التصنع والتكلّف.

أقوال في المرأة...

«لا تشدد الرقابة على النساء لأن مكرهنّ سيجعلهن يبتكرن خدعاً تجلب المصائب».

«لا تقتصر قدرة المرأة على تضليل الأحمق عن جادة الصواب وسواء السبيل بل لها القدرة أيضاً على تضليل الحكيم. تمسك بزمامه وتخضعه لشهواته أو غضبه».

وقال بوذا رداً على سؤال لتلميذه المفضّل أناندا:

«ما هو السلوك الذي ينبغي لنا أن نسلكه تجاه النساء؟ أجاب بوذا كما لو أنك لم ترهنَّ!! فقال أناندا... لكن ماذا نصنع لو تحتمت علينا رؤيتهن؟».

فقال بوذا... كن منهن على حذر يا أناندا!؟

لكن يبقى أن نذكر أنه في أحضان الحبيبة ينسى الرجل العالم بأجمعه...

وتبقى وصيتي ورجائي.

«لا تضربوا النساء حتى ولو بزهرة.... فأمهاتنا نساء».

تمهيد

يتكشّف للمنقّب في صفحات التاريخ أن المرأة قديماً عاشت ردحاً طويلاً من الزمن عبدة وخادمة وآلة فعّالة على كل الأصعدة مغلوبة على أمرها مهضومة الحقوق منغلقة على نفسها خاضعة بشكل مطلق لمعاملة الغير لها كسلعة تباع لمن يضع السعر المناسب لها.

«فعند اليونان مثلاً اعتبرت المرأة رجساً من الشيطان وهي تحمل خطيئة أمها حواء في زعمهم. لذا اعتبرت المرأة اليونانية من سقط المتاع، يمتلكها الأب أو الأخ أو الزوج حتى أنه مسموح لهؤلاء بيعها في الأسواق، فهي مهدورة الحرية والكرامة، محرومة من حق التملّك والإرث.

أما عند العرب وفي مرحلة الجاهلية الأولى «حيث يبدو أننا نعيش اليوم مرحلة الجاهلية الثانية» وبالعودة إلى الجاهليّة الأولى نجد أن المرأة كانت محرومة من حقوقها وتعتبر متاعاً رخيصاً مهملاً، حتى أن العرب اشتهروا بوأد البنات وذلك تجنباً للعار والسبي والفضيحة. وعندما جاء الإسلام أعطى المرأة وعوداً كثيرة بالحرية والحقوق والمساواة. ولكن ذلك لم يتحقق بسبب القائمين على قيادة المجتمع الإسلامي والتحكم بأفراده ذكوراً وإناثاً. وسنتعرض لهذه الإشكالية لاحقاً وبشكل واضح ودقيق. أما عن وضع المرأة في إنجلترا، فكان القانون البروتستانتي حتى العام سنة ١٨٠٥م يبيح بيع الزوجات حتى أنه حدّد سعر بيع الزوجة بست بنسات أي ما يعادل نصف شلنج.

أما في فرنسا ورغم ادعاء الثورة الفرنسيّة بأنها حررت المرأة إلّا أنها اعتبرتها قاصراً ليس لها أهلية التعاقد دون رضا وليّها إن كانت غير متزوجة. فقد جاء في نص القانون أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة. وقد استمر هذا القانون حتى العام سنة ١٩٣٨م حيث تمّ إلغاؤه. وفي ظل هذا كله باتت المرأة كحيوان فقد جماح سيطرته الذاتيّة فانقاد طوعاً ودون إرادة منه إلى مصيره وقدره مسلماً رقبته إلى

جلّاده يفعل به ما يشاء حسب أهوائه وحاجاته الشخصية والغريزيّة الحيوانية والشهوانية اللاإنسانية المتسمة بالتحقير. وقد فضح التاريخ القديم، والحديث السلوك اليهودي البشع في هذا المجال لأن رجالات اليهود مارسوا ما لا يُمارس مع النساء - نسائهم - لا فرق بين زوجة وأم أو أخت أو خالة أو حتى ابنة، ومن يطالع كتاب عاهرات مقدسات لمؤلفه مصباح محجوب والصادر عن دار الريّس للطباعة والنشر يكتشف ما يشيب له شعر الولدان كما يقولون.

وبالعودة إلى المرأة وبسبب هذا الوضع التعس والحرمان الطويل الذي عانته منذ القديم تولّد عندها كمٌّ هائل من الكبت والإحباط والحرمان المصحوب ببركان الغضب مع الخوف والقلق والشك وعدم الإرادة والاستقرار والقدرة على الاستيعاب لكل هذا الذي يجري من حولها دفعة واحدة حيث إن عقلها أشبه ما يكون بالخام إلى جانب الخضوع والذلّ لأول بادرة صادفتها عند أول تجاربها الحياتيّة مما ولّد عندها الصراع النفسي وكذلك اضطراب حالاتها الجسديّة والنفسيّة والعقلية مما دفع البعض منهنّ إلى الانهيار والجنون مع النقص الذاتي والشذوذ الجنسي على جميع أشكاله وأنواعه.

من هذا المصير وعدم الاستقرار ظهر عند المرأة الانحراف الخلقي والديني والفساد العام الذي نشأت آثاره في انحراف المجتمع وتطوراته وتقاليده دون تبصّر ولا تحقق ولا رويّة لما قد تجلبه على نفسها وعلى الأسرة والمجتمع من انحلال خلقي وديني.

ولأن المرأة بطبيعة الحال (كإنسان) مخلوق ضعيف أمام زخارف الدنيا ومباهجها بأنوارها الخلابة ضاعت في متاهات الحياة تعبُّ منها كيفما يحلو لها دون رادع خلقي أو وازع ديني أو راعٍ يرعاها، ضاربة بكل القيم الروحية والإنسانية عرض الحائط، تصارع كل من يقف فيِ طريقها أو يشكّل سداً أمام إشباع رغباتها المكبوتة.

وعليه يمكن القول إن الرجل لم يبتكر اضطهاد المرأة تماماً بالقدر الذي لم تبتكر فيه المرأة عبوديتها - فمن المعلوم أن توثيق المرأة بالحلي والجواهر والمال تحت اسم المهر المقدّم والمؤخر والعناية الخاصة قد أصبح امتيازاً للمرأة على الرجل.

الفصل الأول

الحيّة وحواء

في رأينا أن بين الحيّة وحوّاء تلازماً وثيقاً وحياة مشتقة من جذر واحد؟ لماذا؟ . . .

لأن الحيّة ارتبطت بالشر منذ القديم القديم، منذ الديانات المصرية الضاربة في الأزمان السحيقة. فالإلهة ساتي إلهة الفيضان المدمّر والعالم السفلي تحيطها وتقع على رأسها حيّة، ومن أسمائها الأخرى ستيت وهو اسم نهر في شرقي أفريقيا، وقد تحوَّل الاسم في ديانة أوزيريس في معادلة الذكوري إلى ساتا إله الشرّ والظلام والذي انتصر عليه حورس وكبّله بالأغلال وهي الصورة التي تتكرر للشيطان في النصوص التوحيدية المقدسة. ثم ارتبط ساتا بالخنزير الذي اختفى فيه حسب الديانة الأوزيريسيّة ولهذا أعلن رئيس مجلس الأرباب رع أن الخنزير حيوان نجس وقذر ومكروه.

وفي هذا المجال يروي المؤرخ هيرودوتس أن المصري القديم إذا لامس الخنزير ثيابه مصادفة قذف بنفسه في النهر ليتطهر.

ثم حمل اليهود اسم «ساتا» معهم إلى شرق المتوسط والجزيرة العربية حيث لحق بالاسم صفة «أن» وتعني السيد في اللغة الآكدية فأصبحت «ساتان» وهو نطقها بالإنكليزية اليوم «Satan» ثم تحوّلت «ساتان» في الحلوق (جمع حلق) إلى شيطان نظراً لاستخدام اليهود للحرف «ش» بدلاً من «سين».

وهكذا أصبح بالعبرية يعني «الفريم» أو «الواشي» وتبين لنا الرسوم والمصورات والنماذج المسرحية في عصرنا الحالي تاريخ إله الشرّ المستمد منه، «فالشيطان»

يصوّر كجسد إنسان برأس حيوان له قرون وحوافر وذنب وتستبدل أحياناً القرون بأذنين ضخمتين على هيئة قرون ويطغى عليه اللون الأحمر المستمد من ملكه الصحراوي الملدوغ بحرّ شمس الظهيرة بحسب ديانة الإلهة «رع».

وعليه يمكن القول إن أول ارتباط للحيّة بالشرّ جاء في النصوص الأولى «للتوراة» فهي التي أوعزت لآدم وحواء بأكل ثمار الشجرة المحرّمة. وكانت الحيّة أكثر حيلة جميع حيوانات البرية التي خلقها الرب الإله. فقالت للمرأة: أحقاً قال اللّه لا تأكلا من كل شجر الجنّة؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة، فقال اللّه لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا، بل اللّه عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كاللّه عارفين الخير والشر[١].

وفي ذات النقطة جاء في القرآن الكريم أن الشيطان هو من أوعز لآدم وحوّاء بالأكل من الشجرة المحرّمة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[٢].

وفي محاولة تفسير توفيقي اجتهد فيها «الطبري» بشأن الحيّة والشيطان لمّا أسكن اللّه آدم وزوجه الجنة ونهاهما عن الشجرة أراد إبليس أن يستزلهما فدخل في جوف الحيّة ـ فلمّا دخلت الحيّة الجنّة خرج من جوفها إبليس. ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى ما جاء في كتاب الوشاح لابن الحاج المالكي من أقوال ووصايا أرجعها إلى النبي (محمد) ﷺ حول حواء والشيطان.

فقد أخرج ابن أبي شيبة والترمذي ومسلم عن جابر أن رسول اللّه ﷺ رأى امرأة فأعجبته فأتى زينب وقضى حاجته منها ثم قال:

«إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان. فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأتِ أهله فإن ذلك يردُ ما في نفسه».

وأخرج أحمد وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي كبشة مولى رسول اللّه ﷺ قال:

---

(١) سفر التكوين، ٣: ١ ـ ٥.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٠ ـ ١٢١.

بينما رسول اللّه جالس إذ مرّت به امرأة فقام إلى أهله ثم خرج إلينا ورأسه يقطر ماءً. فقلت يا رسول اللّه كأنه قد كان شيء قال نعم مرّت بي فلانة فوقعت في نفسي شهوة النساء فقمت إلى بعض أهلي فأصبتها (نكحتها). فكذلك فافعلوا، فإن من أماثل أعمالكم إتيان الحلال.

وبالعودة إلى اليهود يشير الباحثون في هذا الميدان أن اليهود عبدوا الحيّة بعد وفاة «موسى» وكانوا يوقدون لها ودعوها «نحشتان» (سفر الملوك الثاني ١٨ : ٤) أيضاً يشير الباحثون أن العديد من الشعوب القديمة عبدت الحيّة رهبة، فحيّة «المامبا» كانت ربّاً يُقَدّس على طول الشريط الممتد من «غانا» وعند الإيبو والألور في زائير، حتى الشرق الإفريقي. وما زالت عبادة الشيطان المنتشرة حتى الآن في أمريكا وأوروبا مرتبطة «بالحيّات». إضافة إلى أن الحيّة منذ عصور ما قبل التاريخ ارتبطت بالموت واللعنة وأطلقوا على إله الشرّ ذاته اسم «إبليس» وهي اختصار للأصل اليوناني «ديا ـ بليس». الذي صار علماً على ملاك الموت زعيم الهاوية السفلى التي كان اليهود يعتقدون أنها مصير جميع الموتى صالحاً وطالحاً[1]. إذ إن اليهود اعتبروا الموت أعظم شرّ يمكن أن يصيب الإنسان ـ لذلك فملاك الموت أو الشيطان اليهودي زعيم الهاوية اعتبر لديهم إلهاً للشر.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى الحيّة وما تعنيه في الديانة المسيحيّة حيث يكتمل مفهوم الشيطان كشخصية متكاملة أُنزلت من عليائها الإلهي إلى مجرد ملاك تمرّد على خالقه، فكان سبباً لإنزال آدم وحوّاء من الجنّة، وأصل الخطيئة وسببها، ويستمد الشيطان جذوره من الحيّة. وبحسب الديانة المسيحيّة، فالحيّة لم تكن سوى الشيطان متنكراً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحيّة ارتبطت باللعنة والشرّ والآلهة للعالم السفلي في أساطير الكثير من الشعوب «كتيمت» في سومر ـ و«كيليا» في الهند و«ندهوق» في اسكندنافيا ـ و«ساتا» في مصر الفرعونية ـ أيضاً ارتبطت الحيّة بالتنين كرمز واحد للشيطان في الديانة السومريّة تماماً كالتصاق مفهوم الشيطان بالحيّة والتنين في «الإنجيل»، فطرح التنين العظيم الحيّة القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض «رؤيا يوحنا اللاهوتي».

---

(١) من الأساطير العربية والخرافات ـ مصطفى الجوزو.

الأصل اللغوي لكلمة «الحيّة»

اشتق جذر الحيّة اللغوي من «حيي - يحيى - فهي حيّة» دلالة على خلودها وتجددها الدائم - فهي في الثقافة العربية القديمة تعمّر آلاف السنين. إذ إنها تجدد شبابها بتغيير جلدها كل عام. ولا تموت إلّا بعارض يعرض لها.

وجاء في المصدر نفسه «حواء وحياة» ومن الأسماء التي تطلق عليها اسم «الصلّ - والأصل - والصلصال» وكلها من جذر لغوي واحد ويعني أصل الأشياء - فالصلّ إذاً هو أصل الحياة - والصلصال هو التراب ومنه اتخذت المادة التي منها خلق الإنسان والحيوان. وفي هذا المجال يرى «المسعودي» أن الحيّة هي من نسل الجن، والجن باللاتينية «جينيس» وتعني الكلمة «عبقري» أيضاً.

أما في العربية فكلمة «جن» أصلها الثلاثي جنّ وتعني جنين وجنه الليل أي ستره - وبه سُمّي «الجنين» لاستتاره في بطن أمه - و«الجنان» هو القلب والجن هي الروح العبقرية، والمجنون هو الذي يولد ويستر في فكره أشياء غير منطقية - والجان في اللغة العربية هو الحية الصغيرة.

وقد ظلّت صورة الجن تتوحد في الكثير من القصص والأساطير «جمعها الشبلي في كتابه أحكام المرجان في عجائب وغرائب الجان».

والعرب تسمي كل حيّة شيطاناً ويطلق هذا الاسم بالذات على الحيّة الخبيثة. وفي الديانة الإسلامية ينتمي «إبليس» إلى «الجن» و«الجان»، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾[1] واسم إبليس نقله اليهود والمسيحيون إلى العرب من اليونانية «Diabolos».

رمز الحيّة في الثقافة العربية

ترمز الحيّة في الثقافة العربية القديمة إلى معاني مشحونة بالمتناقضات، فهي تحمل المعنى ونقيضه الخير والشرّ، فقد لعبت الحيّة دور الخير في مرحلة من التاريخ لدى بعض الشعوب التي عبدتها إلى أن استقرت في العقل العربي كإلهة حامية للأماكن المقدسة والعروش.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

«فعندما فسد أمر جرهم وسرقوا مال الكعبة مرّة بعد مرّة في الجاهلية دخل رجل منهم البئر ليسرق مال الكعبة فظهرت حيّة كانت تخيف من يقترب ليسرق مال الكعبة».

ومن قصص الأنبياء «للثعلبي» المسماة بعرائس المجالس ـ يذكر أنه هناك حيّة ضخمة تلتف على أقدام كرسي العرش السماوي الذي يستوي عليه اللّه في الملأ الأعلى وظيفتها حماية الكرسي من الغرور والزهو، فإذا داخله شيء من ذلك التوت ـ التفت عليه الأفعى ليفيق من غفلته. وصورة الحيّة كحامية للعروش نجدها في معظم النقوش المصرية.

وبموازاة هذا الدور الخيّر للحيّة احتل دور الشرّ «للحيّة» مساحة كبيرة في العقل العربي، فقد سمى الجاهليون الثعبان الكبير شيطاناً ويقال في بعض التفاسير إن هذا المعنى هو المقصود من طلعها كأنه «رؤوس الشياطين» وقد كان في الكعبة حيّة قال فيها ابن هشام «السيرة» عن الزبير بن عبد المطلب:

عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الشيطان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحياناً يكون لها وثاب

وقد سمى عرب الجاهلية كل من تبعث على الهيبة والغدر بالحيّة. فقال ذو الإصبع العدواني مثلاً:

غدير الحي من عدوان ... كانوا حية الأرض
بغى بعضهم ظلماً ... فلم يبقوا على بعض

مما تقدم يتضح لنا أن ارتباط الحيّة بالشرّ في الإسلام جاء بتأثيرات مباشرة من قصة آدم وحوّاء التوراتية. والتي مفادها أن الحيّة هي من أوعز لهما بالأكل من ثمار الشجرة المحرّمة.

كذلك أشار القرآن الكريم لقصة آدم وحوّاء في سورة طه الآيتين ١٢٠ ـ ١٢١ كما أشرنا. إضافة إلى حديث للنبي الأكرم محمد ﷺ والعديد من التفاسير. وفي هذا جاء على لسان الإمام علي بن أبي طالب سلام اللّه عليه سائلاً الرسول الكريم ـ قلت يا رسول اللّه ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[1] فما هي الكلمات؟ قال: يا علي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

ذهب البعض إلى تقبيل فرج المرأة صباحاً قبل الانطلاق إلى عمله تبركاً وجلباً للخير باعتبارها «أي المرأة» ترمز إلى القوة النارية والإخصابية والخير كما هو الحال في الشجرة. كما الآلهة «ديانا» و«إيزيس» وما شجرة الميلاد وإنارتها إلى يومنا هذا في عيد الميلاد إلّا تجسيداً حاضراً لهذا المعتقد الوثني[١].

مريم العذراء وجذع النخلة!؟

تستمد قصة لجوء «مريم العذراء» إلى جذع النخلة معانيها من دلالات عبادة الأشجار، فالنخلة كانت آلهة مقدسة عند العديد من الشعوب السامية، فقد عبد العرب «نخلة نجران» وأهل نجران يومئذٍ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة. فإذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحليّ النساء. وفي الحديث جاء: «أكرموا عماتكم النخل». أيضاً عبدت قريش شجرة يقال لها ذات أنواط كانوا يأتون لزيارتها كل عام فيعلقون أسلحتهم عليها يدعون عندها ويعكفون عليها يوماً. كذلك عبدت قبيلة «حنيفة» «التمر» وكانت طائفة العيسويين في اعتزالها الرهباني تقتات منه كطعام مقدس.

وتجدر الإشارة إلى أن القدماء الأولين قدّسوا الظواهر الجنسيّة بأشكالها العارية «المفضوحة» في صراحة وعلانية ولا تزال إلى هذه الأيام. وهناك أمثلة كثيرة لا تُحصى عن هذه النماذج القديمة من العبادة.

ففي عصور التاريخ القديم مارس كل من المصريين، واليونان، والفينيقيين وغيرهم من الشعوب أشكالاً من العبادة الجنسيّة منها عبادة الأعضاء التناسلية «فهي مكمن اللذة والخصوبة».

---

(١) جيمس فريزر ـ أساطير في أصل النار ـ ترجمة يوسف شلبا.

المفهوم الغامض للجنس

إن مشكلة العلاقات الجنسية تكمن في غموض مفهوم الجنس وتناقض الاتجاهات التي تمَّ نقضها منه إقبالاً ونفوراً - وتضارب القيم التي نقيّمه بها تقديساً وتقبيحاً وما يترتب على ذلك كله من فوضى وارتباك.

ما هو مفهوم الجنس؟

سؤال يطرحه أبناؤنا على من هم أكبر منهم سناً ولا يجدون جواباً... لماذا؟ لأن معظم أهلنا من كبار السن لا يحيطون بمفهوم الجنس إحاطة موضوعية صحيحة. وفي محاولة منا لتقديم الجواب الصحيح القائم على دعائم وضعها علماء هذا العلم نقول: إن مفهوم الجنس يشير إلى حاجة سيكولوجية، أي حاجة حيوية نفسية ضرورية للتناسل واستمرار النوع البشري، وضرورية لاستكمال شخصية الإنسان بالتواصل الوجداني. فيدفع ذلك إلى تصور السلوك الجنسي على أنه مجرد عملية فسيولوجية بين ذكر وأنثى تصور مبتور يؤدي في أبشع صوره إلى الدعارة الصريحة والخفية. إنما الحقيقة الموضوعيّة أن السلوك الجنسي تواصل وجداني بين رجل وامرأة يتوجه باندماج كلي متكامل. ونقصد بالتواصل الوجداني تفاهماً متبادلاً، أو احتراماً وتآلفاً وحناناً متبادلاً ومسؤولية متساوية.

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الجنس ارتبط في بلادنا المتأخرة نتيجة مراحل طويلة من التخلف بالإثارة والعيب والحرام.

ولا يمكن أن تتغير هذه النظرة أو هذا المفهوم إلّا إذا أخضعنا هذه الغريزة للعلم الذي سيخلع عنها كل ما يحيط بها من إثارة وغموض ومعاني العيب التي ارتبطت في الأذهان تماماً كما فعل الغرب وخاصة «سيغموند فرويد» الذي يعتبر بحق أول من عرّى النفس البشرية من نفاقها وفضح زيفها في مجال العلاقات والنوازع الجنسيّة وتكلّم بصوت مرتفع لا يشوبه الحياء المتوارث في الآداب التقليدية من

النشاط الفوّار المعربد للغريزة الجنسيّة وامتداد أثره العميق المتسلّط في حياة الفرد، وحياة المجتمع.

وقد حملت مؤلفات هذا العالم النفساني «فرويد» تفصيلات صريحة وعلميّة عن طرق الجماع الصحيحة، وعن أضرار الكبت الجنس والكظم الجنسي وعن الحب وتفصيلات وتحليلات عجيبة عن الشذوذ الجنسي وأثره على شخصية الفرد وعقله.

وبرأي علماء النفس المعاصرين أن الكثير من الجرائم تُرتكب بدافع الرغبات الطائشة عن دون قصد سوى المعرفة في التعرّف على الرغبة فيما يحويه الجنس الآخر، وخوض غمار هذا العالم الضبابي المليء بالأوهام والأحلام وكل ذلك بسبب الجنس لأنه المحور الأساس في حياة الإنسان.

ويبقى أن نقول من الخطأ أن نجعل بيننا وبين أبنائنا وبناتنا حجاباً كثيفاً ضبابياً منسوجاً من العيب والحرام والممنوع وفتاوى أخرى من هذا وذاك ما أنزل اللّه بها من سلطان وإنما بعض رجال الدين فعلوا ـ كما أنه يتوجب علينا أن نرى ونعلّم أولادنا أن يروا الأشياء سافرة كما هي لا سيّما وأن الحياة الاجتماعية قد لقيت في السنوات الأخيرة تغيراً عميقاً، إننا كمن يحاول أن يعيد المارد إلى قمقمه بعد أن انطلق منه وملأ الفضاء الواسع من خلال ألف طريقة ووسيلة.

فإلى متى سنظل ندفن رؤوسنا في الرمال كالنعام. إن من حق إنسانيتنا علينا أن نتحرر من عقلية النعام وأن نجاري مواكب العلم ونندمج في متغيراتها وليس في هذا خروج على قيم الدين ولا تمرد على قواعد الأخلاق.

فقد كان النبي ﷺ يعلّم الصحابة كيف يجامعون النساء «نسائهم» وما الذي يتوجب عليهم قوله وفعله. وقد روي أن «أبيّ بن كعب» سأل رسول اللّه إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل؟ قال. . . يغسل ما مسَّ المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي «أخرجه البخاري ومسلم».

الجنس واللغة العربية

يسود في العصر الحديث استخدام كلمة «الجنس» للدلالة على علاقة الذكر بالأنثى على حين أن معنى الجنس في اللغة العربيّة لا يحمل لا من قريب ولا من بعيد هذا المفهوم الحديث، فعن طريق تفسير مدلول الكلمة الأجنبية في التعبير عن علاقة الذكورة والأنوثة جاءت كلمة الجنس في اللغة العربية.

ويبقى التساؤل أو السؤال

ترى ماذا يعبّر في اللغة العربيّة عن الجنس؟ في الحقيقة لن يجد الباحث إلّا كلمة «الشهوة البهيمية» أو كلمة «النكاح» أو غير ذلك من ألفاظ المواقعة والملامسة المباشرة أي «المضاجعة ـ أو الجماع». ورغم اجتهاد المتخصصين من خلال مجامع اللغة العربية في تقريب الكلمات الجديدة الوافدة من اللغة الأجنبية وإيجاد أسماء لها إلّا أن تلك المجامع لم تنجح في إيجاد كلمة واحدة تقوم مقام «كلمة الجنس» في دلالاتها اللفظية المحايدة ـ أما تسمية النشوة الناشئة عن ممارسة الجنس بالشهوة البهيمية فغير عادل لأنه ببساطة ينتقص ويحط من قيمتها الإنسانية والاجتماعية والحضارية وقبل هذه كلها قيمتها الدينية خاصة إذا عرفنا أن نبيّ الإسلام ﷺ قال في هذا المجال: «تناكحوا تكاثروا فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة». وفي هذا دعوة واضحة إلى ممارسة الجنس ـ ومن أقواله في هذا المجال تحت عنوان «آداب المواقعة» ولا يقع على أهله أو جاريته كالبهيمة، ولا يطأها وهي نائمة أو مريضة. . .

كذلك قيل عنه ﷺ أنه كان يغطي رأسه عند الجماع ويخفض صوته ويقول للمرأة عليكِ بالسكينة. وفي هذا المجال جاء على لسان العسقلاني أن البخاري وضع للنكاح حوالى ألف اسم أو يزيد.

أيضاً جاء في العديد من المراجع أكثر من مائة اسم لذكر الرجل، ولفرج المرأة، كذلك ذكر الثعالبي في فقه اللغة أن للنكاح مائة اسم ما بين صريح ومُكّنى

ويقال إن بعضهم وضع ما يشبه القاموس في هذا المجال ـ واكتفى المتحدث بنقل أمثلة قليلة لهذا العمل ـ فقد جاء في حرف التاء مثلاً:

التحيض: أي المجامعة في الحيض.

التَذْليص: أي النكاح خارج الفرج.

التشفير: أي الجماع على شفر فرجها ـ ويقال لها شَفرَها.

التلجيفُ: أي إدخال الذكر في نواحي الفرج.

ومن ألطف ما قيل في هذا المجال ـ (النكاح) في كتاب «نزهة المذاكرة وأنس المحاضرة» إن الحكم بن عبدل شكا إلى ابن هبيرة الضبعة، فوهب له جارية من جواريه فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعاً أو عشراً. فقالت: جُعلت فداك ممن أنت؟ قال امرؤ من أهل الشام. قالت بهذا العمل نُصرتم.

وقد سمى البعض فرج المرأة «عين الشيطان».

وعين الشيطان هذه «أي الفرج» والذي يشار له في بعض الكتابات العربية المدعية التهذيب «الشفة».

أما لماذا سمي عند العرب بعين الشيطان فلأنه كالشيطان مهمته ترصُّد الرجال من ذوي النفوس الضعيفة، أو مهووسي الشهوة الجنسيّة ليستغلّ أول فرصة أو أقل هفوة ليهاجم من خلالها الإنسان ويسقطه بالضربة القاضية إن صحّ القول. والصورة المطروحة هنا لا تهدف إلى تحجيم شيطانيّة إبليس فحسب بل تتجاوزها للنيل من فحوليته أيضاً. أما الأغرب من المعلومات المضافة لإبليس فهو أنه ذو شعر قليل مما يضفي عليه أيضاً لمسة لواطية.

اللغة التي ابتكرها العرب

ذكر الإمام جلال الدين السيوطي في أكثر من مُؤلّف له كمّاً كبيراً من الأسماء والألفاظ التي نسبها العرب للأعضاء التناسلية، حتى أنه أفرد أبواباً خاصة لهذه الأسماء والكنايات في كتبه مثل «الفلك المشحون والكنز المدفون» والجنس في أعمال الإمام جلال الدين السيوطي وغيرهما وفي هذا قال:

قال أبو العباس بن المعتز:

«إن من شأن العرب إذا أحبت شيئاً أو أهابته أكثرت أسماءه وفي هذه الأبواب كما جاءت في النّص الذي حققه الدكتور نهاد حسوبي صالح باب الذكر وما حوله قال:

للذكر أكثر من مائة اسم[1] وبعد استثناء الاسم الشعبي المعروف والشائع - تأتي الأسماء التالية:

الأربُ - الأدافُ - الأذافُ - «الأداف ذكره ثابت بن أبي ثابت في خلق الإنسان» - الأجردُ - الأصلعُ - الإحليلُ - الأتلَفيُّ - البَزبازُ - البِزارُ - البُوحُ - خُزيمة (بالضم) وقيل هو أصل الذكر - والجَزَاجزُ - الجميحُ - الحردانُ - الجلدَةُ - الحَرْدُ - الحَجْرُ - الحِرْدُ - الحَوْقَلُ - الخَذَرْنَقُ - الخدنّقُ - والدَّوقَلُ - والذَّبْذَبُ - الذبذَبةُ - الذّباذِبُ - الذكرُ - الرُّميحُ - الزُّبُ (وقيل يختص بالصبي) - الزُّلنقَطَةُ - الزَّولُ - السحادِلُ - الشّرُ - السّمهدَرُ - السوأة - الشاقولُ - السُّوارُ - الصّلَخِفُ - الضّبيرُ - الطُّرطُبُ بضم الطاءين - العَتَرُ (بفتح أوله وكسره) - العتّارُ - العَجرَدُ - العُجارِدُ -

(١) من المصادر المعتمد عليها في تحقيق هذه الأسماء، الاشتقاق والجمهرة لابن دريد، الصحاح للجوهري، المجمل لابن فارس، فقه اللغة للثعالبي، القاموس للفيروزآبادي، أساس البلاغة للزمخشري، تاج العروس للزبيدي، لسان العرب، لابن منظور، المختصر للخوارزمي، وغيرهم.

المُعَجْرَمُ ـ العُجارِمُ (وقيل يختص بالصلب) (وقيل بالغليظ الضخم). العَرْدُ (وقيل يختص بالمنتشر المنتصب الصُّلبِ) ـ العُسُّ ـ العُلْعُلُ ـ العَوْرَةُ ـ العوفُ ـ الفاسقُ ـ الفاعوسُ ـ الفرشحُ ـ الفبخرُ ـ الغرمولُ ـ الغنطليس ـ القَبْلَ ـ القسطبينةُ ـ القسطبيلة ـ القصطبير ـ القضيبُ ـ القُنفُرُ ـ التهبليس ـ العَيسُ ـ ذكره في القاموس وتبع فيه ابن دريد. وقيل إن للذكر أسماء خاصة منها:

الأزعبُ (أي الذكر الغليظ الضخم) ـ والدّوسرُ ـ والدّواسرُ ـ والصَّيهَدُ ـ والكُباسُ (أي الضخم الكبير الرأس).

أما فيما يتعلّق بأسماء الفرج، فقد جاء أن له أكثر من مائة اسم أيضاً. وهي: الأحبُ ـ الأجمُّ ـ الإحليلُ ـ الإربُ ـ البضع ـ البقاعُ ـ البَوْحُ ـ الحازُ ـ الجهازُ ـ الجَرْدُ ـ الحرُ (بالتخفيف) ـ الحِرّ (بالتشديد) ـ الحزّةُ ـ الحجومُ ـ الحِفشُ ـ الحَوزُ ـ الحَوزةُ ـ الحياءُ ـ الحيُّ ـ الخاقُ ـ الخُرْنوفُ ـ الخَشَنْفلُ ـ الرّحِمُ ـ الرّكَبُ ـ الرّكوةُ ـ الزّردانُ ـ السّوْنُ ـ السّوأةُ ـ الشّكرُ ـ السَّرجُ ـ الشّريحُ ـ الشّريمُ ـ الشّلْخُ ـ الشّوارُ ـ الشّوْرُ ـ الضّادُ ـ الطنبيزُ ـ الطنبريزُ ـ الظّبيةُ ـ العَذابةُ ـ العُنابُ ـ العُنبلُ ـ العورة ـ الفاعوسةُ ـ الفرجُ ـ الفَعْلُ ـ الفَلْهَمُ (وقيل يختص بالطويل) ـ الإسكتين ـ الفوقُ ـ القُبُلُ ـ القَبقابُ (وقيل هو الواسع الكثير الماء) ـ القحفليزُ ـ القوقُ ـ الكَثعبُ ـ الكعثبُ (وقيل هو خاص بالضخم الناتىء) ـ الكسُّ (وهو عربي صحيح وقيل معرّب ـ وقيل مولّد) ـ اللُّهمُومُ ـ المتاعُ ـ المرخَةُ ـ المشحَحُ ـ المَشرَحُ ـ المَعرَنْطُ ـ النكحُ ـ الهبيرُ ـ الهنُ ـ الوَزْبُ ـ الومّاجُ ـ الومّاحُ ـ ومن أسمائه الخاصة التي استخدمها شعراء العرب ومحدثيهم:

الإِرْزَبُ (أي الفرج الضخم الناتىء والمرتفع الكثير اللحم) ـ المُشرِفُ ـ الرّكَبِ ـ ومثله الإِزْيَبُ ـ والأكبَسُ ـ والكُباسُ ـ والأختَمُ ـ والخَثِمُ ـ والخَزنْبَلُ ـ والحَوْزَلُ ـ والزّرنب ـ والعَرَكْرَكُ ـ والعَصَنْكُ ـ والعضنّكُ ـ والقُمارطِيُّ ـ والكوْمُ. وقال الزّجّاجُ: الأختَمُ (الفرج إذا كان غليظاً مكتنزاً فإذا كان مشرفاً فهو الخَزَنْبَلُ ـ وحِرٌ حُطائطٌ أي ضخم) ـ وفرج قباقبٌ أي واسعٌ ومثله العَلزَمُ).

وقال العرب في كنية الفرج ـ أبو دارسٍ، ودرّاس من الدّرس وهو الحيض. وجاء في الصحاح: هَنَةٌ بين الإسكَتين لم تُخفَضْ ـ وهو الذي تقطعه الخاتنة ويقالُ له

البُظرُ ـ والبُظارةُ بالضم والفتح ـ وبُنظُرُ بالنون والبيطرُ بالياء والمتسكُ ـ وفي المجمل المركُ ما تبقيه الخافضة من العُنبُلُ.

حيث كان في بعض البلدان العربية ومنها مصر والسودان يقطعون بظر الفتاة ويسمى ذلك ختان. وفي فصل كتاب «نزهة المتأمل» نجد الإمام جلال الدين السيوطي وهو يحدد ما يستحسن في المرأة وما يستقبح فيها يقول (ويكره التي لم تختتن) وهذه عادة سيئة تحرمُ المرأة من حقها في الاستمتاع التام، وقد كانت العرب تمارس هذه العادة منذ عهد الرسول وفي كتب الحديث أنه قال الختان للرجال سنّة وللنساء مكرمة عن أبي الحسن رواه ابن حنبل وأبو داود، وقد أوصى النبي ﷺ أم حبيب وهي التي كانت خافضة تخفض الجواري فقال لها: «يا أم حبيب إذا أنت فعلت فلا تنهكي فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزواج».

المرأة والجنس عند الشعوب

لقد أجمع علماء الإنسان وتاريخ الأخلاق على أن أولى الكائنات الإنسانية لم تكن تعيش بشكل أزواج، بل عاشت بشكل جماعي إلى جانب بعضها البعض.

ففي قصة صينية نقرأ: كان الرجال الأولون كالحيوانات يلبسون الجلود ويأكلون اللحوم النيئة وكانوا يجهلون آبائهم على الرغم من معرفتهم لأمهاتهم أما الجنس عند الإنسان البدائي فقد كان يتمّ «يحدث» تحت شعار التمتع بالحياة إذ حاول عدد من علماء الحياة ومتخصصو علم الجنس وعلماء النفس ملاحظة السلوك الجنسي ومقارنته وتحليله عند الإنسان والحيوان.

وقد توصلوا إلى أن الإنسان لا يخضع للهرمونات الجنسيّة كباقي الحيوانات بما فيها الليونة الأكثر تطوراً. إضافة إلى أن قشرة الدماغ عند الإنسان قادرة على الاضطلاع بتوجيه سلوكه العام وبخاصة سلوكه الجنسي. وأشار هؤلاء العلماء إلى أن المداعبة قبل العملية الجنسيّة هي أكثر ثراء عند الإنسان منها عند الحيوان. فالإنسان ابتكر ونوّع من طرق مداعبته للمرأة بهدف إثارتها والتقرب منها. وهذا الابتكار للأوضاع الجنسيّة المختلفة يزيد من متعة الجسد عنده.

وقد ذهب هؤلاء إلى أن إنسان ما قبل التاريخ أو الإنسان البدائي وصل إلى معرفة المرأة والرغبة بالارتباط بها ضمن هدف المتعة الجنسيّة كما كان الإنسان البدائي يربط رمزياً بين العملية الجنسيّة والصيد فقد كانوا يمارسون الجنس قبل خروجهم للصيد بوصفه فعلاً سحرياً يعود عليهم بالربح الوفير إن هم مارسوه قبل سعيهم وراء الطريدة.

وفي هذا المجال يقول علماء الحفريات والآثار «إن نقوش النساء العاريات ورسومها على الصخور وجدران المغاور والتماثيل الصغيرة المزودة بخصائص جنسيّة أنثويّة بالغة الضخامة لتقدم دليلاً موضوعياً على علاقة الرجال بالنساء في المجتمع

البدائي». ومن أقوال الزرادشتيين (رجال دين الامبراطوريّة الفارسيّة) «إن من أهم وأخطر الجرائم جريمة منع الحمل. لماذا؟ لأن شعار مجتمعهم كان يقول للأب الكثير من الأبناء وللملك الكثير من المحاربين».

وفي هذا المجال مجال المرأة والجنس نقرأ فيما تركه الأقدمون: كان الشعب السومري في بلاد ما بين النهرين (العراق) يتوجه بالدعاء إلى «إنانا» بوصفها الإلهة التي تفتح أرحام النساء. إذ كانت النساء يتهيأن لعرض فروجهن عن رضى لأنظار الرجال وذلك امتثالاً «بإنانا» لإيقاظ غريزتهم ودفعهم إلى التمتّع بأجسادهن الراضية والمنذورة لهم. ويخبرنا تاريخ السومريين أن «إنانا» هي التي خلقت أسطورة الحب وكانت مستعدة لكل التضحيات وقد برهنت بسلوكها أن على المرأة العاشقة لكي تفوز بالرجل الحبيب وتحتفظ به أن لا تفعل سيّئاً وعليها بدافع هذا الحب أن لا تتراجع أمام المخاطر مهما بلغت ولو كانت الموت نفسه.

وقد استقرت «إنانا» في ذاكرة سكان الأرياف كإلٰهة تفيض حناناً وحيويّة وتهب اللذة والمتعة أنّى حلّت.

أما المدن فقد سميت فيها إلهة الحب الجسدي «عشتار» لذلك كان أكثر الرجال ذكورة بحاجة إلى حظوة عشتار ونعمتها وهذه الحظوة والنعمة لا تتأتى للرجل في فراش الشهوة إلّا إذا قدّم الأضحيات لعشتار.

سيكولوجيّة المرأة

من المؤكّد أن اللّه قد منح للمرأة «الأنثى» قوة غير عادية على تحمل المشاق والضغوط المتعددة المصادر وبالتالي مقاومة ما قد يصيب النفس والجسد من علل داخليّة وخارجيّة. لكن استمرار سير المرأة في طريق المعاناة التي بدل أن تتوقف نراها تزداد قسوة وقهراً، خاصة مع استمرار الفروق الضخمة، فكونها امرأة جعلها من حيث الخلقية العقلية والنفسيّة في تناقض مع ذاتها من ناحية ومع الأهل والمجتمع من ناحية أخرى. فتارة نراها متحررة مندفعة ومتمردة إلى حدّ الخلاعة وطوراً نجدها وقد انطوت على نفسها وعادت كما كانت امرأة سلبيّة مازوخية «مازوشية».

مما أشرنا إليه وغيره من الأسباب يتضح لنا أن تحقير المرأة في الحياة جعلها تدور حول نفسها في دوامة لا تنتهي من الشك وعدمه، ثم وبسبب الأحكام الجائرة التي فرضت عليها منذ القديم ولا تزال مفروضة (حتى يومنا هذا) نجدها قد فقدت شخصيتها وذاتيتها مما أفقدها بالتالي روح التحدّي الأنثوي الحقيقي. وكيف لا تفقده وهي محط الاستغلال من الزوج خوفاً من الطلاق والعودة إلى بيت الأهل المليء بالمشاحنات، والاستغلال من المجتمع إن كان على المستوى المهني أو على مستوى صور توضع على زجاجات العطور والمنشطات وغيرها (من المنتجات ذات العلاقة بالنشاط الجنسي) من أجل رواج هذه البضاعة أو تلك في الوقت الذي نجد أن الرجل الغني هو الذي يشتري المرأة بماله حتى تكون عبدة ضعيفة وخادمة لكل الرغبات الترفيهيّة في كل الأوقات. (وكأننا لا نزال نعيش مرحلة الأمبراطوريّة الرومانيّة ـ أو السومرية أو اليهودية المبكرة) ـ حتى القرآن الكريم جاء فيه ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

أيضاً جاء في الأحاديث النبويّة عن الرسول محمد ﷺ:

«أيّما امرأة دعاها زوجها إلى الفراش فأبت إلّا خرجت من حسناتها كما تخرج الحيّة من جلدها. وإن ماتت والزوج غير راضٍ عنها عذّبت في النار أشدُّ مما عُذّب فرعون سبعين مرّة»[١].

وبالعودة إلى واقع المرأة تحت كل هذه الضغوط العقليّة والنفسيّة والجسديّة والعصبيّة والذي هو بالفعل «الإرهاب بعينه» افعلي كذا ولا تفعلي كذا وإلّا. أطيعي زوجك أو الرجل القيّم عليك ولا تمانعي الزوج فيما يريد ويشتهي وإلّا. وبعد كل هذا الذي أشرنا إليه نسأل: ترى ما الذي بقي من المرأة الأنثى (كإنسان) بعد أن أهينت في صميم قلبها وشرفها وكرامتها وكينونتها؟ بالطبع لم يبقَ لها شيء سوى جسدها الآلي يستعمل كيفما شاء العصر الحديث لها مع فقدها للأساس الحيوي وهي «الروح» والتي وإن بقيت أو بقي منها شيء فخامد بخمود فكرها وعقلها مما جعلها آلة بدون روح آلة رواج للبضائع المكدّسة، وآلة إنجاب وتفقيس، وآلة للخدمات الخاصة والعامة. ونسأل أين هي الروح الحقيقية لامرأة العصر الحالي، الروح الوثابة إلى الأمام كما امرأة السنين الغابرة القليلة التي أثبتت المرأة فيها نفسها ووجودها من خلال بعض الأدوار التي قامت بها.

فمثلاً على صعيد المرأة اليهودية أين نساء اليهود اليوم من «أستير» التي عرفت بذكائها ودهائها وعقلها المتفتح مستفيدة من جمالها وأنوثتها وما تتمتع به من سخونة جنسيّة كيف تحقق الخلاص لشعبها حتى أن التوراة خصصت لها سفراً خاصاً بها اسمه «سفر أستير».

ولمن لم يعرف أستير أو يقرأ عنها إليه هذا التعريف المختصر المقتضب بها. قيل في سفر إستير أن الملك «أحشويروش» بعد أن احتفل بزواجه من «وشتي» الجميلة أرسل مجموعة من الغلمان لإحضارها له أمام الجمهور المحتفل. ولما وجدت وشتي أن في هذا العمل إهانة لها رفضت المثول أمام الملك في حشد من الخصيان ومع تأزم الوضع بينهما أشار عليه مستشاروه أن يخطب ويتزوج ممن هي أجمل منها وأكثر طاعة.

(١) ذكره البخاري في صحيحه.

وهنا برز دور «اليهودي ـ موردخاي» حسب ما تروي التوراة. فقد كان موردخاي يقوم على تربية «ابنة عمه هدسة» أي «أستير» لأنه لم يكن لها كما تروي التوراة من يقوم على تربيتها وهي الجميلة الذكية واليتيمة، اغتنم موردخاي ظروفه الجيدة فأسرَّ إلى حارس النساء «هيجاس» عن جمال وحسن ومحاسن «هدسة ـ أستير» ولما نقل «هيجاس» إلى الملك «أحشويروش» صورة مثيرة عن «أستير المرأة» ألهبت عواطفه وفجّرت غرائزه غير العادية لم يستطع الملك أن يعمل عقله فاندفع إلى «هيجاس» وتعلّق بـ «موردخاي» طالباً منه إحضارها على الفور، وسرعان ما أخذت عقله وسلبت لبّه ـ ولخبثها لم تخبر الملك عن جنسيتها أو شعبها أو هويتها، وعليه فقد نالت تاج الملك وأصبحت المحظية الأولى عنده. (وتتابع التوراة) وبعد أن تمكنت «أستير» من قلب الملك وأسرت عقله إضافة إلى ازدراء موردخاي «للهامان» الشخصية المرموقة في بلاد أحشويروش ـ وبسبب إحساس موردخاي بالخطر القادم من خلال «هامان» طلب من أستير أن تلعب دورها لدى الملك وهنا استخدمت أستير كل ما تملكه من أسلحة المرأة الأنثى «وعلى رأسها الذكاء والشخصية القوية» فدخلت ذات ليلة إلى غرفة الملك بينما الأرق يعشعش في عينيه وتمكنت بما تملكه من مهارات المرأة القادرة على إشعال نيران الغريزة الجنسية المجنونة في جسده وفي اللحظة الحساسة (اللحظة المناسبة) أي اللحظة التي يفقد فيها الرجل (أي رجل) عقله أثناء ممارسة العملية الجنسيّة، وحيث الجنون يضرب العقل ويضيق الصدر تمنّعت ورسمت على وجهها ألف وجه ووجه ثم طلبت من الملك الهائج أن يحميها وشعبها من رجل ظالم قوي مستبد ومتسلّط مما أثار جنون الملك. فهل في المملكة رجل أقوى منه؟ أو مساوي له في القوة والبطش والجبروت؟

ولمّا سألها عن هوية هذا الرجل القوي الذي أرعب قلبها الصغير المحب وأرهب شعبها المسكين وروّع عائلتها التي أنجبتها على هذا القدر من الجمال والشهوة، قالت ـ إنه هامان ـ وبين الخمرة وثورة الجنس وتهدّج الأنفاس وسط غنج أستير ضاع هامان مصلوباً على الخشبة التي أعدها «للموردخاي» وهكذا استطاع اليهود وبحسب النصوص التوراتية أن يضربوا ضربتهم بفضل العميلة الذكية النائمة «أستير» ويقضوا على جميع أعدائهم بضربة سيف قاتلة لكن لماذا ذكرنا هذه القصة؟

بعد إسقاط ما يتعلق بالمؤامرة والتآمر ولا أخلاقيات توظيف المرأة واستغلالها

قصدنا القول أو الإشارة إلى أنه لو كانت «أستير» حقيرة محقرة دامية القلب والنفس ومحطمة الأعصاب والقدرة على التركيز لما استطاعت أن تلعب هذا الدور (رغم صفاته القذرة) أو الميكيافللية - بصورة ناجحة ولو كانت «أستير» بلا شخصية متماسكة قوية لما كانت محصّنة بروح التحدّي الأنثوي الحقيقي والحق يقال: كم من أستير في حياة قادة مجتمعاتنا على كل المستويات؟ وكم من أحشويروش يجلس على رأس السلطة في بلادنا ويتحكم بمصائر الملايين من البشر؟ وكم معلومة بيعت؟ وكم من حقوق تمَّ التنازل عنها؟ وكم من بريء أزهقت روحه على يد أستير العصر (أساتير العصر).

صحيح أن اليهود أعداؤنا. وصحيح أنهم سرقوا أرضنا وحياتنا وأرواحنا وأنه من حقنا العمل من أجل استرجاع حقوقنا المسروقة المغتصبة. ولكن كيف ونحن مجبرون على اجترار الماضي فيما حاضرنا أسير ومستقبلنا محاصر بكل أنواع الإرهاب بدءاً بالإرهاب الفكري وليس انتهاءً بالإرهاب الديني والاجتماعي. ولنتذكر دائماً أن من لم (لا) يتعلّم من عدوّه فلن يتعلم أبداً وبالتالي لن يحقق شيئاً».

إننا نرى أن مجتمعنا العربي الإسلامي بجميع نظمه وقوانينه ومؤثراته وضغوطه هو السبب الرئيس في ترسخ الكبت الذي يعيق النمو الفكري والعقلي وفي هذا ضمانة لإبقائنا في مراحل الطفولة العاجزة عن الفهم والاستقلال والإيجابية وحرية العقل لقد انطبق علينا ونحن على هذه الحال ما قاله أحدهم: أجسام البغال وأحلام العصافير. فإلى متى؟ إلى متى سنظل نلقي باللوم على العصر المتطور الذي بتطوره يتحقق تطورنا نحو حياة أفضل في ظل القوانين الحقيقيّة الصحيحة وليس بالعكس كما هو حاصل الآن. وإلى متى سنظل نعلّق فشلنا وأخطاءنا القاتلة المتكررة على شماعة الاستعمار والإمبرياليّة وإسرائيل و. . . و. . .؟ ولنتذكر دائماً أن العضو الذي لا يستعمل يضمر؟ فإلى أي حدّ ضمرت وتقزمت عقولنا؟ وهل سننتظر إلى أن نفقدها نهائياً؟ وإلى متى سنظل ندفن رؤوسنا في الرمال ونذير مؤخرتنا لأعدائنا كما تفعل النعام و. . .؟

باسم عقد الزواج تُباع المرأة وتُشترى؟!

إن ما تتعرض له المرأة من ضغوط وكبح وكبت وإرهاب متنوع المصادر والأشكال يجب أن لا يصل بها إلى الاستسلام المذلّ لمصادر هذه الضغوطات ويجب أن لا يثبط همّة المرأة وإصرارها على العمل خارج البيت. ففي رأي بعض المشتغلين في هذا المجال «مجال تحصيل حقوق المرأة وحريتها ونزع طوق العبودية عن عنقها «أن البيت هو مقبرة المرأة وهو ذلّها وهوانها وعبوديتها. لماذا؟! لأن البيت معناه أن تحرم المرأة من خبرات الحياة التي تنضجها وتحقق ذاتها كإنسانة أيضاً، إن عدم عملها وحصولها على احتياجاتها من مالها يعني أنها تبقى تعيش عالة على الرجل. وهذا ينطبق على المتزوجة كما العزباء التي لا بد لها من الزواج من رجل، والزواج في مثل هذه الحالة وتحت ضغط الظروف المشار إليها يبقى يرتكز على المصلحة الاقتصادية والاجتماعية والحماية والإعالة وغير ذلك من الأسباب التي تدرج هذه العلاقة الزوجية ضمن العلاقة التجاريّة وحيث تدرج الدعارة أيضاً.

وفي هذا تقول د. نوال السعداوي إن إجبار الأهل للفتاة (المرأة) على الزواج والمقايضة التي تتم من جانب الأهل لعقد هذا الزواج هو مقايضة علنية من طرف الأهل للجانب الآخر، حيث إن تحويل المرأة إلى سلعة تباع وتُشترى باسم الزواج نوع من البغاء المقنّع بقناع من الشرعية المزيفة التي تتناقض مع جوهر الشرف ومعناه السامي. فالشرف في جوهره ضد الزيف، وضد ملكية إنسان لإنسان أو استغلال إنسان لإنسان، الشرف في جوهره ضد الرق والعبودية وينادي بكرامة الإنسان ويبني العلاقة بين البشر على أساس المودة والحب والإرادة المتبادلة والاختيار الحر.

والشرف ضد المتاجرة بالناس سواء كانوا عبيداً أو نساءً. وبالتالي فهو ضد الزواج الذي يُبنى على المتاجرة وبيع الأنثى بالمال ـ الشرف في جوهره يحرّم مثل هذا الزواج ويعدُّه زواجاً غير شرعي لأنه علاقة ضد شرف الإنسان وضد كرامته وضد إرادته الحرة وضد اختياره النابع من شعوره الصادق.

ولكن كم ينسى الناس جوهر الشرف، وكم يتجاهل المجتمع المعنى الأساس لزواج رجل بامرأة وبمرور الزمن يضيع هذا المعنى ومضمونه الحقيقي ويتمسك الناس بالشكل ويحافظون عليه فيصبح الشكل بديلاً للمضمون، ويصبح عقد الزواج أو قطعة الورق بديلاً عن الحب والإرادة والكرامة والشرف. وتصبح إجراءات الزواج أشبه بإجراءات بيع العقارات أو تأجيرها ويخلو الزواج من مضمونه ومقوماته الإنسانيّة ويرتكز على العلاقة التجارية.

ولعل هذا هو أحد الأسباب الأولى والرئيسية في فشل الكثير من الزيجات فشلاً علنياً بالطلاق أو فشلاً سرياً بالخيانات الزوجيّة المتفشيّة في معظم المجتمعات التي أوجدت العلاقة بين الزوجين وبرودها أو خلوها من كل بهجة لتطفح بالمنغصات ويصبح نفور الزوج من زوجته أو الزوجة من زوجها وينتج عن ذلك أن يصبح للإنسان في مثل هذه المجتمعات حياتان متناقضتان حياة زوجية اجتماعية ظاهريّة مزيّفة، وحياة حقيقيّة سريّة بعيدة عن المجتمع ولا يمكن لنا أن ننكر ما يحدثه هذا الانقسام في شخصيّة الإنسان من انحرافات نفسيّة أو جسديّة أو فكريّة وما ينتج عنها من مشاكل اجتماعية تخلق مناخاً غير صحي ينتج أطفالاً مرضى ومعقدين وبلا شخصية وحتى وإن وجدت هذه الشخصيّة، فهي ضعيفة تتلمّس طريقها إلى الحياة على آثار خطى الآباء الجهلة.

مجتمعنا الشرقي وعقدة غشاء البكارة

غشاء البكارة، هو الغشاء الذي ينمو فوق الجهة الأماميّة أو القسم العلوي من فتحة المهبل حيث يدخل هذا الجزء من الفرج تقريباً.

إن غشاء البكارة هذا والذي يمثل عقدة العقد عند الرجل الشرقي لأنه يؤمن بأن ثقبه برأس ذَكَرِهِ أو بإصبعه في بعض المجتمعات، في ليلة الدخلة مسألة دونها يراق الدم ويحكم على إنسانة مسكينة بالشقاء والفضيحة وربما كانت حياتها هي الثمن.

وفي الحقيقة فإن غشاء البكارة هذا قد لا يكون موجوداً دائماً. فقد يتعرّض هذا الغشاء للثقب لأي سبب أو لأكثر من سبب. فمثلاً ممكن أن يثقب بسبب رفع (حمل) أشياء ثقيلة، وأحياناً بسبب استعمال محقنة كبيرة الحجم تستعملها النساء أحياناً، أو عن طريق أصابع الفتاة الصغيرة عندما تلعب مع نفسها. أو بسبب ركوب الخيل أو الدراجة الهوائيّة أو ممارسة الفتاة لألعاب الجمباز وهكذا...

إذن لهذه الأسباب جميعاً لا يعقل وليس من الصواب أن تكون المرأة قد خاضت تجربة جنسية سابقة في حال لم تكن عذراء.

أيضاً وبحسب الأطباء فإن بعض الفتيات يولدن بدون هذا الغشاء الذي يغطي قناتهن المهبلية أو قد يفقدنه أثناء عملية جراحية نسائية وكثيراً ما يكون غشاء البكارة متيناً عند بعضهن فلا يتأثر بكل العوامل السابقة الذكر. ولا يثقب بسهولة بواسطة ذكر الرجل (العريس) ولعلّ هذا السبب وغيره جعل ثقب غشاء البكارة عند فتيات صعيد مصر يتم بواسطة أصبع العريس الملفوف بقطعة قماش بيضاء حتى يظهر عليها لون الدم القليل الذي ينزل جراء ثقب الغشاء المذكور ومثل هذا الفعل بدون شك شيء وحشي، وسواء كان ثقب غشاء البكارة بالإصبع أو بالمجامعة من الليلة الأولى فإن الخشونة والقسوة في مثل هذا الفعل هي أشبه ما تكون بعملية اغتصاب؛ وأحياناً

يعرّض الفتاة لصدمة عصبية خطيرة. أما إذا كان الغشاء رقيقاً جداً لا يحتمل أي ضغط أو مداعبة تذكر. فهذا النوع يكون قابلاً للتمزّق أو الثقب لكل ما سبق وذكرنا من أسباب فقده. أما الجدير بالذكر فإنه ليس صحيحاً أن كل النساء ينزفن كمية من الدماء عند فضّ غشاء البكارة.

كيف تخفف المرأة (الفتاة) من قسوة عملية فض غشاء البكارة؟

بعد الملاعبة والمداعبة واللمس والشم والعض الخفيف ونحوه، وعندما يرى الرجل في عين المرأة الاستعداد والشهوة يأتي وقت إيلاج (إدخال) الرجل لِذَكَرِهِ المنتصب في فتحة المهبل باتجاه غشاء البكارة وعلى الزوجة (الفتاة) أن تقوم بالضغط عليه بالمقابل وتتلوى «لا ننسى هنا أهمية الرهز»، لأنه في الرهز نوع أو شيء من الاهتزاز الذي يساعد على ثقب الغشاء والتخلّص منه. وهي أي المرأة - الفتاة - تعرف مقدار الألم الذي يمكنها تحمّله. ولا شك في أن مرونة (المرأة) تلعب دوراً مهماً في تخفيف حدة دخول قضيب الزوج (الرجل) المنتصب القاسي وما يسببه من ألم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوج (العريس) قد يضطر في بعض الحالات التي يكون فيها عاجزاً عن تمزيق غشاء البكارة بسبب متانته إلى الذهاب إلى الطبيب لإجراء عمليّة جراحيّة بسيطة لزوجته دون ألم.

أما ما يجب قوله بصراحة فهو أننا نخدع أحياناً بوجود الغشاء، أو بعدم وجوده فإننا نقيس نقاء الفتيات باحتفاظهن بغشاء بكارتهن مع أن بعض النساء يستطعن إقناع أزواجهن ويوهمونهن بعفتهنّ وبكارتهن مع العلم، أنهن كنَّ على اتصال برجال كثر قبل ذلك.

غشاء البكارة «قيمة تجاريّة مربحة»!؟

في العصور السابقة كانت نظرة الرجل للمرأة تتمحور حول كونها مصدراً للمتعة ويداً عاملة قادرة على تفريخ أيدي عاملة أخرى. وبتطور الحياة والمجتمعات باتت هذه المرأة تمثل رأسمالاً، وعلى طالب الزواج منها «لامتلاك جسدها وروحها وينبوعها» (أي فرجها) عليه أن يدفع المال بالمقابل ويهب الهبات والعطايا، وبذلك تبدو الفتيات البالغات القادرات على الإنجاب ومنح المتعة الجسدية ـ الجنسية، سلعة لا بد للزوج من أن يشتريها من أبيها أو من يقوم مقامه. لكن الرجل الذي يدفع الثمن يرفض أن يكون مخدوعاً بمزايا السلعة التي يريد شراءها وامتلاكها فهو يرغب في التثبت من أن أحداً لم يسبقه للعبث بها ولهذا السبب كانت عفة الفتاة (البنت البكر) قبل ليلة الفتح شرطاً أساسياً لإبرام عقد النكاح.

بيد أن هذا الشرط لم يكن مطلوباً ولا لازماً في كل مكان وزمان. بل هو يفقد أهميته «أولويته» تبعاً لتلك اليد العاملة وكميّة إنتاجها «وبهذا فقد تفوق كمية الإنتاج مفهوم العفة عند الزوج المشتري».

ويظهر من هذا السلوك أن للبكارة أهمية عظمى عند (الأب ـ الأهل) لأنها تزيد من سعر السلعة التي تقدم للرجل. ولعلّ هذا أحد الأسباب الذي دفع بعض المجتمعات إلى تقييد حرية الفتاة وعزلها عن مجتمع الرجال بألف طريقة وحيلة كما سبق وأشرنا. أما الهدف فهو الحفاظ على غشاء بكارتها الذي يساوي الكثير ويرفع من سعر المبيع، مبيع السلعة أي القيمة التجارية، وهكذا اندفع البعض إلى تلقين بناتهم أصول الاحتشام وأدواته وأهمية ستر أعضائهن الجنسية وغيرها مما يثير شهوة الرجال ويدفعهم إلى الخطيئة.

وفي ظل هذه الحال كان من الطبيعي اعتبار خيانة المرأة لزوجها ونقصد الفتاة التي فقدت غشاء بكارتها لسبب أو لآخر مما سبق الإشارة إليه، جريمة لكن هذه الجريمة لم تكن ضد نظام القيم والأخلاق والمبادىء بل كانت جريمة ضد الزوج في

الملكية. إشارة إلى أن بعض الشعوب وحتى وقتنا الحالي وخاصة في المناطق الشديدة البرودة الثلجية، درجت أو اعتادت على تقديم النساء للضيوف من الرجال لتدفئتهم ومؤانستهم طالما أن من حق الزوج (المالك) التصرف بجسد وروح زوجته.

وفي المحصلة نجد أن مراحل هذه التحولات في العلاقات المتبادلة بين الرجال والنساء والتي تعود إلى أزمان ما قبل التاريخ ومع بداية المرحلة البدائية التي ما لبثت أن تطورت وأرست مداميك الحضارة رأى فيها علماء الاجتماع هزيمة كبرى للجنس الأنثوي وهنّ ما زلن يقاومن تلك الهزيمة. والجدير بالذكر هنا هو أن هذا التمرّد أو المقاومة التي يبديها جنس النساء والمتعاطفين معهم من الرجال المثقفين بحرية هي ليست ضد مؤسسة الزواج بل ضد تجريدهن من حقوقهن لصالح الرجل وضد ازدواجية الأخلاق التي جاءت محصلة لذلك.

والسؤال الذي نود طرحه هنا هو: ألم يحن الوقت الذي نحرر فيه أنفسنا من خداع هذا الغشاء الذي نحتار فيه؟ وإلى متى سيظل يسيطر على تفكيرنا به؟ وإلى متى سيظل الرجل الشرقي يحسب نفسه إلهاً ويتصور غرفة نومه معبداً (كمعبد عشتار) ويصرُّ على افتضاض غشاء بكارة المرأة (الفتاة) بذكَره فيما تشهد عيناه نقطة أو نقاطاً من الدم التي سيخلّفه فعله؟

وكأني بمثل هذا الرجل يعيش في مجتمع بلاد الرافدين قبل آلاف السنين حين كانت طقوس العبادة تفرض على فتيات بابل وسومر فضّ غشاء بكارتهن للآلهة وعلى مذبحها. ألم يحن الوقت لرفض هذا المعتقد البالي والخروج من دائرته كما فعلت الحضارة الأشورية التي امتازت عن سابقاتها بالامتناع عن إرسال الفتيات «الأبكار» إلى المعابد لفض بكارتهن لآلهة الحب الجسدي الأشورية مما أغاظ رجال الدين والكهنوت في حينه. ولدرجة أن كهنة معبد «نينا» آلهة الحب طالبوا بوجوب إرسال جميع نساء المقاطعات الخاضعة لهم إلى المعبد للخدمة فيه، والذي كان أشبه بسوق الدعارة حيث تعرض فيه أجساد النساء ليتسنى للملك وحاشيته اختيار حريمهم منه.

أم أننا نعود القهقرى إلى زمن الامبراطورية الفارسية التي امتازت بالنظرة السلبية للمرأة لدرجة أنها حُجبت عن الناس. وحيث كان الرجال يتباهون بتشديد الخناق على النساء اللواتي هنّ أسيرات ملذّاتهم وحيث لم يمكن يسمح للمرأة

بالاختلاط بالأخريات اللواتي تعجّ بهم القصور والأبنية الفارهة إلّا بعد أن يلدن مما أنتج سلوكاً جنسياً جديداً عند هؤلاء النسوة حيث كنّ يمارسن الجنس المثلي «السحاق» فيما بينهن لا سيّما وأن قوانينهم لم تكن تحرّم مثل هذه العلاقات لأنها لا تمس كرامة الرجل بل كانوا يعتبرونها ألعاباً بسيطة مسلية للنساء وغير مؤذية.

أما غير الأثرياء من القادرين على جمع بضع من النساء في بيوتهم «تحت عنوان مثنى وثلاث ورباع» فكانوا يلزمون نساءهم إذا خرجن أن يغطين وجوههن وإلّا أصبحن مخلوقات سيئة. تلك كانت الحال في بلاد فارس عالم يسوسه الرجل المتزمت المتباهي بقدرته على التحكم بالنساء.

البروفيسور S.R.Mash يقول:

اكتشفت ثلاث أشياء تتصف بها النساء المسلمات.

يمكن للمهتم بهذه الدراسات أن يلاحظ أن معظم الدراسات عن المرأة المسلمة تتناول نظرة الرجل إلى المرأة وكيف أنه يدير لها حياتها ـ وهذا يعني أن نظرة المرأة إلى العالم ظلت أمراً مبهماً بالنسبة لرجالات المسلمين والغربيين.

وفي هذا المجال يقول البروفيسور S.R.Mash إن هناك ثلاثة أشياء تتصف بها النساء المسلمات.

أولاً: إن لديهن طبيعة يسيطر عليها الخوف ـ الخوف من الضرب ـ ومن الأرواح الشريرة ومن الطلاق ومن سلطة حماتها ـ ومن الشائعات التي تطالعها ومن الله أولاً وقبل كل شيء.

ثانياً: النساء يسيطر عليهن رجال أو رجل واحد.

ثالثاً: إنهنّ يعانين دائماً من خوف وحشية عالم الأرواح اللامنظور إلى جانب الاحترام الزائد لرجال الدين أكثر منها الخشية العميقة من الله كما أشرنا. هذا ما تقوله الدراسات الاتنوغرافية.

وعن المرأة في هذا المجال كتبت المدعوّة «إيمي بوست كونسيت» عن حي «إزام باستي» في كراتشي بباكستان تقول فيه إنها لاحظت عبارات كثيرة في حياة المرأة المسلمة في باكستان مثل الرجل ملكُ المنزل والزوج هو الرب الثاني والزوج

بالاختلاط بالأخريات اللواتي تعجّ بهم القصور والأبنية الفارهة إلّا بعد أن يلدن مما أنتج سلوكاً جنسياً جديداً عند هؤلاء النسوة حيث كنّ يمارسن الجنس المثلي «السحاق» فيما بينهن لا سيّما وأن قوانينهم لم تكن تحرّم مثل هذه العلاقات لأنها لا تمس كرامة الرجل بل كانوا يعتبرونها ألعاباً بسيطة مسلية للنساء وغير مؤذية.

أما غير الأثرياء من القادرين على جمع بضع من النساء في بيوتهم «تحت عنوان مثنى وثلاث ورباع» فكانوا يلزمون نساءهم إذا خرجن أن يغطين وجوههن وإلّا أصبحن مخلوقات سيئة. تلك كانت الحال في بلاد فارس عالم يسوسه الرجل المتزمت المتباهي بقدرته على التحكم بالنساء.

البروفيسور S.R.Mash يقول:

اكتشفت ثلاث أشياء تتصف بها النساء المسلمات.

يمكن للمهتم بهذه الدراسات أن يلاحظ أن معظم الدراسات عن المرأة المسلمة تتناول نظرة الرجل إلى المرأة وكيف أنه يدير لها حياتها ـ وهذا يعني أن نظرة المرأة إلى العالم ظلت أمراً مبهماً بالنسبة لرجالات المسلمين والغربيين.

وفي هذا المجال يقول البروفيسور S.R.Mash إن هناك ثلاثة أشياء تتصف بها النساء المسلمات.

أولاً: إن لديهن طبيعة يسيطر عليها الخوف ـ الخوف من الضرب ـ ومن الأرواح الشريرة ومن الطلاق ومن سلطة حماتها ـ ومن الشائعات التي تطالعها ومن اللّه أولاً وقبل كل شيء.

ثانياً: النساء يسيطر عليهن رجال أو رجل واحد.

ثالثاً: إنهنَّ يعانين دائماً من خوف وحشية عالم الأرواح اللامنظور إلى جانب الاحترام الزائد لرجال الدين أكثر منها الخشية العميقة من اللّه كما أشرنا. هذا ما تقوله الدراسات الاتنوغرافية.

وعن المرأة في هذا المجال كتبت المدعوّة «إيمي بوست كونسيت» عن حي «إزام باستي» في كراتشي بباكستان تقول فيه إنها لاحظت عبارات كثيرة في حياة المرأة المسلمة في باكستان مثل الرجل ملكُ المنزل والزوج هو الرب الثاني والزوج

هو تاج على رأس المرأة. وقد دلّت هذه العبارات والمشاهدات الشخصية تميّز المرأة المسلمة بالطاعة والتواضع للزوج بشكل كبير جداً فدخول الرجل إلى بيته يعني التزام المرأة الهدوء التام حتى التلاشي إن صحّ القول، وتبقى فقط مستعدة لتلقي أوامر الزوج فيما يتعلق بالطعام أو الشاي أو ماء غسيل الرجلين (القدمين) أو... أبو... ويصل الخوف والحذر بالمرأة إلى حدٍّ أنها تهتم جدّياً بعدم إعطاء فرصة لجيرانها ليثرثروا أو ينسجوا الحكايات عنها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النساء يتلقين معظم الأخبار عن العالم الخارجي من أزواجهن ولعلَّ هذا ما يؤثر تأثيراً كبيراً على معتقدات ومواقف الزوجات. أما عن الموضوعات الرئيسية التي تتطرق إليها المرأة المسلمة في مجالسها فتكاد تنحصر بالحمل والولادة والتربية وغيره من الأمور البسيطة التافهة.

وفي حال تمتّع المجتمعات بثقة بعضهن فإنهن يتحدثن عن المعاشرة الزوجيّة وعن الحلال والحرام في الممارسات الجنسية المتبادلة. وهذا النوع من الحديث المتبادل ليس وقفاً على نساء مجتمع معين في زمن معين.

فقد جاء في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني قصة ملخصها:

إنه كان لذي الإصبع العدواني أربع بنات، وكان يمتنع عن تزويجهن وذات ليلة استمع إليهن وهنَّ لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ونصدق.

فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى
حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بدواء النساء كأنه...
خليفة جان لا ينام على وترِ

وقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلة وضجيعها
أشمُّ كنصل السيف غير مبلَّد
لصوق بأكباد النساء واصله
إذا ما انتمى سر أهلي ومحتدي

وقالت الثالثة:

ألا ليته يملأ الجفان لضيفه
له جفنة تسقى بها الذيب والجزر
به محكمات الشيب من غير كبرة
تشين ولا الفاني والضرع الغمر

وقالت الرابعة بعد تمنّع:

زوج من عود خير من قعود.

أيضاً جاء في هذا المقام على لسان عائشة زوج الرسول محمد ﷺ كما رواه أبو حجر العسقلاني أن إحدى عشرة امرأة اجتمعن في مجلس وطلبن من بعضهن أن تتحدث كل واحدة منهن عن سلوك زوجها وطبيعته في حياتهم الزوجية (والمقصود في خفايا علاقتهم الجنسية). وفي هذا الميدان يقول الباحث أحمد عبد الرؤوف، إنه إلى جانب أن المرأة وخاصة الزوجة والأم تمثل الجوانب الأخلاقية للأسرة بالمحافظة على سمعتها وعفّتها وأن الأسرة هي مصدر الأمن للمرأة، لذلك نراها تحرص على من في المحيط المعروف لها من الجيران والأصدقاء والأقارب والأهل.

أما المهم واللافت الذي يشير إليه فهو قوله إن كل رجل من خارج الأسرة يعتبر لصاً فيما تعتبر كل امرأة غريبة عن الأسرة (أي ليست لها علاقة بالأسرة) تعتبر عاهرة وبالعاميّة خطّافة رجال وليس من المدهش أن تعتبر الأسرة أية فتاة فيها تتزوج رجلاً من قرية أخرى أو مدينة أخرى ـ أو حتى بلد آخر خسارة لمكانة الأسرة.

وحول هذه النقطة تقول «الكاتبة والباحثة ـ فاطمة الميرينسي ـ إن الخوف من الضرب وسوء المعاملة أحد الأسباب التي تجعل الفتاة أو الأسرة تفضّل زوجاً يعيش في نفس الحي أو القرية أو المدينة.

أما «اليزابيت مينتي» فتؤكد من خلال خبرتها في جنوب العراق ونسائه بأن النساء هناك دائماً في حالة خوف من الضرب على يد الزوج، أو الطلاق، أو

الحرمان من الثروة. أما المهم الذي يجب أن تتعلمه المرأة جيداً جداً فيكاد يقتصر على أمرين اثنين. طهو الأرز جيداً - والاستسلام المذلّ في فراش الزوجيّة.

أما عن النساء في «أزام باتسي»، فإنهن يقدّمن التقدير والاحترام على عاطفة الحب، لأنهنَّ يؤمنّ بأنه لا يمكن أن يكون هناك حب إلّا إذا كان هناك احترام. وبينما يعتبر حب الرجل لزوجته إلهاءً عن عبادة الله. فإن حبّه لأمه ينبغي أن يظلّ رمزاً للعرفان. أما عن شخصية الحماة، فتقول إنها تلعب على الدوام دوراً خطيراً فيما يخص حياة ابنها الزوجيّة.

المرأة المسلمة بين النص القرآني العادل وتسلّط أولي الأمر

وضاعت الحقوق تحت الحجاب المفروض!؟

إذا أمعنا العقل في تراثنا العربي الإسلامي نلاحظ أن الإسلام الذي بدأ دعوته منادياً بتحرر واحترام أكبر وأكثر للمرأة وكذا بالنسبة لحقوقها سرعان ما تراجع عن دعوته تلك بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك على يد المفسّرين والمؤولين وأولي الأمر ممن بيدهم السلطة حين تبنى أقسى أنظمة البداوة الصحراويّة وأشد التكنيكات الجنسية الاجتماعية السائدة في عصره باعتماده نظام الحجاب الكامل وحبس النساء في البيوت وبأمر المرأة بإطاعة زوجها طاعة تكاد تكون عمياء بل إنه ذهب إلى حدّ التصريح بأن المرأة التي لا تطيع زوجها لا تدخل الجنّة خاصة وأن الأمر يتعلّق برضاه عنها وبشفاعته لها. وقد كان هذا النظام جدّ مناسب للعرب البدو أو للتجمعات التجارية حيث سكنوا وحيث لم دور للمرأة خارج أسوار البيت أو بعيداً عن الخيمة في حين أن الفلاحين والذين لم يكونوا عرباً بالمعنى الاقتصادي لكلمة عرب رفضوا نظام الحجاب واستمروا في دين الاعتماد على عمل نسائهم.

فبالنسبة للحجاب مثلاً. يرى البعض أنه فُرض بهدف إلغاء الإثارة والإغراء حتى أنه ذهب إلى حدّ ـ ليس الطلب بتغطية الجسد فقط بل بتغطية الصوت (صوت المرأة) من خلال كتم صوتها الذي يُعتبر عورة.

وبشكل آخر يمكن القول إنه جاء بمبدأ يطال الإلغاء شبه التام للإثارة التي يمكن للمرأة أن تعكسها ـ وفي محاولة منّا للمزيد من التوضيح تعالوا نسلّط الضوء على التالي:

فمثلاً نلاحظ من الآية ٣٤ من سورة النساء الأسس القرآنية التي تتحدث عن

إخضاع النساء فقد جاء: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾[1]. وفي القرآن جاء ما مفاده أن الرجال والنساء متساوون في القيمة الروحية كما هو واضح في خلقهم من نفس واحدة «سورة النساء» وإن الأتقياء من الرجال والنساء موعودون بالجنة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، وعلينا أن نتساءل هنا ترى إذا كان الرجال موعودون بنوع آخر من النساء الحوريات العين، فما هو حظ النساء اللواتي يدخلن الجنّة؟ إشارة إلى أنه جاء على لسان أبي أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنّة؟ فقال ﷺ: نعم بذكر لا يملّ وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً فلا منيّ ولا منيّة. أيضاً فإن شهادة المرأة تعادل نصف شهادة الرجل في المحاكم ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾[3]. وفي البيوت تكون المرأة الزوجة عرضـ[illegible] عقاب زوجها البدني ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾[4]، كما أنها ترث نصف ما [illegible]ه أخوها ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ كما أننا نجد أن للرجال الحق الفردي في [illegible]ـلاق ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا [illegible] لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ [illegible]لِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِ[illegible] ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَا[illegible] شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾[(١)]، وكذلك له الحق في اتخاذ محظيات من الإماء تحت صيغ ومسميات مختلفة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾[(٢)] وللمرأة أن تطلب الخلع أي الطلاق ـ وفي هذه الحالة عليها التنازل عن كل حقوقها وإلّا فإنها لن تحصل عليه.

أما الحديث فقد أسهب في أدبه في عرض مقام المرأة الثانوي إلى أبعد من مجرد القول بنقصان حقوقها المشروعة. ولا يرى أدب الحديث المرأة أولاً في علاقتها باللّه ولكن في دورها أمّاً وزوجة وإذا ما أخلصت المرأة في هذا الدور المنوط بها فإنها تنال الجنة، أما قدرة النساء على فعل الخير فمحدودة.

وهناك أحاديث على لسان النبي ﷺ تشير إلى أن أغلبية أهل النار هم من النساء. فقد جاء لقد رأيت جهنم ولم أرَ حتى الآن منظراً أكثر منها رهبة. ومعظم أهل النار من النساء. فقال أولئك المتحدث إليهم من الرجال (أي الصحابة) لماذا يا رسول اللّه، فقال: «ذلك بسبب كفرهن فسألوا هل هنَّ جاحدات لأزواجهن وإلى إحسانهم لهنَّ؟ وأضاف وحتى إذا استمريتم أيها الرجال في معاملتهن بصورة حسنة فإن المرأة إذا رأت شيئاً واحداً سيئاً منك تقول. ما رأيت منك خيراً قط. وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن من أكبر الذنوب في دين الإسلام الشرك باللّه أي القول بإله آخر ثم الكفر أي جحود أو إنكار نِعَم اللّه. أما ما يمكن استنتاجه من هذه الأحاديث فهو أن أسوأ الأشياء التي لا يفعلها الرجل في علاقته مع اللّه هي ذات الأشياء التي فعلتها المرأة في علاقتها مع الرجل واستحقت اللعنة ويعني بذلك وبصفة خاصة أن الشرك في حالة المرأة هي تسليم نفسها لأكثر من رجل (أي عدم حفظ فرجها) أو شرفها أما كيف أن شرف الإنسان أعظم مخلوقات اللّه في هذا الجزء من جسده وهو الذي يتبوّل منه أو يتبرز منه فهذا سؤال برسم الإجابة.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٢٧ ـ ٢٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.

وبالعودة إلى كفر المرأة فإنه في إنكارها لإحسان زوجها على اعتبار أنه ربها وربّ الأسرة أما النتيجة التي يمكن الوصول إليها استناداً لما أشرنا إليه من أحاديث فهي أن خطيئة المرأة في حق الرجل تماثله خطيئة الرجل في حق اللّه.

أيضاً جاء في حديث آخر عن أسباب المقام الثانوي للمرأة: أيتها النساء لم أر أحداً أكثر منكن نقصاً في العقل والدين، فبالنسبة لنقصان الدين فهو في حيضكن الذي يقع عليكن لسنوات طويلة وبالتالي يبقيكن بدون صلاة أو صيام أما لما يتعلق بنقصان العقل فهو في أن شهادتكن نصف شهادة الرجل.

أما في مجال المفاهيم المعاصرة عن المرأة فقد جاء على لسان العالم الاجتماعي ريتشارد أنطوان ما يشير إلى أن فكرة تدني وضع المرأة يجد أشد تعبير له في الآراء التي تتعلق بإمكانياتها الأخلاقية وليس في مكانتها الثانوية أو في الآراء التي تخص قابليتها العقلية خاصة وأنه يوجد اعتقاد مؤكد أن النساء هنَّ اللواتي يبدأن العلاقات المحرّمة ويعزي النزوع إلى الحرية الجنسيّة إلى الدوافع الشهوانيّة الشديدة التي تحرك النساء.

أما ديفيد جوردن فيقول: تعاني النساء في الإسلام من شبهة عميقة الجذور على أنهن غير جديرات بالثقة على المستوى الأخلاقي وأن ثمة شيئاً شيطانياً أو حتى غير طاهر فيهن[(١)]. وفي هذا هو يشير إلى ما جاء في الفولكلور المغربي الذي يعتبر النساء مستودع القوى الشيطانيّة وهو يرى أن لبس الخمار وعزل المرأة اجتماعياً يمكن تفسيره بناء على الاعتقاد بقابليّة المرأة للوقوع في الخطأ ومقدرتها على الإغراء والإغواء الجنسي - ويضيف قائلاً إن المرأة هذا المخلوق الضعيف لا يمكن حمايتها إلّا بمراعاة قانون العفّة بدقة فهي تتأثر بأي شيء وهي جُبلت على الشهوة التي تضطرم في داخل نفسها ولا بدّ من القول والتوضيح هنا إلى أنه لا يمكن لأحد أن يزعم أن وجهة النظر هذه عن المرأة ووضعها هي السائدة على امتداد العالم الإسلامي.

وفي هذا المجال كتبت المدعوة فاطمة المرنتسي وهي كاتبة ومن الناشطات في ميدان المرأة والمجتمع في المغرب الحديث كتبت تقول:

---

(١) Gordon-1908.

«يبدو أن العلاقات بين الجنسين تمرُّ بفترة من الشذوذ والتشويش العميق وانعدام القواعد التي تحكمها. والأسس التقليدية التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة تخرق يومياً وتشارك أغلبية متزايدة في هذا الخرق من دون أن تتعرض لعقوبات قانونية أو اجتماعية، وحق المرأة في شغل الأماكن التي يشغلها الرجل أمر بعيد المنال. وقد بات من غير المقبول سواء على مستوى التشريعات والقوانين، أو على المستوى الفكري استمرار حالة الشذوذ هذه والتي ترجع إلى الهوّة بين الفكر والواقع.

ولا تزال شخصيات دينية من مراكز مختلفة تعارض فكرة شغل المرأة للوظائف العامة وذلك بسبب أنوثتهن التي تجعلهن يبتعدن عن العقل والاعتدال... حتى أن أحد المشايخ ويسمى الحاج شيخ يوسف في إيران، ذهب إلى القول إن المرأة تتحجب بسبب طبيعتها الحيوانيّة وقدرتها المحدودة على الحذر والإخلاص والتعقل.

وفي هذا المجال تقول الكنيسة بلسان المسيح عيسى ابن مريم - يسوع إن يسوع المسيح يمنح المرأة المسلمة الكرامة والكمال والتطهير الكامل بدمائه ويمنحها أيضاً العضوية الكاملة في الكنيسة إذا ما أحبت أن تنضم إلى المسلمين العيسويين!؟ وبالعودة إلى موضوع الحجاب نجد البعض كقاسم أمين[١] ينظر إلى الحجاب على أساس أنه عادة مرّت بها مجتمعات عديدة حتى الأوروبية منها. ويقرر أن تطور هذه العادة بل واندثارها أمر ممكن وخاضع لما تخضع له غيرها من العادات. يقول: وذلك لأن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم وفي هذا المجال قال لاروس[٢] تحت كلمة خمار كانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن ويخفين وجوههن بطرف منه «كما هو الآن عند الأمم الشرقية».

وقال: ترك الدين المسيحي للنساء خمارهن وحافظن عليه عندما دخل في البلاد فكنَّ يغطين رؤوسهن إذا خرجن في الطريق وفي وقت الصلاة، وكانت النساء تستعملن الخمار في القرون الوسطى وخصوصاً في القرن التاسع، فكان الخمار يحيط بأكتاف المرأة ويجرُّ على الأرض تقريباً، واستمر ذلك حتى القرن الثالث عشر

---

(١) من المطالبين بتحرير المرأة.

(٢) مؤرخ.

حصافة الفكر وجمال الجسد[١]. وقد رمت بي طبيعتي الخجولة بين الاضطراب والحيرة أكثر من مرة غير أن هذا لم يقلل من حبي لهذه اللقاءات الشيّقة التي يهتم فيها الجميع بخلق جو البهجة والاستمتاع به.

وهناك رأي ثالث أو رابع في الحجاب يقول: إنما جاء الحجاب بهدف إلغاء الإثارة والإغراء والغواية، لأنه يريد تغطية الجسد، ولأن الجسد لا يكفي، فقد هدف الحجاب إلى تغطية الصوت وتغطية الحركة. إذاً نحن أمام مبدأ يطال الإلغاء شبه التام للإثارة خارج مؤسسة الزواج. مبدأ يقوم على عزل نصف البشر عن نصف البشر الآخر. ويقيم عالم الذكورة ـ وعالم الأنوثة ويبني بينهما جداراً سميكاً ثم يفتح فيه ثقوباً تمرُّ من خلالها العلاقة الجنسية الوحيدة المسموحة (أي العلاقة الزوجية).

ونلاحظ هنا أن موضوع الغواية والإثارة نسبي بحيث إن الغواية ممكنة في أشد المجتمعات احتجاجباً. الحلي والروائح والتلوين تلوين الوجه والشفاه وحركات المشي والعيون. والاستعراض بعكس الحجاب لأن القيام بأعمال يفترض فيها الإغراء والغواية والإثارة الجنسيّة يعني إثارة رغبات متعلقة بالجنس.

ثقافتان متعارضتان ـ (فهل سيصمد الحجاب؟ وإلى متى؟)

إذن نحن هنا أمام ثقافتين متعارضتين واحدة تهدف إلى إلغاء الإثارة والاستعراض، وأخرى تطالب بحريتها ـ وتوظيف كل منظومة منهما ـ كل قوانينها وأنظمتها ـ في خدمة تكنيك سياسي جنسي محدد. له أرضية اقتصادية كما أسلفنا. والحجاب الذي جاء تلبية لحاجة وواقع اقتصادي محدد. هل يستطيع الصمود والاستمرار في خضم بحر ثقافة اليوم بالرغم من تغيّر بل انقلاب الظرف التحتي المذكور بشكل أو بآخر.

وهل ظاهرة استمرار الحجاب إلى يومنا هذا مؤشر على استمرار البنى البدوية والخراجيّة التجاريّة. أم أن الحجاب المعاصر هو تكتيك لواقع جديد أفرزته الرأسماليّة التابعة. والإجابة ليست صعبة إذا تمعنّا أو دققنا في علاقات الإنتاج

---

(١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي.

السائدة في توزيع الطبقات وشكل توزيع القيمة وشكل تقسيم العمل ومقدار حصة كل فئة من الثروة وشكل ملكية وسائل الإنتاج.

هذا هو المنهج الصحيح للحكم على ظاهرة فوقية بالخلود أو بالاندثار، بالصح أو بالخطأ. في هذا المستوى يُرى الجذر الحقيقي لظاهرة الحجاب.

ولكن ماذا عن اليوم؟ وما هو موقع الحجاب في جو شيوع ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج؟

إجابة نقول: في العقود الأخيرة حدث تغيّر جوهري أسفر عن شيوع ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج (تحت أكثر من تسمية وفتوى) مما أدى إلى انهيار نظام الحجاب بنسبة ما ولكنها متزايدة باستمرار في أغلب المجتمعات والدول الإسلامية. وكذا الحال فيما يتعلّق بالفصل بين الجنسين لكن أغلبية الناس تنتظر الموافقة الاجتماعية الصريحة العلنية لكي تنقل ممارساتها الحرة من السريّة إلى العلن وهذا سيؤدي لاحقاً إلى ثورة اجتماعية تلغي نهائياً وربما إلى الأبد إمكانيّة العودة إلى نظم القهر والتخلّف البائدة، وهذا ما تخشاه الطبقات التي تستمد امتيازاتها من ذلك النظام والتي تسعى اليوم وبكل ما تملك من قوة إلى الحفاظ على أشد وأقسى أنظمة القمع الجنسي التي عرفتها البشريّة عبر تاريخها.

فكم من شخص من فئات ومشارب مختلفة يتبجح بالحديث عن الشرف نهاراً ثم يتسلل سراً إلى حضن زانية أو عاهرة أو باحثة عن المتعة تحت ستائر الليل «تحت هذه الحجّة أو تلك».

وبشيء من التدقيق نلحظ أن الفرد في النخبة الاجتماعية (في مجتمعاتنا) يعامل نفسه بقانون وزوجته بقانون، وبناته بقانون. المعلن شيء والممارس شيء مختلف هو ليس متحرراً، ولا إباحياً بل كالآخرين متناقض كذّاب ولصّ ومنافق وأناني متحلل من كل التزام.

الغاية من لبس الحجاب

يقول البعض من المهتمين بهذه المسألة: إن لبس الحجاب يهدف أولاً إلى ستر العورات. فالملابس هي مظهر من مظاهر المدنية والحضارة والتجرد منها إنما

هو ردٌّ إلى الحيوانيّة وعودة إلى الحياة البدائيّة «وإن أعزّ ما تملكه المرأة الشرف والحياء والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها» ـ ويتابع رأي هؤلاء قائلاً: ليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام سيما وأن الغريزة الجنسية موجودة لدى الرجل والمرأة وأن الإخلال بها سوف يؤدي إلى فوضى جنسيّة واجتماعية خطيرة للغاية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو ما سنقرأه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

هل التناقض هو السمة الأساسية «التي تميّز تاريخنا»

بالطبع لن نتحدث في هذه الوريقات عن الانحلال الخلقي (الجنسي) الرسمي الذي هو صفة سائدة في التاريخ (العربي الإسلامي) في كل عصوره. ومن يقلّب صفحات تاريخنا ويدقق في تراثنا الفكري والأدبي والاجتماعي يكتشف كمّاً هائلاً من القصص (الكتابات) الإباحية التي تقشعر لها الأبدان (مع الإشارة إلى أننا لا نتحدث عما جرى وتمَّ فضحه في سجن «أبو غريب» في العراق الجريح على يد أناس مهووسين جنسياً وأخلاقياً). وبالعودة إلى ما يجري حولنا، فإننا إذا ما دققنا من حولنا نجد أننا مع الآخرين الكثر نطبّل ونزمّر للقيم القديمة في العلن وعلى بعض الشاشات وصفحات الجرائد والمجلات الموجهة بينما نحن ننسف القيم وندوسها بأقدام شهواتنا في السرِّ فإلى متى سنظل نكذّب على أنفسنا أو على الآخرين أو على اللّه.

أما العفة والأخلاق المفروضة على أساس أنها تمثل الإسلام الصحيح وما عداها فهو بدع وضلال وحرام محرّم فما هي في الحقيقة إلّا خادمة مطيعة مفصّلة على قياس طبقة معينة (حكام ـ مشايخ ـ مشرّعين ـ وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة وتخدم مصالحها).

وهي في التاريخ الإسلامي إما أن تكون تجارية ـ عسكريّة أو زراعية إقطاعيّة ليبقى الإسلام عبر التاريخ دعوة عامة وخطاباً مجازياً موجهاً للجميع ليستنبطوا منه ما يناسب ظروفهم بما لا يتناقض مع ما يسمونه مكارم الأخلاق والغايات السامية.

ونحن نعتقد أن من يريد أن يحارب الفساد الأخلاقي والممارسات الموسومة

بالقذارة النفسيّة والجسديّة ونقصد هنا الممارسات الجنسيّة المجنونة (تحت مسميات مختلفة)، عليه أولاً أن يلغي حياة المخيمات ولا مجال للخوض في التفاصيل وعليه الإسراع في حلّ المشكلات الاقتصاديّة والسياسيّة وأخرى غيرها كثيرة.

أما التمجيد الرسمي والشعبي بالقيم الدينية القديمة فهو لا يعني بدون إجراءات إصلاح حقيقية اقتصادية وسياسية وتراث فكرية فعّالة سوى زيادة التناقض وافتراق ما يحكى وما يكتب عما يجري ويفعل ـ فلا يمكن للباحث الموضوعي أن ينكر أن تاريخنا حافل بمثل ذلك التناقض، وأن هذا التناقض يمثّل سمة أساسية من سمات هذا التاريخ ـ ونقصد هنا التمجيد الرسمي والشعبي بالدين ثم العمل بما يخالفه حتى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي يعتبره التاريخ رمزاً للعدل والحكمة نراه لم يتنازل عن خلافة ورثها وهو يعلم أنها ليست من حقه ـ أما خلفاء المسلمين فكلهم تقريباً لم يتخلوا أبداً عن مئات الجواري الحسان، ولم يفعل ذلك إلى الآن أي من ملوك أو أمراء وحكّام العرب المسلمين. أهذا هو تاريخنا!؟ ومن يضمن لنا أن لا يكون المستقبل استمراراً لما مضى طالما أن الرؤوس الحاكمة على مستوى الدولة أو على مستوى المجتمع والطوائف لا تزال هي هي. الجد والابن والحفيد ولا مانع من الزوجة والأخت أو حتى العشيقة ونظل ندور في حلقة وراثيّة حاكمة محروسة.

فإلى متى نحني ظهورنا ونقبل أن نعيش تحت أجنحة الكذبة الكبرى التي تميّز تاريخنا العربي الإسلامي. كذبة الالتزام بالإسلام نظرياً ومخالفته عملياً، ثم التباكي عليه والحسرة والندم وطلب المغفرة من خلال شفاعة هذا أو ذاك ومن خلال فتوى ينطق بها هذا أو ذاك دون التنازل عن أي من المكتسبات التي حصلت بالباطل! الامتحان في الصدق يظهر من خلال ربط السلوك بالفكر والقول. فالطاقية والحجاب وشكل تهذيب شعر الذقن وقطع الأيدي ليست كافية لانتصار الأخلاق الإسلامية وفرض استمرار قوتها وسلطتها على البسطاء من المسلمين.

وفي هذا المجال بقي أن نقول بوضوح وصراحة وبصدق يؤكده الواقع الذي نراه ونعيشه ونتنفسه وهو أن الفكر أو الإيديولوجيا الوحيدة الشغّالة التي تحرك كل البشر ـ ونحن جزء منهم ـ وعوا ذلك أم لا هي إيديولوجيا التحرر الجنسي، وكل سلوك البشر اليوم هو سلوك خادم لها تماماً كما كان بالأمس كما سنرى لاحقاً

وخادم للمتعة التي أصبحت هدفاً رئيسياً وأساسياً للإنسان العربي الذي أُقحم في نمط الإنتاج الرأسمالي وليس أدلُّ على ذلك ما يعرضه العقل التجاري العربي من فن يكاد يكون وحيداً وهو فن إلى جانب أنه رخيص إلّا أنه السائد والرائج في السوق وما تقدمه شاشات التلفزة. ولا داعي للدخول في التفاصيل، ففي رأس كل منا ما يكفي من معلومات عن حقيقة نشاط هذه المحطات وعن القائمين عليها.

وهذا بحد ذاته دليل تخلف وإفساد، ويتضمنه الكثير من الأعراض أو الإشارات المرضيّة من الناحية النفسية. فكيف بنا إذا كانت الغالبية الساحقة من أفراد مجتمعاتنا تعاني من فقر شديد مما يدفع بها إلى ممارسة السلوك الجنسي الذي لا يحتاج إلى تكاليف وأعباء مالية خاصة وأن التمتّع بالمتع الحياتية المتوفرة التي وفّرها الغرب تكلف الكثير من المال؟

كنّا السباقين للتحرر الجنسي والانحلال والعبثيّة

تحت سقف تسلّط الطبقة التجارية الحرفيّة العسكريّة الدينية التي حكمت بلاد المسلمين منذ قرون ولا تزال تحكم إلى اليوم من خلال الأولاد وأحفاد الأولاد الدول العربية الإسلاميّة، انفصلت المرأة انفصالاً شبه تام عن النشاط الاقتصادي والانتاج مما اضطرها في أغلب الأحيان إلى بيع رأسمالها الوحيد المتبقي في بنك الجسد (جسدها) للذكر الذي أصبح يمكلها ويستخدمها كخادمة وعبدة وآلة تفقيس وترفيه عن زوجها والرجل الذي يملكها والذي هو في الأغلب يعاني من ألف عقدة وعقدة نفسيّة.

وهكذا وجدت المرأة نفسها تائهة متخبطة على طريق الغواية والإغراء وفنون الإثارة التي تجعل الرجل القوي يخضع ويركع أمام عرضها واستعراضها فيبدي استعداده لتلبية كل طلباتها حتى «لبن العصفور» وهي الضعيفة القوية بجسدها وما تختزن فيه من أحاسيس جنسية تقايض عليه لتبقى.

لكن نوعاً رهيباً من الحجاب فرض عليها كما أسلفنا ترافق بتحول مفهوم الشرف إلى مفهوم تجاري ليصبح الاعتداء على الشرف مشابهاً تماماً للاعتداء على الملكيّة. وهو نوع من السرقة لعب فيه) تواطؤ المرأة دوراً سلبياً انعكس عليها من خلال التشدّد في فرض الحجاب عليها. والغريب أن مفهوم الشرف في مجتمعنا الشرقي الإسلامي انحصر فقط بالمرأة، أما الرجل الذي يخترق حجاب الشرف لهذه أو تلك في الليل أو النهار، فإن عمله هذا لا يعتبر جريمة أخلاقية يعاقب عليها الله والقوانين الوضعيّة وإنما يفسّر هتكه لشرف الأخريات على أنه دليل قوة وشطارة ودونجوانية وفحولية.

لذلك لم يكن مستهجناً ولا مستغرباً في ذلك المجتمع مقايضة المال أو بعض الجاه (أي امتيازات معينة) أو بعض الملكية بالشرف... حيث يسود فيه (أي في

مجتمعنا الشرقي) عادة تقديم النساء للقادة والأمراء المستبدين الظالمين (وما أكثرهم وهم المنتشرون في كل مستويات الحكم (سياسية ـ عسكرية ـ دينيّة أم اقتصادية) اتقاءً لشرهم أو طمعاً في فيء فتاتهم لتصبح المرأة والشرف المرتبط بها سلعة أو نقداً يتم مبادلتها بالأمن أو المال أو الغذاء أو الثياب وغيره... وليس للمرأة شرف يتعلق بسلوك الرجل الذي كان يعبّر عن قوته وعظمته بملكيته للجواري والعشيقات والراقصات أو بالذهاب إلى بيوتهم الخاصة وقضاء ليالي حمراء ماجنة. وفي جو الفساد الاقتصادي والمالي «نتيجة انعدام العدالة في توزيع الثروة» عاث الأغنياء في مجتمعاتنا فساداً من خلال عيشهم حياة بذخ وترف وتحلّل جنسي وكأن هذا النظام (الفساد المنظم) يباع لمن يملك ثمنه مالاً.

لذلك فالحرية الجنسية كانت سلعة ثمنها يساوي ثمن الجواري. واكتشاف فعل الزنى نتيجته عقوبة على المرأة، بصفتها العبد الذي خان سيّده بينما لا يطال الرجال سوى عقوبة تجاوزه لملكيّة الآخرين.

وهكذا باتت المرأة في هذا المجتمع مجرد وسيلة تسلية وترفيه عن الرجل تلبس له وتتزين له وتعمل على متعته «إمتاعه» مقابل أن يأتي بما لذّ وطاب من الطعام وأفخر الثياب. إنها «أي المرأة» رضِيت أو فرض عليها أن تتأقلم مع سجنها وبالتالي أصبحت في ظل هذه الممارسات التي لا تخلو من الإرهاب سجينة كسولة مستسلمة مدمنة تحفظ في المنزل لا تفقه من الحياة شيئاً اللهمّ إلّا ما يصبّه الزوج في رأسها من معلومات ومعارف تخدم مصالحه وتبقيها مستسلمة وإلّا فهي لن تدخل الجنة. وكيف تدخلها ومفتاح الجنّة في يد الزوج وجيبه.

ولعلَّ ما يدفع المرأة في المجتمع الإسلامي إلى مثل هذه الطاعة العمياء ما جاء على لسان النبي محمد ﷺ من أن اللّه كتب للمرأة «الزوجة المطيعة»[1] أن طاعتها الكاملة للزوج تساوي عبادة خمسين سنة وأن اللّه بنى لها في قلبه مدينة في الجنّة.

وبالعودة إلى موضوعنا السابق نجد أنه على المرأة أن لا تهتم بشيء أبعد من

(١) عن ميمونة بنت الوليد بن الحارث الأنصارية ـ روت الحديث عن عائشة زوج الرسول ﷺ.

مطبخها وملابسها وزينتها وغرفة الترفيه الجنسي «أي غرفة نومها». بينما تعجُّ بلاطات الأمراء بالجواري الحسان والراقصات المغريات ممّن تهزّ البطن والأرداف والأثداء في حين يؤم منْ هم دون الأمراء الحانات ودور الدعارة الرخيصة وتلك الأخرى المقنعة بأقنعة الدين (المسيار ـ المتعة ـ العرفي).

وهكذا ففي مثل هذا المجتمع كانت ولا تزال مقايضة المال بالجنس هي السمة السائدة أو الفعل الرائج حتى بين الزوجين. فكم من زوج طردته زوجته من سريرها أو حرمته من جسدها أو اقتلعته من قلبها ونفسها لأنه فشل في تلبية طلباتها. أما العلاقة الصافية الساميّة الوحيدة المتبقيّة للمرأة فهي علاقتها بأولادها وهم صغار (وإن كانت مثل هذه العلاقة الوحيدة باتت تتأرجح مع الرياح في هذه الأيام).

مما سبقت الإشارة إليه يتضح لنا أن التحرّر الجنسي الذي ننسبه للغرب والذي هو عندهم نتاج نهضة وتقدم وازدهار كنا السبّاقين إليه كدعوة للانحلال والفوضى والعبث رغم أنه كان هدفاً أساسياً لثورات اجتماعية دينية كبيرة حدثت في تاريخنا القريب ضد أشد وأقسى عصور وعناصر الانحطاط ـ ومع أن هذه الثورات استطاعت أن تفرض نفسها ونظامها في مرحلة معينة على مناطق واسعة من بلداننا إلّا أنها عادت وانكفأت تحت ضغط الجيوش الأجنبية وأولي الأمر من قادة مجتمعاتنا.

العري والممارسات
الشاذة في الحمام العمومي

بعد البحث والتدقيق وجدت أن مسألة العري داخل الحمام العمومي في المجتمع العربي الإسلامي القديم (إن صح القول) قد خضعت للبحث والتدقيق خاصة لجهة العورة والنظرة المحلّلة والفصل الدقيق بين الجنسين.

خاصة وأن النبي محمداً ﷺ أبدى من الرأي والقول ما أظهر تحفظه الشديد للحمامات العامة، في حين قال فيه الغزالي ما مفاده أنه يتوجب اقتصار ارتياده بالنسبة للنساء على حالات المرض والوضع مع ضرورة ستر أبدانهن بملاءة.

بالعودة إلى العري داخل الحمام. فبالنسبة للرجل يحرّم كشف الجسد فيما بين السرّة والركبتين. أما النساء فالجسد كله عورة فيما عدا الوجه وراحة اليدين، وفي حالة الضرورة يسمح بكشف الذراعين والساقين - وينسحب المنع نفسه على «المساج» التدليك الذي يحلل للظهر والساقين لكن ما العمل بالنسبة لبقية أعضاء الجسم؟ هذا الموقف المميز أسفر عن العديد من القواعد المحكمة التي تعدُّ بمثابة فتاوى شرعية، فعلى المرء أن يعي أدب الحمام - وفي هذا المجال جاء على لسان الغزالي حول أدب الحمام في مؤلفه «إحياء علوم الدين» (فلا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين - إزار للعورة وإزار للرأس يتقنّع به ويحفظ عينه ليصونها عن نظر الغير.

والعودة إلى الحديث عن الحمام العمومي وما يحدث فيه تقودنا إلى القول بأن كلا الجنسين يفتقد إلى الحشمة والحياء في الحمام حيث يصرُّ الروّاد على البقاء عراة بقدر ما يُسمح لهم مع قمع مؤكد لرغباتهم التي تتوثب للكشف عن المزيد. فإذا كانت النفس بشكل عام أمّارة بالسوء فكيف سيكون حالها في جو مفعم بالإثارة ومهيّج للأحاسيس؟

أما الأكيد والمثير فهو ممارسة المساحقة التي عادة ما تزدهر في أجواء التباهي

بالأجساد والأعضاء. والمزيد من العري الذي أكثر ما تصرُّ عليه هي النساء اللواتي يدمنّ زيارة الحمام العمومي خاصة حين تتواجد في الحمام فاسقات يرغبن في لفت الأنظار وإيقاظ وإشعال الشهوات وتفجير براكينها المتفاعلة في ممارسات مفتوحة يفضّلنها على الاتصال بالرجال والمقصود الاتصال الجنسي مع الرجال. مع الإشارة إلى أن زجر المرأة وحبسها في سجن الممنوع والحرام والعيب يدفعها أكثر إلى استغلال أول فرصة لعرض ما منحها اللّه من جمال الجسد وميزة كبر الأعضاء التناسلية والأثداء على الأخريات للتباهي على الأقل... لأن في مثل هذا العمل نوع من الإشباع والإرضاء والتباهي (التفاخر). تماماً كما يتباهى الرجل بكبر حجم أعضائه التناسلية أو بفحولته.

واللافت أن اهتمام الفقهاء والرقباء للشذوذ الجنسي لكلا النوعين المساحقة بين النساء ومعاشرة الغلمان مِن قبل الرجال كان واضحاً حتى أن بعض الشعراء تغنوا بعشقهن للغلمان بسبب كشف هؤلاء عن أجسامهم الفتية العارية.

أما الغريب والمدهش حقاً فهو استمرار واستفحال أمر العري رغم التحذيرات والمراقبة حيث كان العري الكامل مفضلاً على مستوى بعض المجتمعات العربيّة المسلمة. فعلى الرغم من احتفاظ الحمامين بمناشف كثيرة يلتف بها البعض لستر العورة. فإن كثيرين لم يحفلوا بستر أنفسهم واكتفوا بمواجهة الحائط أما بالنسبة للنساء، فكان العري سائداً إذ إن نسبة منهن تقارب النصف كنَّ راضيات بالتجوّل عاريات. وقد جاء في كتابات بعض من تعرّض لهذا الموضوع أن الحمام حين كان يفتح للرجال كان دخول النساء محظراً غير أن الأمر كان يختلف حين يكون الحمام مفتوحاً ومخصصاً للنساء حيث كان يمنع دخول البالغين من الذكور. أما من هم في سن الصبيان فلا تغلق دونهم الأبواب.

وغالباً ما كانت النساء يصحبن أولادهن إلى الحمام. ولأن الأمهات اعتدن على اعتبار أولادهن مجرد أطفال لأطول فترة عمرية ممكنة ـ لذلك لم يكن مستهجناً رؤية غلام مراهق بجانب النساء العاريات من مختلف الأعمار ـ أما الذي كان يحدث فهو أن مراقبة هؤلاء الصبية المراهقين كانت تلحظ بعينها وأذنها وحواسها النسوية الأخرى أية إشارة تصدر عن أي من الصبية تدلُّ على أنه بدأ ينظر باندهاش

أو استغراب أو تعجب إلى شيء ما أو جزء ما من جسد هذه المرأة أو تلك أو بدأ لسانه يطلق أية أسئلة لماذا؟ وكيف؟ وما هذا؟ ولماذا شكله هكذا أو لماذا حجمه بهذا القدر ـ أو أن يبدأ بالتمييز بين ثدي هذه أو تلك أو غير ذلك من الأسئلة لأنه لو حدث مثل هذا لَمُنِعَ من دخول الحمام ثانية (بعد ذلك) هذا إذا لم تطرده المراقبة فور انتباهها أو تبلغ أمه حتى لا تحضره مرة أخرى. وفي مثل هذه الحالة ـ حالة إقصاء هذا الصبي أو ذاك ومنعه من مرافقة أمه إلى حمام النساء لا يبقى له سوى كم كبير من الذكريات عن كمٍّ هائل من اللحم العاري والأجساد المتباينة الحجم والشكل ولون البشرة ناهيك عن الأعضاء التناسليّة وغير التناسليّة التي يكاد يكون قد اعتاد على تدلّي بعض منها فوق رأسه أو على كتفه أو يلامس زنده.

ويبقى الحمام في الذاكرة

بعد أن يكتشف تحوّل الصبي إلى مراهق ويمنع من دخول الحمام إلّا أن هذا الأخير «الحمام» يبقى داخل ذاكرته بصفته المكان الأوحد لاكتشاف الصفات التشريحية لأجساد الآخرين (أو الأخريات). وحول هذه النقطة تعترف إحدى الصبايا عن مشاهداتها في الحمام قائلة: .

لن أنسى منظر العجائز البشع وهنَّ يجلسن من دون حياء أو خجل بين الصبية بصدورهن المتهدلة ذات اللحم الرخو والحجم المضحك.

وفي المجال ذاته كتب أحد المغاربة من أصحاب القلم يقول: لن أنسى ما حييت ذكرياتي في الحمام النسوي خاصة وأن الحمام ليس مجرد مكان يشاهد فيه اللحم الراغب في الاغتسال. إنه عالم كبير غير متوقع ـ وذكرياته مختلطة بين حياء ووقاحة كسل واسترخاء. . . ومشاعر تتحرك ببله في جو رطب ساخن تنبعث من جنباته نغمات الأصوات الناعمة المتأرجحة بحسب درجة حرارة البخار الذي يلامس الأجساد. إنها رحلة تسكن العقول وتتمرس في الذاكرة. وبشكل آخر يمكن القول إن هذا العالم القريب الذي لا ينسى يشكل عقدة إن شئنا أم أبينا ويمكن تسميتها عقدة الحمام. لماذا؟ لأن هذه العقدة يحيط بها مساحة كبيرة من المشاهد وربما الممارسات الجنسية المختلفة الحركة والأسلوب.

أما المهم والمخيف فهو تحوّل كل خبرات الأطفال البالغين إلى نوع من

التوأمة أو الخلط بين ما تحتفظ ذاكرته به وما يتخيله أو يتصوّره ويحاول استعادة إحضاره أو استحضاره ولو بالخيال. كل هذا وسط البخار الساخن الذي يسخن البدن ويلهب الروح ويطلق عنان المخيلة. والحق يقال ما أجمل أن يعيش الذكر بالغاً كان أم شاباً أم حتى رجلاً أن يعيش الحلم الأنثوي المتجدّد الذي يحمله كلٌّ منّا نحن الذكور بداخله.

كل هذا يحدث بداخل اليافع (البالغ) وسط لبس لا يلبث أن يجعل منه عرضة للاضطراب والقلق وفقاً لوصف «سيرفوري» ولذلك فلا مجال للدهشة إذا اشتهر الحمام العام كمكان لممارسة الشذوذ الجنسي من قبل الجنسين الذكور والإناث. أما اللافت هنا فهو بعض ما قاله المفتين من رجال الدين حين نبّهوا النساء والفتيات اللواتي يذهبن إلى الحمام العمومي أن لا يجلسوا على أرض الحمام قبل غسل مكان جلوسهن خوفاً من وجود بعض من منيّ الرجل المفرّغ هنا وهناك على الأرض أو في زوايا الحمام حتى لا يحملن (وكأن هذا القول أو هذه الفتوى تؤكد ممارسة هذا وذاك من اليافعين أو البالغين لنوع من الممارسة الجنسيّة؟).

كذلك تمَّ تنبيه الرجال إلى عدم الجلوس على البلاطة التي كانت تجلس عليها المرأة المغتسلة قبل تبريد المكان جيداً وغسله لأن استمرار وجود حرارة جسدها (مقعدتها) عليه يسخّنه مما يشعر جسد الرجل بشيءٍ من المتعة الحرام غير الشرعية. ولعلّ ما سبق في السطرين الأخيرين يدعم فكرة (معتقد) تشبيه المرأة بالشجرة كقوة نارية وإخصابية حيث تخرج الحرارة التي لا تلبث أن تستعر ناراً من بين فخذي المرأة.

ولا شك أن مثل هذه الأقوال تحت عنوان الحرام وغير الشرعي والتنبيهات قد وضعت الأبكار من النساء ـ والبكر جمع أبكار ـ في جو هاجس الخوف من الحمل بسبب جلوسهن على بلاط الحمام. مما أنتج أنماطاً عديدة من جنون الحمام بداية من العري والاضطراب الجنسي وانتهاءً بما قد يتفشى من أمراض. ولعلّ قصة ألف ليلة وليلة توفر لنا عشرات الأمثلة عن هذا الجو المشحون بالجنون والهوس الجنسي.

وبالاستناد لما سبق يمكننا القول كم من قصة حب شهدت بداية من هذا

النوع أو ذاك وفي هذا تقول إحدى العجائز الكرنيبات: ملعونة هي المرأة التي تصف لزوجها جمال جسد امرأة أخرى رأتها في الحمام... لأنها سرعان ما تصبح ضرّتها.

أسطورية أجواء الحمام العام «أو ما يسمى بحمام السوق»

يمكن القول إن أسطورية أجواء الحمام لا ترجع فقط إلى تصميمه وفقاً لحرف (S) فحسب وإنما لما يثيره من خيال لأنه بمجرد الدخول إليه ينساب المرء في رواقه المتّجه إلى الأسفل نظراً لتصميم الحمام أدنى من مستوى الأرض لأسباب كثيرة حيث توقظ الغرف الدافئة عالماً ساحراً وكاملاً من الأحلام. فاندفاع المستحم في أروقته هو اندفاع نحو السخونة المتزايدة وسط جو انعزالي تدريجي عن العالم الخارجي. فإذا أضفنا لما سبق الأبخرة الساخنة المنبعثة والصابون والزيوت المطيبة المختلفة والأصوات القادمة من هنا وهناك و«للقارىء أن يتخيل طبيعة هذه الأصوات الصادرة من الزوايا» يصبح الدخول إلى حمام السوق أو الحمام التراثي كما يسميه البعض هو في الواقع عودة بالحلم إلى الصدر الحنون الدافىء في سن الطفولة، والذي لا يلبث أن يتبعه اندفاع نحو غموض مثير يحمل الكثير من ألوان الإشباع لمن تسلّقوا جدار البلوغ وعرفوا مذاق الشهوة.

السوي والشاذ

بداية لا بدّ من القول إن مفهوم السواء والشذوذ هو مفهوم نسبي، لو نظرنا إليه من أية زاوية، ولأنه لا يوجد بالفعل حدّ قاطع (فاصل) بين السواء والشذوذ، فإننا لا نستطيع أن نقول بقدر كبير من الثقة إن هذا سوي إلّا إذا كان الشذوذ واضحاً تماماً. «ولن نتطرّق إلى وجهات النظر المتعدّدة التي بحثت في هذا المجال السواء والشذوذ ـ مثل وجهة النظر الباتولوجيّة، أو وجهة النظر الإحصائيّة، أو وجهة النظر الحضاريّة ـ لأن هذا ليس هدفنا في هذا البحث.

أما الذي يمكن اختصاره فهو القول بأن علم نفس الشواذ هو ذلك الفرع من علم النفس الذي يهتم بدراسة كل أشكال اضطرابات السلوك والشخصيّة وتصنيفها مع محاولة وضع أسس لعلاجها في الفرد لحلّ المشكلات الاجتماعية الناجمة عنها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العرب أو بعض علماء العرب سبقوا الغرب في دراسة السلوك الشاذ ـ فقد وضع ابن سينا سنة ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ بعد الميلاد ومن بعده ابن رشد سنة ١١٢٦ ـ ١١٩٨ بعد الميلاد (وآخرين) منهجاً علمياً لدراسة السلوك الشاذ والأمراض العقليّة والنفسيّة.

الصراع

الحياة سلسلة من مواقف الصراع. ومن مواقف الصراع التي ذكرها «فرويد» الصراع بين البحث عن اللذة وبين الواقع. والصراع بين الحب وبين الكراهية، والصراع بين السلبية وبين الإيجابية. أما مدى نجاح الفرد في حلّ هذه الصراعات فإنه يعتمد على النمو تجاه النضج ـ ومن أشهر ما قاله «فرويد» في مجال النمو النفسي الجنسي «عقدة أوديب» خلال المرحلة القضيبيّة ـ والقفز عن ما يسميه فرويد بمرحلة الكمون نجده يتحدث عن المرحلة التناسلية حيث يفترض أن النمو النفسي الجنسي للفرد يتم اكتماله عندما يصل إلى توافق مشبّع في المرحلة التناسليّة، فمع

بداية البلوغ تنبعث الحاجات الجنسيّة، وباستمرار النمو يسعى المراهق نحو الإشباع عن طريق الجنسيّة الغيرية التي هي في المبدأ نرجسيّة الطابع ويحكمها مبدأ اللذة...

الحاجات الجنسيّة

تعتبر هذه الفئة منفصلة عن الحاجات الأخرى نظراً لأن النشاط الجنسي يشبع كلًا من الحاجات البيولوجية، والحاجات السيكولوجيّة. وعلى الرغم من أن الجنس حاجة حشوية والنشاط الجنسي من وجهة النظر البيولوجية يعمل على تخفيف التوتر الفسيولوجي ومن وجهة النظر السيكولوجيّة، فهو هام في إشباع الكثير من الحاجات الشخصيّة والاجتماعيّة. وتختلف الطريقة التي تشبه بها الحاجات الجنسيّة ودرجة هذا الإشباع اختلافاً واسعاً باختلاف ظروف الحياة وباختلاف خبرات تعلم الفرد الذي تلعب دوراً هاماً في تحديدها. ومن الممكن أن نقدر تعقيد الدافع الجنسي إذا لاحظنا إلى أي حدّ تتأثر أوجه النشاط الإنساني المختلفة بالجوانب الجنسيّة. لاحظ مثلاً انتشار استخدام الرموز الجنسيّة لجذب الانتباه وإشعال الإثارة في الإعلانات والاهتمام بالجنس في كثير من أنواع الترفيه، وانحرافات الدافع الجنسي ونتائج إحباطه عوامل أساسية في ديناميات السلوك الإنساني.

الانحرافات الجنسيّة

يظهر السلوك المنحرف جنسياً في أية صورة من صور الإشباع بطريقة غير طريقة (مغايرة لطريقة الجماع الجنسي الغيري، أي مع الجنس الآخر) حيث تصبح هذه الصورة الشاذة هي الصورة المفضّلة أو الوحيدة للنشاط الجنسي. ونحن نصف الأفراد بوصفهم منحرفين جنسياً عندما لا يكون الانحراف في صورة مجموعة من الأعراض مثل «الاستجابة الفصاميّة، أو الاستجابة الوسواسيّة» وتفاصيل شرح ما أشرنا إليه ليس مكانه هنا. وعليه، فغالباً ما تكون أشكال الانحرافات الجنسيّة الناجمة عن صعوبات في النمو النفسي الجنسي راجعة إلى عوامل بيئية، ونادراً ما ترجع إلى عيوب تكوينيّة فقط.

والانحرافات الجنسية الرئيسية هي الجنسيّة المثلية «مع نفس الجنس» Homosexuality والانقلاب Transvestism، وجماع الصغار Pedophilia،

والفتشية Fitishism، والبهيمية Festiality، والتطلع Voyeurism، وحب الاستعراض Exhibitionism، والسادية أو المازوجيّة Sadism of masochism.

الجنسية المثلية هي الفعل الجنسي مع شريك من نفس الجنس. وعندما تناقش هذه المشكلة يجب أن نلاحظ أنه لا يوجد فصل واضح بين الجنسيّة المثلية والجنسيّة الغيريّة حيث تشير النتائج الإكلينيكية إلى أن كثيراً من الأفراد الذين لم يمارسوا أي سلوك جنسي مثلي واضح لديهم ميول جنسيّة مثلية لا شعوريّة كامنة (بحسب فرويد).

الأسباب

لا يوجد سبب واضح للجنسية المثلية. فهناك عوامل كثيرة تختلف أهميتها النسبية اختلافاً واسعاً ـ فبالنسبة للعوامل التكوينيّة يجب أن نفرق أن جسم كل إنسان يحتوي على الهرمونات الأنثوية والهرمونات الذكرية معاً، والذي يحدد درجة الذكورة والأنوثة في الفرد هو تغلّب هرمون على آخر وليس غياب هرمون ووجود هرمون آخر. وقد كشفت بعض الدراسات على المصابين بالجنسية المثلية أن هذا التوازن الهرموني غير موجود في بعض الحالات. ولكن لم يتأكد بشكل قاطع أهمية هذا التوازن كعامل مسبب في الجنسيّة المثلية.

وبالنسبة للعوامل السيكولوجية يعتمد النمو النفسي الجنسي الذي يؤدي إلى توافق جنسي غيري على نوع العلاقات الانفعالية الفعّالة التي عاشها الفرد في مجال أسرته وامتدت أيضاً إلى ما بعد ذلك. وتنمو الجنسيّة المثلية عندما يفتقر الفرد إلى هذه العلاقات أو عندما تكون ضعيفة أو مختلة وترتبط الخبرات الانفعالية التالية بالجنسية المثلية.

خبرة جنسيّة مثلية في الطفولة جلبت له اللذة. نتيجة مشاركته عن رضى ورغبة وحب استطلاع ويتفاقم هذا النوع الأخير من الخبرات الجنسيّة عندما يترك الأطفال مدة طويلة دون إشراف (كما في المدارس الداخليّة ـ أو المؤسسات الخيريّة مشردين ـ لقطاء ـ أيتام) أحداث وغير ذلك.

أيضاً من الأسباب (الدافعة للممارسة الجنسيّة المثلية) المشاكل والخلافات والصراعات وعدم التوازن في العلاقات العائلية بين الرجل والمرأة ـ وأحياناً تفضيل

ولد على ولد أو ولد على بنت. كذلك يعتبر الخوف من الخصاء أحد الأسباب التي تدفع بالفرد طفلاً ثم مراهقاً إلى ممارسة الجنسيّة المثلية (ولا مجال لشرحها بالتفصيل لأنها شأن سيكولوجي بحت).

وهناك عوامل سيكولوجيّة أخرى تؤدي إلى الجنسية المثلية وهي غالباً نتائج جانبيّة للعوامل التي ذكرناها سابقاً أكثر منها أسباباً في حدّ ذاتها. وهي الخوف من الزواج الناجم عن خلافات الوالدين والخوف من مسؤوليات الزواج والحياة الأسريّة، والخوف من إقامة علاقة جنسيّة مع الآخر نتيجة خبرات إذلال وإحباط سابقة - وهناك من يمارس الجنسيّة المثلية طمعاً في الكسب المالي أو أية مكاسب أخرى معنويّة. كذلك فهذا النوع من الممارسات الشاذة تكثر في السجون التي تختلط فيها الأعمار - وكذلك في الوحدات العسكرية المعزولة لمدة زمنية طويلة في مناطق نائية - ومثل هذه الممارسة الأخيرة تسمى استجابة موقفيّة وهي لا تستمر.

رأي آخر في الجنسيّة المثلية

لقد اتضح لدارسين واختصاصيين آخرين أن حالات الشذوذ الجنسي التي أصبحت تتزايد بين الذكور أحد أسبابها تلك الأمور في الأسر الحديثة. فالأم تفطم طفلها عن اللبن لكنها تعجز عن فطامه نفسياً لا بسبب حبّ الأم ولكن بسبب أنانية الأم التي تشعر بالوحدة والانعزال. وفي مثل هذه الحالة يختار الطفل «ممارسة الشذوذ الجنسي» كمحاولة من جانبه ليزيد من إحساسه بذاته عن طريق الاختلاف عن الآخرين - إنها محاولة لينكر أن ذاته لم تنفصل عن أمه وليخفي عجزه عن هذا الانفصال، كما أنها رغبة من الابن في إرضاء أمه وعدم إثارة غيرتها وذلك بأن يحب رجلاً (ذكراً) وليس امرأة (أنثى).

وفي الانحرافات الجنسيّة الأخرى كما أشرنا ذاك الشذوذ المعروف «بالانقلاب». والانقلاب Transvestism - هو شكل من أشكال الانحرافات الجنسيّة يعمد فيه الشاذ (المنقلب) إلى ارتداء ملابس الجنس الآخر وفي الحالات المتطرفة يحاول المنقلب أو نراه يعيش كلية في دور الجنس الآخر. فالفتى أو الشاب المنقلب قد يستخدم أصابع أحمر الشفاه والمساحيق ويمارس العادة الأنثوية (ومثل هذه الحالة منتشرة بكثرة في مصر وغيرها من البلدان) وفي مصر يسمى (خَوَل) وهو يفعل كل

ذلك لكي يزيد في توحده بدور الأنثى وليصبح أكثر جاذبية للرجال. والأشخاص الذين يتسمون بالانقلاب قد يمارسون أفعالاً جنسيّة مثلية ومن العوامل الهامة التي تؤدي إلى حالة الانقلاب الوالد الذي يعامل طفله ويلبسه وكأنه من الجنس الآخر. لأنه لا يريد طفلاً من هذا الجنس وعلاج مشكلات الطفل المنقلب هو تماماً كنفس علاج المصاب بالجنسيّة المثالية.

وخير ما نختتم به هذا البحث المخصص للواط والسحاق ما جاء من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تحرّم هذا الفعل وتلعن فاعليه وتتوعدهم بالجحيم. فمن الجهة الشرعيّة يعتبر هذا الفعل (اللواط ـ السحاق) كبيرة من الكبائر ـ وقد قصَّ اللّه عزَّ وجلّ علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قوله بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾[1].

وفي هذا إنذار من ربّ العالمين لضالّي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحلّ بهم ما حلَّ بأولئك من العذاب.

وفي هذا يقول النبيّ الكريم: أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً. وقال: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، رواه أبو داود والترمذي، وقد أجمع المسلمون على أن اللوط من الكبائر التي حرّم اللّه حيث قال تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾[2]. ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾[3].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ﴾[4]. وكان اسم قريتهم سدوم وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها اللّه سبحانه في كتابه العزيز. كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.

وفي هذا قال الإمام علي رضي اللّه عنه: من أمكن من نفسه طائعاً حتى يُنكح ألقى اللّه عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة ويلحق باللواط من الناحية الشرعية ـ «نكح» المرأة من دبرها وفي هذا نقل الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ.

وبعد... فإن تفشي هذه الظاهرة المرضية في مجتمعاتنا العربية أصبحت مخيفة والناظر إلى شباب وفتيان اليوم خاصة المراهقين منهم يلحظ ما في أجسادهم من ميوعة ورخاوة حتى نتف الحواجب أصبح شيئاً ظاهراً ناهيك عن نبرة الصوت والحركات وألوان وأشكال الملابس التي يرتدونها والدعوة الصريحة الوقحة إلى التخنيث ـ وللأسف هي دعوة مسموح بها ومرخصة سواء على صفحات المجلات أو على شاشات التلفزة أو في وسائل الإعلام الأخرى وبعض المؤسسات والأكاديميات المخنثة. واليوم بالتحديد يوم كتابة هذا البحث سمعت إعلاناً على شاشة تلفزيون عربي يخص مجلة «زهرة الخليج» وكان الإعلان يطالب الشباب والرجال من قليلي العقول أن يتجملوا ليعجبوا النساء. (كانت الدعوة واضحة لتدمير النشء وإفساد أولادنا وشبابنا الذين من المفترض بهم أن يحموا... والوطن).

أما المخيف فهو سنّ القوانين والتشريعات في بعض الدول (مثل بريطانيا وإسرائيل وبعض ولايات أمريكا والسويد وغيرها) التي تشرع (تشرعن اللواط وتحميه وترخصه) هذا مع الإشارة إلى أن مثل هذا الفعل بل ألعن منه وربما بدون تشريع قانوني كانت قد سبقت إليه بعض دول الخليج وخاصة حيث يجاز زواج الذكر من الذكر وسط الطبل والزمر والطقوس الأخرى. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو ترى كيف سيكون حال أمتنا (شباب أمتنا) بعد دخول إسرائيل بعض دولنا العربية علانية وتسلّلها إلى أخرى سراً. ناهيك عن المدارس والأكاديميات التي تخرج محترفي التخنث تحت يافطة الفن (غناء ـ رقص وغيره...؟).

اللواط هو تعبير مسموح به عن الطاقة الجنسية عند الرجال والنساء

كتب الدكتور سي ـ دي ـ برود يقول:

إن الجرأة الجسدية هي وسيلة أفضل لتعميق وتركيز الوعي ـ وذكرنا درة تقول:

سئل طالب صغير يوماً عن طموحه عندما يكبر ويصبح رجلاً، فأجاب باختصار مجنون جنسي (بمعنى الإنسان المصاب بالهوس الجنسي أي الإنسان الذي لا يفكر إلّا في الجنس).

والطريف كما يقول الدكتور أن كثيراً من الناس يعتقدون أن المجنون أو المهووس جنسيّاً، هو من القليلين في المجتمع الإنساني الذي يستطيعون أن ينهلوا من الحياة بطريقة حرم منها الآخرون.

أما أحد المراهقين فقد انتابه إحساس ما بأن الاغتصاب أو الاستحواذ الفوري قد يكون الوسيلة الوحيدة لإرواء الرغبة التي ثارت فيه ويتابع الدكتور إن أية دراسة تجري على عالم الجرائم الجنسيّة (التشبيهيّة) ستكشف عن وجود مثل هذه الرغبة المكبوتة ومن المعروف أن البوليس يستاء من قيام الصحف مثلاً بنشر تفاصيل جريمة جنسية ما لأن ذلك يؤدي أحياناً إلى حدوث عدد كبير من الجرائم الجنسية. وإن واحدة من أكبر المشاكل التي تواجه المدنية المعاصرة هي مشكلة عدم التمييز الجنسي وإن أحد الأسباب الرئيسية للازدياد في نسبة الجرائم الجنسيّة هو ازدياد وسائل الإثارة الجنسية، فما هي الحدود المسموح بها للنشاط الجنسي الإنساني؟

يقول... إن مجتمعا لا يسمح لرجل شهواني بمضاجعة الفتيات الصغيرات هو مجتمع لا يعامله معاملة عادلة!

ففي لغة الفنمنولوجيا نقول: «إذا أراد الإنسان أن يوسع حدود عمدتية اللاواعية فإن عليه أن يوسع تجربته الجنسية وإذا أراد الإنسان أن لا يسمح لعمدتيه بأن تفرض عليه وعلى العالم الخارجي حدوداً ضمنية فإن عليه أن يتحكم في هذه العمدية ويمكن تحقيق ذلك بأن يبقى الإنسان على اتصال بدائرة العمدية (أي الوعي الباطني) عن طريق تجربة جمالية أو جنسية. فـ«بليك» مثلاً كان يؤمن بالحب الحر... أما ويتمان وهو كذلك من الصوفيين الجنسيين فكانت عنده ميول لوطية أكيدة وهو لذلك يشير ضمناً في كتاباته إلى أن اللواط هو تعبير مسموح به عن الطاقة الجنسية، ومن الممكن أن يصح ذلك على النساء والرجال معاً أما الأديب المدعو (لورنس) فيميل في اعتقاده إلى أن اللواط يعتبر بطريقة ما تجربة جنسية أكثر كمالاً من الجماع العادي. وكتاب «Karma Sutra» الهندي يصف كثيراً من الأعمال الجنسيّة التي يعتبرها البعض شاذة ومع ذلك فإنه يمكن القول إن أحكامه ومبادئه مرتبطة ارتباطاً

وثيقاً بالصوفية النبوئية في الباجافاد جيتا «Bhagavad Gita» وبنفس القدر الذي تربط به آراء بليك الدينية بنظرياته الجنسية ـ وهو ببساطة شكل آخر من أشكال التعبير التام عن حرية الإنسان وكل هذا هو تكرار لاعتقاد «أندريه جيد» بأن التعريف القانوني «للانحراف» ليس على الاطلاق هو التعريف الطبيعي. ومعظم علماء الجنس متفقون على أن ممارسات جنسيّة معينة قد تتم بين رجل وزوجته لا يمكن اعتبارها «انحرافات» لأنها ليست بديلاً تاماً لعملية الجماع العادي. ويذكر الدكتور مارك آدمز أن السلطات في الولايات المتحدة تقدر أن حوالى ٩٥٪ من الذكور الأميركيين يخلّون ببعض القوانين الجنائية الخاصة بالسلوك الجنسي. حيث يلجأون إلى ممارسة الجماع الاستي (أي من الخلف) والتهيج عن طريق الفم (بالمص واللمس) ويتابع الدكتور قائلاً من الواضح استحالة التواصل إلى تعريف للانحراف الجنسي لأن الإنسان يكون في أفضل حالاته حينما يسيرّه هدف ما، ورؤيا هذا الهدف.

بعض أشكال الشذوذ المعروفة

١ ـ المازوشية أو (الماسوكيزم) ومعناها أن يستساغ في سبيل إثارة الشهوة الجنسية وإشباعها الخضوع لأفعال من العنف والإذلال يرتكبها الشخص المحبوب.

٢ ـ السادية «الساديزم» وفيها لا تثور الشهوة الجنسية عند الفرد إلّا إذا أتى أفعالاً من العنف على جسم المرأة.

٣ ـ أما الشكل الثالث من أشكال الشذوذ الجنسي وهو الذي يدخل في نشوئه انحطاط أدبي وأخلاقي وشذوذ جنسي أو عضوي ينشأ عنه جموح في الشهوة وانهيار في قوة ضبط النفس يساعد عليه فساد الجو العائلي ومن أشكال الشذوذ الجنسي السابق الذكر (المشار إليه) تتولد جرائم الاعتداء على العرض بصورها المختلفة.

جرائم الاعتداء على العرض:

مثل هذه الجرائم ينتجها شذوذ في الغريزة الجنسية غير أن هذا الشذوذ بمفرده لا يؤدي إلى الجريمة كوسيلة لإشباعه إذا اقترنت به ظروف تجعل منه عرضاً مصدراً لجريمة إلّا حين يكون مصحوباً بتكوين إجرامي.

وهناك نوع (شكل) آخر من الشذوذ الجنسي يطلق عليه «فيتسزم» وفيه تثور الشهوة الجنسية عند رؤية معينة من جسم الغير (أو لون معين من الملابس) أيضاً هناك:

البيدوفيليا ـ Pedophilia ـ أي العلاقة الجنسية مع صغار الأطفال.

النكروفيليا ـ Necrophilia ـ وهي العلاقة الجنسية مع جثث الموتى.

وهذه النيكروفيليا من الممارسات الجنسية الأساسية لفرق عبدة الشيطان.

السحاق

هو نوع من أنواع الممارسات الجنسيّة المثلية ـ الارتكاسية ـ بلغة السيكولوجيا. أي «امرأة مع امرأة». ومثل هذه الممارسة تعتبر في الشرع الإسلامي نوعاً من الزنى وهو حرام ومحرّم ويعتبره الإسلام كبيرة من الكبائر تماماً كالزنى.

وفي هذا المجال جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «السحاق بين النساء زنى بينهن» ذكره الطبراني ـ وطالما أن النبي ﷺ قد نهى عنه، فهذا يعني أن ممارسة السحاق في المجتمع العربي النسوي كانت موجودة أو (معروفة وممارسة).

إشارة إلى أن الأهداف الجنسيّة منوّعة لدى النساء المرتكسات، فهناك من يفضّل الملامسة عن طريق الغشاء المخاطي للفم وفي هذا النوع من الممارسة المثيرة كانت عائشة[1] زوج الرسول ﷺ تقول: كان إذا قبّل الواحدة منّا مصّ لسانها. وبالعودة إلى الملامسة عن طريق الغشاء المخاطي للفم نجد أن الملامسة عن طريق الغشاء المخاطي لشفاه فردين يعتبر عند شعوب كثيرة (عند كثير من الشعوب) ذا قيمة جنسية عالية رغم أن الأعضاء المذكورة لا تخص الجهاز الجنسي ـ ومثل هذه العملية (الممارسة) تحدث عادة بين المحرومين جنسياً بسبب العادات والتقاليد والضغوط الاجتماعية ـ أما علم النفس الجنسي، فيقول عن هذا النوع من الممارسة (أي القبلة) إن القبلة تعني ملامسة معينة يلعب فيها الغشاء المخاطي لشفاه ذكر وأنثى، ذكر وذكر، أنثى وأنثى دوراً إشباعياً ذا قيمة جنسية عالية رغم أن أعضاء الجسمين لم يتحدا من ناحية، وليس للأعضاء المذكورة علاقة بالجهاز الجنسي من ناحية ثانية.

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه.

وفي هذا المجال جاء على لسان أبي هريرة وهو من أهم رواة الحديث ـ قال النبي ﷺ:

«أربعة يصبحون في غضب اللّه ويمسون في سخط اللّه تعالى ـ قيل من هم يا رسول اللّه؟ قال: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي الذكر ويعني «اللواط»» رواه الترمذي والكسائي.

كذلك جاء على لسان النبي ﷺ: صنفان من أهل النار لم أرهما ـ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات جميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنّة ولا يجدون ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. . . رواه مسلم.

واجتهدت في البحث في أمهات الكتب ونبشت ما طالته يدي من أدب قديم سواء كان شعراً أم نثراً أم تأريخاً فماذا وجدت؟

النساء

لماذا يفضّلن ممارسة السحاق؟ أو يحلمن بالمتعة التي تعقب الألم؟!

لا شك أن الأنثى فتاة كانت أم زوجة بالقوة، تعاني الكثير بسبب وضعها الاجتماعي الأضعف ـ لذلك فهي بالتأكيد تتمنى الخروج من زنزانة كبتها وهي لا ترى ذلك الحلم ممكناً إلّا بدمار القوانين التي تكبّلها والقيم والعرف والعادات والتقاليد التي تحاصرها كقضبان سجن رهيب عليها أن تبقى فيه لفترة قد تطول أو تقصر ولا مجال للخروج منه إلّا بتحطيمها أي تحطيم القضبان أو أنها تعيش حلم تعرضها للاختطاف أو الاغتصاب. وهي بحكم كونها ضعيفة فهي دائماً تنتظر من الشريك الآخر المنتظر أن يقتحم سجنها، ولا بأس إن مارس عليها أساليب من الضرب والتعذيب طالما أن ما سيفعله هذا السّجان المخلّص سينتهي بها إلى المتعة المشتهاة.

لذلك تنشأ لديها ميول ماسوشية ـ مازوخية بينما الرجل لا يتوقع من الأنثى أن تفعل ذلك بل عليه هو أن يمارس القوة والبطش والتحدي للوصول للأنثى المسكينة الوديعة التي تنتظره لتستقبل رجولته هذه هي الثقافة الشائعة، فتنمو لديه الميول

السادية التي هي العنف الناجح أو المطلوب لتحقيق طلب مصدود بينما المازوخية هي العنف المفقود الذي على الآخرين القيام به للوصول إلى تلبية هذا الطلب لكن يبقى أساس تكّون هذه الرغبة هو الكبت والعنف المضاد الذي ترتبط به المتعة وهنا تقسم الأدوار بين ما يمارس هذا العنف وبين من ينتظره ويشجعه حتى لو كان هو ذاته من ضحايا هذا العدوان جزئياً.

الأنثى البطلة تخترق الكبت وتمارس السحاق

تشير الدراسات المتخصصة في علم نفس المرأة إلى أن أكثرية النساء في العالم مصابات ويعانين من أكثر أنواع العقد النفسية، إلى جانب الأزمات العصبية والهستيرية العقلية من مختلف أنواع الشذوذ الجنسي، وكل هذه الأمور كما تعلم تعود إلى البيئة المنزلية أولاً والمدرسة ثانياً والمجتمع ثالثاً. فإذا ما تخطينا نظريات علم النفس وتفاصيل التحليل النفسي ومصطلحاته (العلمية) يمكننا القول - إن أنواع الشواذات في الشخص البشري كثيرة ومتعددة ومتنوعة. ومنها ما هو ظاهري ومنها ما هو باطني.

فمن الأعراض الظاهرية مثال المرأة التي فجرت ينابيع كبتها وحرمانها على شكل خلاعة علنية يأتي في مقدمتها ما سمي علمياً المرأة السحاقية لكن:

من هي المرأة السحاقية؟

المرأة السحاقة هي امرأة نشأت في بيئة ومحيط عائلي كله كبت وحرمان إلى جانب الزجر من جانب الوالدين في طفولتها الأولى. ومن الطبيعي أنه في ظل هذه الظروف الضاغطة المحيطة بها أن تندفع لتشذ عن قاعدتها الأنثوية لتتقلّد بالرجل وتفعل فعله في أخذ دوره وحقه في هذه الحياة نحو الشذوذ الجنسي والنفسي وممارسته مع بنات جنسها دون الرجال لماذا؟ بالطبع للهروب من الفضيحة والألم الخارج عن دائرة المنتهي باللذة الجنسية وكذا تحمل المسؤولية إلى جانب الهروب من مخاطر وقوع الحمل الخاطىء الذي إن وقع فقد يقودها إلى الهاوية تحت عنوان نعم قتلتها أو ذبحتها درءاً للفضيحة ودفاعاً عن الشرف وما إلى ذلك من مبررات...

وإذا ما سلّطنا الضوء على نوع التربية التي تلقتها هذه الفتاة المنحرفة جنسياً أي

الممارسة للسحاق مع بنات جنسها نجد أن تربيتها كانت سيئة منذ سني عمرها الأولى ـ ثم نجد التفرقة بينها وبين أخيها الذكر حتى لجهة العاطفة ـ وهذه الأمور وغيرها هي التي تسبب (أو سببت) للفتاة السحاقية لاحقاً ما يعرف بالنقص الذاتي في شخصيتها إلى جانب العقد الأخرى والحسد والغيرة وغير ذلك مما تسبب بانحراف مسارها الحقيقي كأنثى لها كيانها وشخصيتها.

دور الفتاة أو المرأة في ممارسة السحاق

في ممارسة السحاق وهي عملية جنسيّة (منعكسة أو ارتكاسيّة) تقوم الأنثى البطلة بالمبادرة بالتحدي واختراق الكبت وتقوم أخريات بالتماهي معها ولعب دور الذكر من أجل إشباع حاجتها، فتتكوّن لديهن ارتباطات بين الممارسات الذكرية والمتعة تؤثر على تكوين رغبتهن الجنسيّة التي تقترب من الرغبة الذكرية بهدف تسهيل التماهي مع الرغبة المتكونة عند البطلات الميالات للسادية[١] وهنا ترتبط السادية بالرغبة الأنثوية عند هؤلاء بينما تنطبع الرغبات عند الأخريات بالذكورة والمازوشية[٢] ونلاحظ هنا أيضاً أن النساء البطلات الساديات أقل كثيراً من الرجال الأبطال الساديين بسبب الفارق الجسدي والمعنوي والاجتماعي الذي يفرضه مجتمع ما زالت كفّة الذكور فيه راجحة. فالنساء اللواتي يقلدن الرجال كما الذكور الذين يقلدون الإناث هم في الأصل أشخاص ضعفاء يحققون متعهم بالتماهي مع الآخرين الأقوى والأجرأ وبدون التعرض بشكل سيكولوجي تفصيلي معقد ربما للبعض يمكننا القول: «في هذه الممارسات فإن إشباع الآخر هو إشباع يجري تقاسمه أو تقاسمُ صورته ووجوده الذهني. فالإيحاء يلعب دوراً، وحالة الانفعال تلعب دوراً هي الأخرى بالطريقة ذاتها، والمصاب لا يشعر بالألم في مرحلة الهياج، كذلك الإرادة التي تستخدم لتركيز الذهن ـ كل ذلك يشير إلى وجود آليات غير مدروسة كفاية تبرر حدوث مثل هذه الظاهرة.

---

(١) السادية وفيها لا تثور الشهوة الجنسية عند الفرد إلّا إذا أتى أفعالاً من العنف على جسم (المرأة).

(٢) المازوشية «المازوخية» ومعناها أن يُستساغ في سبيل إثارة الشهوة الجنسية وإشباعها الخضوع لأفعال من العنف والإذلال يرتكبها الشخص المحبوب.

بعضهن يفضّل الكلاب على لابسي الثياب

البهيمية:

هي انحراف جنسي يستخدم فيه الفرد (ذكر) أو أنثى، حيواناً كشريك ـ ويشمل هذا النوع من السلوك أنواعاً متعددة من الإثارة الجنسيّة وكذلك من الجماع الفعلي. ويبدو أن البهيمية تنتشر على نظام واسع في المناطق الريفيّة وبين الأشخاص الذين لديهم فرصة ضئيلة للاحتكاكات الإنسانية.

ويبدو أن الانعزال والعيش مدة طويلة مع حيوانات يكوّن في بعض الحالات روابط انفعالية وهذا الأمر له دلالاته في هذه الحالة. وفي ظل هذه الظروف يكون العامل العقلي عاملاً مساعداً ـ وقد قرر «كينزي»[١] مثلاً أن ١١٪ من الذكور الذين نشأوا في المزارع استطاعوا أن يصلوا إلى الهزّة الجنسية الأخيرة عن طريق الاتصال بالحيوانات.

وقد نفهم هذه الظاهرة من وجهة النظر «السيكوديناميّة» باعتبارها استجابة للشعور بالعجز من الخوف من الإذلال والإهمال والقسوة بأنواعها من جانب شريك إنساني. ولعلنا نجد مثل هذه العلاقات الجنسية مع الحيوانات وخاصة الكلاب الموجودة في المجتمعات المعروفة باسم المجتمعات المخملية الرخوة الباذخة التي تربي الكلاب في البيوت وتهتم بها بدرجة عالية لتنفرد بها بعد ذلك في اتصال جنسي يبدأ باللحس باللسان لأثداء المرأة ـ حلماتها ـ ثم ينتقل نزولاً ليصل إلى (لحس فرجها)، فكيف سيكون الحال إذا عرفنا أن لسان الكلب خشن بدرجة مناسبة لإثارة المرأة ثم تتم متابعة الاتصال الجنسي دون أذى من أحد (الطرفين) أو ألم من أحد أو تمتّع أو تسلّط أو إذلال. وأكثر ما يفعل ذلك النساء اللواتي تخطين سناً معينة أو يعانين من مشاكل خلقية (أي تشويه في أجسادهن) أو يخفن الفضائح ـ فوجود الكلب في سرير المرأة لا يثير الشكوك ولا الهواجس ولا الغيرة في قلوب الرجال (رجالهن أو أزواجهن). وهناك بعض النساء اللواتي مللن من معاشرة الرجال بنفس الطريقة. ونفس العضو ناهيك عن سرعة إنزال هذا الزوج أو ذاك الرجل أو عدم

---

(١) كينزي: عالم نفس واجتماع.

إنزاله في اللحظة المناسبة للمرأة ـ نعم إنه التكتيك الجنسي الجديد للترويح واللذة والمتعة التي لا يعرفها ولم يتذوقها الكثيرون لعدم ممارستهم لها.

وفي هذا الميدان الجنسي الشاذ ظهرت صرعات جديدة في الممارسات لتواكب العصر والوقت والفرد الراغب بها. ويشير العالِم ماستير إلى أن عدد النوادي الخاصة بمنظمات الشذوذ الجنسي في نيويورك وحدها مثلاً وصل إلى حوالى ٧٤٦٥ نادياً، وفي سان فرانسيسكو وصل عددها إلى ٢٥٠ نادياً ناهيك عن نوادي أخرى لم يتم الكشف عنها أو اكتشافها.

أما الأكثر سخونة وقذارة وطرافة فهي تلك التي تسمى حرف غرف الشاي وهي نوع من الممارسة الجنسية المثلية التي يمارسها أصحابها على الماشي إن صح التعبير فلا تكاليف مالية باهظة ولا يترتب عليها أية مسؤولية مادية من أي نوع وتتم ممارستها في حمامات المطاعم ودور السينما ومحطات المترو، الأوتوبيس وحمامات الحدائق والبلاجات ـ ومثل هذا السلوك الجنسي المنحرف والشائع في أمريكا وأوروبا وإسرائيل (وبعض البلدان العربية الملتصقة بالصرعات القادمة من أمريكا والغرب) يعرف باسم «الفيلاتيو ـ felatio» أي مص القضيب.

ولأن الشيء بالشيء يذكر، وطالما أننا تحدثنا عن البهيمية من وجهة نظر علم النفس ارتأينا أن نضع أمام القارىء بعض الاعتقادات التي يؤمن بها بعض الشعوب ولها علاقة بالممارسة الجنسيّة.

ففي منطقة الشرق الأقصى تبرز اعتقادات غريبة وشاذة مثل بعض بلدان جنوب شرق آسيا حيث يعمد البعض هناك إلى طحن خصيتي الحيوانات القوية مثل النمور والفيلة ثم يخلطونها مع الطعام بغية تقوية القدرات الجنسيّة إسوة بما تمتلك الحيوانات.

أما في كوريا فإنهم يقتلون القطط وتحوّل عصاراتها إلى منشطات لعلاج العجز الجنسي في حين ما زال المرء في بريطانيا قادراً على شراء القرون والخصيتين والعضو الذكري وذيل الغزال الأحمر من تجار الطرائد السكوتلانديين. وقد رفعت هذه الممارسات من قيمة هذا النوع من التجارة (تجارة الأعضاء التناسليّة لبعض الحيوانات) مما دفع كثيرون في نيوزيلندا إلى إنشاء وتجهيز المزارع الخاصة بتربية

مثل هذه الحيوانات. وكأننا بهذه الممارسات نعود إلى أوائل القرن التاسع عشر.

وطالما أننا في هذا الميدان فلا بد لنا من الإشارة إلى أن العالِم الروسي «سيرج فورونوف» قام بالعديد من التجارب والاختبارات على جثث القرود للإفادة من خصائصها الجنسية، كذلك فعل العالِم الأمريكي جون برنكلي ولكن على غدة الماعز. أما الهدف من دراسات وأبحاث هؤلاء العلماء وغيرهم فهو اكتشاف طرق ومواد جنسيّة حيوانية للإفادة منها في زيادة الرغبة والمتعة الجنسيّة عند الإنسان (الرجل) وفي بعض منها المرأة. ونحن نرى أن مثل هذه المعتقدات ليست سوى مأساة تامة وجسيمة ترتكز على حاجة الرجل إلى تعزيز الأنا المتهاوية عنده.

وعليه يتضح لنا أن المشكلة ليست سوى مشكلة عقليّة ونفسيّة أولاً وأخيراً وإلّا كيف نفسر لجوء بعض الشعوب في علاج البرودة الجنسيّة أو العجز الجنسي وما شاكل ذلك للاستعانة بالذباب الهندي مثلاً. فقد كان الهاجس الروماني بالجنس حقيقة موثقة ولا يهم من كان متلقي الفعل الجنسي (امرأة أم رجل) أو حيواناً طالما أنهم يشبعون رغبتهم الجنسية في النهاية. لذا فليس غريباً أبداً أن يذهب الرومان إلى أبعد الحدود بحثاً عن علاج للعجز الجنسي عندما كان العمر يتقدم بالرجال وتنفخ السمنة أجسادهم ويصبحون غير قادرين على ممارسة الجنس، فكانوا يعمدون إلى جلد خصياتهم بنبات القريص اللاسع أو يضعون القراص في أرديتهم وحول أعضائهم التناسلية طلباً للإثارة والتهييج حيث يجذب الدم إلى هذه المنطقة وهذا ما تحاول علاجات العجز الجنسي فعله. ونتيجة البحث المضني لعلماء الرومان تمَّ لهم اكتشاف تأثير الذباب الهندي على مطلبهم الجنسي وبات العلاج عبارة عن مركب من بقايا ثلاث خنافس يمكن وضعه في الطعام أو تناوله بمفرده.

وقد أثبت الذباب الهندي فعاليّة لافتة بحسب ما كتب بعض مؤرخيهم ولكن مقابل ثمن غالٍ (كبير)، فبعد تحقيق التأثير المطلوب يتسبب هذا العلاج بصدمةٍ وتداعٍ في الدورة الدموية تقود إلى الوفاة.

وتكشف لنا بعض كتابات السلف أن ممارسات العرب الجنسيّة لم تقتصر على النساء فقط وإنما شملت معاشرة الغلمان طلباً للذة الجنسيّة والمتعة حتى أن بعض شعراء العرب تحدث بالوصف الجميل لمحاسن الغلمان.

العرب ونكاح الغلمان

وبعد يمكننا القول إن ظاهرة التعامل الجنسي مع الغلمان ليس وقفاً على الغرب أو على شعوب الأرض كلها عدا العرب. فما وجدناه في صفحات تراثنا العربي الإسلامي من نصوص وشعر وحكايات ما يؤكد غلبة الشهوة الجنسيّة على أمزجة العرب حيث كانوا ينتقون الصالحين منهم ـ من الغلمان ـ للنكاح أي للتواصل الجنسي ويتباهون في وصف ما انتقوه وامتلكوه من الغلمان قبل الإسلام وبعده وحتى أيامنا هذه وإن كان ذلك يتم بصورة مستورة.

وفي هذا المجال قال أحدهم:

رأيت عابداً أوقعه الغرام بحب غلام، وانهتك ستره بين الأنام وبقدر ما كان يرى من الملام ويتحمل من الآلام لم يترك تصابيه ولم يقلع عما هو فيه حتى أنه كان ينظم الشعر فيما يفعل. وقال ذات مرة:

عَلِقْتُكَ لا تنفكُ عني على المدى
ولو أن عنقي منك بالسيف يُضْرَبُ
فما لي ملاذٌ عن هواك وملجأً
وما لك عني حيث كنت مهربُ

ولما عاتبه البعض وقسوا عليه بالكلام قال:

كل قلب صار عرشاً للهوى
ليس للتقوى به يُلقي محل
هل يد البؤس تنقي ذيل من
غاص حتى أذنيه في الوحل

وحكوا أنه كان لسيد غلام نادر الحسن وكان يراعيه ويدلّله. فقالوا يوماً لأحد أصدقائه بودي أن هذا الغلام مع ما له من حسن بارع لم يكن طويل اللسان عديم الأدب. فأجاب لا تتوقع منه خدمة حيث أقررت بمحبته إذ ما دام الوسط عاشق ومعشوق فلا يمكن أن يكون هناك خادم ومخدوم ثم أطلق شعره قائلاً:

غلام كبدر التم لاح جبينه فداعبه مولاه من شدّة الوجد
فلا بدع إن أبدى الغلام تدللاً وأصبح مولاه أذلُّ من العبد...

وفي بغداد سألوا أحد المستعمربين ما تقول في المُرد؟ فقال:

ما دام أمردَ يُزهي من ملاحته ... فطبعه سيىء والقولُ مرذولُ
حتى إذا نبتت للعين لحيته ... أبدى تعطف أنثى وهو مخذولُ

وتشير لنا كتابات السلف أن التعاطي الجنسي مع الغلمان لم يكن مقتصراً على ميسوري الحال من البسطاء بل كانت شهوة إصابة الغلمان (أي معاشرتهم جنسياً) متفشيّة حتى عند المتعلمين وأولي الأمر.

فقد حكي عن قاضي همدان أنه سكر بمحبة ابن بيطار ـ فقال فيه:

وقدّ كفرع السرو لاح لناظري ... فجرَّ طموح العين قلبي إلى حتفي
فإن رمت ألا تسلم القلب في الهوى ... إلى أي إنسان فغض في الطرف

وقيل عن ذلك القاضي أنه تيسرت له ذات ليلة خلوة بغلامه، وفي الليلة نفسها سعى بعض الوشاة إلى الوالي ـ بأن القاضي في كل ليلة تلعبُ برأسه المدام ويلعب على صدر غلامه وهو لا يفتأ يترنم بهذه الأبيات:

يا ليلة لم تصح فيها الديوك وقد ... بات المجون ضماً تحت ديباجِ
ما أجمل الصّدغ حول الخد منعطفاً ... والخدُّ كوكب ليل مظلم داجِ

إلى أن يقول:

فلا تدع شفة كالورد تلثمها ... من صوت ديك بلا جدوى

وفي عشق الغلمان ـ قال شرف الدين الديباجي:

أتى بالكأس نحوي ذو دلالٍ ... شغفت به من الحُبش الملاحِ
فملت إليه فابتسم انبساطاً ... فقلت الليل يبسم عن صباحِ

وقال المعمار[1]:

وخادم قبلتُ مشروطهُ ... في خدّه لكن رأيت العجب
من ناعم حلوٍ فناديته ... ما أنتَ يا مشروطٌ إلّا رُطب

ولعلَّ ما جاء على لسان الفرزدق من شعر عن «النكح والجنس» يؤكد مدى

---

(١) المعمار: هو عبد الله بن إسماعيل الأسدي أبو محمد جلال الدين ـ نعت بالفيلسوف ـ من أهل بغداد توفي سنة ٧٤٢هـ.

استفحال الشهوة الجنسيّة (حتى الشاذة منها) عند العرب وتمكُّنها منهم - ومما قاله الفرزدق في هذا المجال نقتطف التالي:

ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له، فإذا هو بجارية فقال لأصحابه هل أخجل لكم هذه؟ فقالوا نعم - فقال:

إن لـي ذكـراً خـبـيـثـاً ... لـونـه يـحـكـي الـكـمـيـتـا
لـو يـرى فـي الـسـقـف صـدعـاً ... لـتـحـوَّل عـنـكـبـوتـا
أو يـرى فـي الأرض شـقـاً ... لـنـزا حـتـى يـمـوتـا

فأجابته الجارية:

زوّجـوا هـذا بـألـفٍ ... وأرى ذلـك قـوتـا
قـبـل أن يـنـقـلـب الـداء ... فـلا يـأتـي ويـؤتـا...

وجاء على لسان أحد المؤرخين أن المغيرة بن شعبة قال:

حصّنت تسعاً وتسعين امرأة، ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكني أحفظها لمنصبها وولدها، فكنت أسترضيهن بالضجع شاباً، فلما أن شِبْتُ وضعفت عن الحركة استرضيهن بالعطية (الهدية) - وقال بعضهم وهو صادق فيما قال: «لذّة المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر لذّتها».

ولعلَّ أفضل ما نختتم به من قولٍ في اللواط ما ذكره الإمام جلال الدين السيوطي في أحد كتبه - حيث قال - كانت الولّادة تلقب ابن زيدون بالمسدس - وفيه تقول:

ولـقـبـت الـمـسـدس وهـو نـعـتُ ... تـفـارقـك الـحـيـاة ولا يـفـارق
فـلـوطـيٌ ومـأبـونٌ وزانـي ... وديـوثٌ وقـواد وسـارق

وقالت فيه أيضاً:

إن ابـن زيـدون لـه فـقـحـة ... تـعـشـق قـضـبـان الـسـراويـل
لـو أبـصـر الـحـردُ[1] عـلـى نـخـلـة ... صـار مـن الـطـيـر الأبـابـيـل

كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن العرب (أسلافنا) ولشدة حبهم وولعهم بالنساء

---

(١) الحِرَدُ: هو أحد أسماء الفرج عند العرب.

والغلمان (أي بالجنس وممارسته) استفاضوا في الحديث عما برعوا فيه. فبعد أن تحدثوا عن أي النساء ألذّ للنكاح أولوا اهتمامهم بالكلمة ودورها في الإثارة الجنسيّة وزيادة المتعة. وفي هذا المجال جاء: دور الكلمة في الإثارة الجنسية وزيادة المتعة.

وأيضاً لا تثور الشهوة الجنسيّة عند الفرد إلّا إذا أتى أفعالاً من العنف على جسم (المرأة).

أيّ النساء ألذّ للنكاح

قبل الخوض في خضم بحر العرب والجنس أود الإشارة إلى حقيقة أكيدة اتصف بها العرب منذ القديم ومفادها أن العرب إذا أحبّوا شيئاً أكثروا الحديث عنه وتغنّوا بتفاصيله وكذا الأمر إذا كرهوا شيئاً أكثروا من استقباحه وشتمه.

وبعد فقد جاء في كتابات العرب ومنهم الراوي عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي المولود سنة ١٢٢هـ والمتوفى سنة ٢١٦هـ وكان أحد أئمة العلم في اللغة والشعر وتدوين الأخبار أن اهتمام العرب بالنساء وحبهم الشديد للنكاح نكاح النساء قد ولد عندهم كماً كبيراً من الخبرات والمعرفة إلى درجة أن بعضهم كتب تفصيلاً بالنساء، وما تتميّز به كل واحدة منهنّ بحسب جلدها وجنسها فجاء.

إن الروميات أطهر أرحاماً (ويقصد أنظف فروجاً) وغالبهن مقعّرات[1] عريضات للنكاح أما الأندلسيات فأجمل صورة وأطيب ريحاً، في حين أن الهنديات والسنديات أقبح وجوهاً وأقذر رحماً (أي فرجاً) وأسخف عقلاً.

أما عن سوداوات البشرة (الجلدة) ونساء الشام والعراق وخاصة البابليات والبغداديات فيمكن القول إن الزنجيات، والحبشيات أطيب نكهة في «الجماع» وأشد طاعة. أما البابليات والبغداديات فهن على جلب شهوة الرجال أقدر من غيرهن من النساء والشاميات أكثر وداً للرجال. ويتابع صاحبنا قائلاً إن العربيات والفارسيات الإيرانيات أحسن أحوالاً وأكثر إنجاباً وأرقّ لطفاً وعشرة.

أما الحارث طبيب كسرى أنوشروان وهو طبيب عربي فكان دائم القول لسيده إن النوبيات أسخن فروجاً وأكبر أعجازاً فهنّ نساء حارقات[2] وأنعم أبداناً وأشد

---

(١) مقعرات: من قعراء ـ والمرأة القعراء هي التي تقعّر فرجها لاستحكام شهوتها وإفراط شبقها وأحب البزياز إليها الغليظ الطويل ليسد منها موقع القعر ويصل إلى لذتها.

(٢) الحارقة: تثبت للرجل على فرجها ـ والتي تغلبها الشهوة ـ الشبق حتى تحرق أنيابها بعضها بعضاً إشفاقاً من أن تبلغ الشهوة الشهيق والنخير.

شهوة. وحين سُئل الحارث وماذا عن أحفاد فراعنة مصر؟ أجاب:

إن النساء المصريات ألطف كلاماً، وأرقّ طبعاً، وأكثر انخلاعاً وغنجاً.

وفي هذا المجال قال أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «النساء» قال عبد الملك ابن مروان من أراد الباءة (أي الزواج ـ النكاح) فعليه بالبربريات، ومن أراد الخدمة فعليه بالروميات، ومن أراد النجابة فعليه بالفارسيات.

وللشعراء في السوداوات رأي ـ فبهاء الدين أبو الحسن بن محمد بن رستم الساعاتي قال:

زعموا أنني بجهلٍ تعشقتك سودا دون بيض الغواني

ليس معنى الجمال فيه بخافٍ إنما أنتَ خالُ خد الزمان

وقال إبراهيم بن سيابة ـ وقد عشق سوداء فلامه أهله عليها:

يكون الخالُ في وجه قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلامُ معشوق على من يراها كلها في العين خالا

أما الشاعر المكفوف فقال:

حب سود النساء من لذة العيش على أنه حياة القلوب

مشبهات الشباب والمسك تفديهن نفسي في طارقات الخطوب

كيف يهوى اللبيب وصال البيض والبيض مشبهات المشيب

أما الفرزدق فقال في جارية له سوداء:

يا رب خود من بنات الزنج

تحمل تنوراً من شديد الوهج

أقعب مثل القدح الخلِجَ

تزداد ضيقاً عند طول الوهج

وفي ذات الميدان قال أبو الحسن علي بن عباس الرومي:

كأنها والمراحُ يُضحكها

ليل تقوّى دجاه عن فلقِ

شحماء كالمهرة المكهّمة الدهماءُ

تمضّوا وابل السبقِ . .

لـهـا حـرٌّ تـسـتـعـيـر وقـدتـه
مـن قـلـب صـب وصـدر ذي حـنـق
كـأنـمـا حـر لـحـاقـدة. . .
مـا ألـهـبـت فـي حـشـاه مـن حـرق
يـزداد ضـيـقـاً عـلـى الـمـراس كـمـا
يـزداد ضـيـقـاً بـشـرطـه الـوهـق
لـه إذا مـا الـعـمـدُ خـالـطـه
أزم كـأزم الـخـنـاق بـالـعـنـقِ
أخـلـق بـهـا أن تـقـوم عـن ذكـرٍ
كـالـسـيـف يـفـري مـضـاعـف الـحـلـقِ

إلى أن يقول:

وبـعـض مـا فـضـل الـسـواد بـه
والـحـقُّ ذو سـلّـم وذو نـفـق
أن لا يـعـيـب الـسـواد حـلـكـتـه
وقـد يـعـاب الـبـيـاض بـالـبـهـقِ

وفي تفضيل السمر على البيض كان للشعراء العرب أقوالٌ نقتطف منها. . . للبهاء زهير[1]

لا تـلـحَ فـي الـسـمـر الـمـلاح
فـهـم مـن الـدنـيـا نـصـيـبـي
والـبـيـض أنـفـر عـنـهـم. . .
لا أشـتـهـي لـون الـمـشـيـبِ

وقال أيضاً:

الـسـمـر لا الـبـيـض هـم
أولـى بـعـشـقـي وأحـق

---

(١) بهاء الدين أبو الحسن الساعاتي: شاعر فارسي الأصل ـ دمشقي المولد والنشأة ـ برع في الشعر وفي مدح الملوك توفي بالقاهرة سنة ٦٠٤هـ.

وإن تدبرت مقالي منصفاً قلت صدق
السمر في لون المها والبيض في لون البهق

أما أبو الفتوح بن قلاقس فقال[١]:

رُبَّ سوداء وهي بيضاء معنى فهي مسك إن شئت أو كافورُ
مثل حبِّ العيون يحسبه الناسُ سواداً وإنما هو نورُ

حتى الإمام جلال الدين السيوطي نلمس من كلامه وأشعاره انحيازه للسمر والسود لكنه لم يتطرّق للبيض. وفي هذا قال ابن نباتة[٢]:

بروحي مشروط على الخد أسمرُ دنا ووفى بعد التجنب والسخطِ
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبّلته ألفاً على ذلك الشرطِ

ولا يفوتنا التنويه ونحن نتحدث عن أقوال الشعراء في النساء السوداوات الجلدة إلى ما كتبه ابن المرزبان في السودان (السوداوات) وفضلهن على البيض، وكذا فعل أبو العباس الناشىء في كتابه «تفضيل السود على البيض».

وقد أشار القاضي عياض في كتابه الشفا إلى شدة حب العرب وشغفهم بالنكاح وبالممارسات الجنسية (فهو مقياس الفحولية) وقال في كتابه المشار إليه. النكاح متفق على التمدّح بكثرته والفخر بوفوره شرعاً وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة. وأما في الشرع فسنّة مأثورة. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أعطيت قوة أربعين رجلاً في النكاح، وأُعطي المؤمن قوة عشرة فهو بالنبوة والمؤمن بإيمانه والكافر له شهوة الطبيعة فقط.

وفي هذا المجال جاء على لسان بعض النسوة حيث سُئلن عن محاسن الرجل:

قالت الأولى ـ أحب من الرجال من إذا بصق أبعد، وإذا بال أزبد (والبصق هنا ليس المقصود به اللعاب الخارج من الفم ـ وإنما قذف المني الخارج من فم

---

(١) ابن قلاقس: هو نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي السكندري، كاتب وشاعر معروف، نشأ بالإسكندرية سنة ٥٣٢هـ، وتوفي سنة ٥٦٧هـ.

(٢) ابن نباتة: لعلّه جمال الدين بن نباتة المصري (٦٨٦ ـ ٧٦٨)، لقّب بأمير شعراء المشرق. وهو شارح رسالة ابن زيدون.

الذكر بعيداً وهذا دليل قوة وصحة وشهوةٍ.

وقالت الثانية ـ أحب من خده كخدي، وذكره كزندي (ويبدو من خلافهما أنها من ذوات الفرج المقعر).

وقالت الثالثة ـ أحب من الرجال الفساق، والنقاق الطيب الأخلاق.

أما الرابعة ـ فأجابت حين سئلت ـ أحب من الرجال من يقوم الليل كله، ويغيب النهار كله.

وفي هذا المجال قال بعض الشعراء الأقدمين:

أخبرنا عن بعض أشياخه ... أبو بلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق من عشقه ... بالضمّ والتقبيل حتى (...)

أما الفرزدق فقال:

فبتن بجانبيّ مصرعات ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الختامِ
كأن مغالق الرمّان فيه ... وجمر غصنا قعدن عليه حامِ

من أقواله أيضاً:

يا ربُّ سوداء من بنات الزنج ... تمشي بتنورٍ شديد الوهجِ
أخشم[1] مثل القدح الخلنج ... تزداد ضيقاً عند طول الوهج

وفي هذا المجال قال الحارث بن كندة (أبو بحر) في فن الباه ـ الباءة ـ النكاح: «عاملوا النساء بحسن الأخلاق، وفحش النكاح».

مما أشرنا إليه يتضح كم كان العرب مهتمين ومولعين بالنساء والنكاح (أي بالجنس وممارسته شأنهم في ذلك شأن باقي الشعوب. ونظراً لحبهم الشديد لفعل النكح ـ أفاضوا في الحديث عنه حتى أنهم اهتموا بالتفضيل بين النساء لجهة أيهنَّ ألذ للنكح ـ كذلك تحدثوا عن دور الكلمة في الإثارة الجنسية وزيادة المتعة.

وفي هذا المجال قالت الشاعرة الماجنة «عمرةُ بنت الحمارس» للأغلب العجلي:

---

(١) الأخشم: الفرج إذا كان غليظاً مكتنزاً.

هل لك في مزعفر محلوق؟

داخلـه مـثـل فـم الإبـريـق — مثل سنام البكرة المفلوق
تـخـال فيـه الـذكـر كـالـمخـنوق — أحـلـى مـن الـشهـد الـمستـذيـق

فقال لها الأغلب:

هل لك في ملتوي العروق؟

يـقـذفُ مـثـل الـلـبـن الـمـمـذوق — محـدودب الظهـر عظيـم الخوق

وجاء على لسان أم الورد. وقيل بعضهم هذا للبكري في اللآلىء.

شـفـاء الـحـب تـقـبـيـل وضـمٌّ — وجـرٌّ بـالـبـطـون عـلـى الـبـطـون
ورهـز تـذرف الـعـيـنـان مـنـه — وأخـذ بـالـذوائـب والـقـرون

أما الصولي فقال في هذا المجال على لسان بشار بن برد ـ قال:

عـجـزاء[1] مـن سـرب بـنـي مـالـك — لـهـا هـنٌ مـن بـطـنـهـا أرفـعُ
زيّـن أعـلاه بـإشـرافـهِ — وانـضـم مـن أسـفـلـه الـمـشـرعُ
كـجـبـهـة الـلـيـث بـخـرطـومـه — يـبـتـلـع الـقـرمُ ولا يـشـبـعُ

وكما سبق وأشرنا فقد كان من عادة العرب أنهم إذا أحبوا شيئاً أو كرهوه فإنهم يكثرون من عادة الحديث عنه التفصيل فيه والإبداع في إيجاد الأسماء والكنايات والوصوفات اللازمة لتوضيح ما يريدون. ولعلّ هذا ما دفعهم إلى المزيد من القول هادفين الإعلام والإخبار والنصح وإظهار الخبرة والمعرفة.

وهذا بعض مما استطعنا جمعه من معلومات خاصة «بالفرج» حيث أوصافه تدلُّ على شهوته ولذّته من النساء المتشحمة، واللزقة، والقعراء، والجوفاء، والمتخمة، والشفراء، والمنحقة.

(١) فالمتشحمة: ويقال المشحمة أي الممتلئة الفرج بالشحم وهذه لا تجد لذّتها إلّا بالذكر الطويل بحيث يبلغ أقصاه الغاية في المسافة.

(٢) وأما اللّزقة: فهي المُنضمُ فرجها إلى ما حوت جوانبه وقلَّ الشحم فيه، وبقي

---

(١) عجزاء: من عجز، والعجز هو الأليتان، وهو اللحم المتجمع في الألية.

اللحم ملتصقاً بما عليه مسترخياً. وهذه تحب الغليظ القصير فهو القادر على هزّها.

(٣) والقعراء: هي التي تقعر فرجها لاستحكام شهوتها وإفراط شبقها ـ وأحب شيء إليها الغليظ الوافر الهامة ليسدّ منها موقع القعر ويصل إلى لذّتها.

(٤) وأما المرأة الجوفاء الفرج: فهي التي عريت جوانب فرجها وبعدت مسافة ما بين ثغريه وأرجائه فما يبلغ ذلك الموضع إلّا الطويل الغليظ. وإذا لم تجدها ساءت أخلاقها لقصور واطئها عن بلوغ لذتها، وكثير ما يكون ذلك في النساء الطوال، وقل ما تجد شهوتها من كانت على هذه الصفة فإن الموافق لها قليل.

(٥) وأما المتخمة: فهي التي أسفل فرجها وأعلاه شيء واحد مع قرب مسافة شهوتها وسرعة إنزالها وهذه تحب الذكر القوي الرهز السريع الإنزال.

(٦) والشفراء: هي التي خف لحم جانبي فرجها وشغر بجانبه وهذه تحب الطويل الرقيق.

(٧) وأما المتخنقة: فهي الغليظة حيطان الفرج من خارجه، القليلة الامتلاء من داخله بحيث انخنفت فيها الشهوة وهذه تحب الغليظ الوافر، الصلب العروق المفرطح الهامة.

وأما عن حالة النساء في الإنزال فهن على ثلاثة أنواع: سريعة، وبطيئة، ومعتدلة.

فالطويلة والرقيقة تسرعان في الإنزال الذي ليس كإنزال ذكر الرجل.

والقصيرة واللحميّة تبطئان الإنزال وما بينهما على توسّط.

فإذا عرف الرجال أي النساء سينكح (من خلال الوصف المفصّل) استطاع معرفة نتائج نكحه للمرأة لجهة اللذة ـ سواء لذّته أو لذّتها. وبالتالي إمكانية التفاهم والاستمرار من خلال التلاقي في الانسجام الجنسي.

دور الكلمة في الإثارة الجنسية
(وزيادة المتعة)

يتضح للمدققين والباحثين في التراث الأدبي العربي ـ الإسلامي ـ أن السلف قد أكثروا من المرادفات «الجهة اللغة» فيما كتبوه عن الجنس وتصانيفه وفي هذا يقول جلال الدين السيوطي الإمام العلامة فإن اللفظ من قبيل الأصوات: والأصوات فيها ما تستلذ النفس لسماعه ومنها ما تكره سماعه[١]. ما سبق يدل على أن العرب من السلف من أدباء وشعراء وعارفين بعلم الباه[٢] أو الباءة أي النكاح أي علم العلاقة الجنسية أدركوا عامل إيحاء الكلمة في الإثارة الجنسية. فاللغة تعكس المشاعر وتجعل الأحاسيس متبادلة والرغبة متشاركة وإضافة الرغبة إلى العبارة أو العكس تجعل اللغة تهزُّ مشاعر المتكلم والمستمع في بوتقة واحدة. ويقول الفقهاء أو بعضهم حتى تكون أكثر دقة إن القرآن عبّر عن هذا النوع من الكلام بالرفث والقرآن لم ينكره بل أحلّه بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٣].

لذلك قصدنا في كتابنا هذا أن نتحدث اللغتين معاً إن صح القول. العامية حيث تلزم، والفصحى حيث مكانها ككل أدب شفوي متمثلين بما جاء من لغة قصص «ألف ليلة وليلة». والسؤال. . .

لماذا العجب من أدب الجنس؟

إذا نظر المرء إلى الأدب الجنسي يأخذه العجب من الدور الذي تلعبه اللغة والأسلوب. فاستحضار العقل والإيحاءات الجنسية والأعضاء التناسلية يهدف إلى إشعال جذوة الرغبة المنطفئة لأنها تنطوي على الإثارة حتى على مستوى التسميات

---

(١) جاء في كتاب المزهر.

(٢) علم الباه: الباءة، تعني علم النكح، أو النكاح. قال النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

فتراكم الكلمات يؤدي إلى نوع من الخبل اللفظي الحقيقي[١] وقد اتبع السيوطي هذا الطريق ليبلغ مبتغاه الجنسي ـ فلعب بالكلمات والأسلوب لمعرفته أن التجديف يضاعف المتعة مما يجعله عاملاً مؤثراً في الإثارة لجهة أنه يضيف إلى لبّ المتعة مرح انتهاك الجانب المعنوي العام ليضم بذلك إثارة الممنوع إلى لذّات البدن.

أما رأي جلال الدين السيوطي في المرأة ـ فيمكن للقارىء الذي يدقق في كتاباتَ السيوطي وهي بالعشرات أن يكتشف أن الإمام السيوطي من المؤمنين بتفوق الرجل وفوقيته على المرأة (التي هي في نظره أداة للمتعة ووسيلة للإنجاب) وفي هذا قال ﷺ: «النساء لعب فمن أراد منكم لعبة فليستحسنها» وبالعودة للسيوطي جلال الدين فإننا لا نجد للاعتبارات الأخرى التي يرددها أبناء هذا العصر مثل إنسانية المرأة والمساواة في الحقوق أي وجود شأنه في ذلك شأن أغلبية معاصريه.

بقي أن نقول ـ إن جلال الدين السيوطي كان ينظر للمرأة نظرة الازدراء والاستخفاف كما كان ينظر إليها كأداة للمتعة والاستغلال بدليل المؤلفات الكثيرة التي حاول فيها (السيوطي) أن يظهر أن اللّه خلق المرأة للذّة والاستمتاع فقط؟!

أما وقد تحدث العرب عن أصناف النساء وملاحة الغلمات ودور الكلمة في الإثارة الجنسية وزيادة المتعة فإنهم لم يقفلوا الحديث والتوضيح في بواقي مستلزمات إتمام العملية الجنسية على أعلى مستوى. فتراهم يتحدثون عن الغنج ودوره في إتمام العملية الجنسية بأعلى قدر من اللذة.

الغنج ودوره في إتمام العملية الجنسية بأعلى قدر من اللذة

في شرح الغنج ـ يقول الإمام جلال الدين السيوطي في بعض مما كتب تحت عنوان شقائق الاترنج في رقائق الغنج إن للغنج فوائد كثيرة تعين المرأة على فهم دورها وكيفية إتقانه.

وللغنج أسماء كثيرة منها ـ الغنج ـ والغنجُ ـ والتغنجُ ـ والتبغنج ـ والغناجُ ـ وجاء في «الصحاح»[٢] الغنجُ ـ والشكلُ وقد غنت الجارية وتغنجت فهي غنجةٌ وفي

---

(١) الإسلام والجنس ـ بوحدية.

(٢) الصحاح: هو من أمهات المعاجم اللغوية ـ لإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ.

«الجمهرة»[1] ـ امرأةٌ مغناج مفعالٌ من الغنج.

وفي الأفعال لابن قوطية غنجتْ الجاريةُ غنجاً ـ حَسُنَ شَكْلُها[2] ـ وقد غَنِجَتْ وتَغَنَّجَتْ فهي مغناجةٌ.

وفي القاموس[3] ـ الغنج بالضم وبضمتين كغراب ـ الشكل والتبغنج أشدُّ من التغنج.

ويمكن أن نقول امرأة ذات شِكْلٍ ويقال الدلُّ الدلال وفي هذا قال ابن دريد في الجمهرة الدلالُ من قولهم، امرأةٌ ذات دلٍّ أي شِكْلٍ.

ومنها الرفث ـ قال ثعلب في «أماليه» ـ الرفثُ الجماعُ ـ والرفثُ الكلام عند الجماع.

وقال الجوهري في «الصحاح» ـ الرفثُ الجماعُ ـ والرفثُ أيضاً الفحش في القول، وكلام النساء في الجماع.

وفي هذا قيل لابن عباس حين أنشد. إن تصدِقِ الطيرُ لميا.

أترفثُ وأنت محرمُ فقال: إنما الرّفثُ ما ووجه به النساء. وفي هذا قال الأزهري الرفثُ كلمةٌ جامعةٌ لكل ما يريده الرجل من المرأة.

وجاء في هذا المقام أيضاً العرابة ـ والإعرابةُ ـ والإعرابُ ـ والاستعرابُ ـ والتعريبُ وفي الأفعال لابن قوطية عربتِ المرأةُ عرباً بمعنى تحببت إلى زوجها فهي عروبٌ ـ وفي «الصحاح» العروبُ من النساء ـ المحببة إلى زوجها والجمع عرب ومنه قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[4] وأعرب الرجلُ إذا تكلم بالفحش والاسم العرابةُ.

وجاء على لسان ابن الأثير في هذا المجال في النهاية العرابةُ التصريحُ بالكلام في الجماع. أما في المجمل لابن فارسٌ فجاء: امرأة هلوكٌ إذا تهالكت في غنجها كأنها تنكسر ولا يُقال رجلٌ هلوكٌ.

---

(١) الجمهرة ـ لأبي بكر محمد بن الحسن المشهور باسم ابن دريد.
(٢) الشِكْل: غنج المرأة وحسن دلّها.
(٣) القاموس المحيط ـ لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
(٤) سورة الواقعة، الآية ٣٧.

وقد أخرج البيهقي في الدلائل عن مازن أنه قال: يا رسول اللّه إني مولع بالهلوك من النساء. وردت في «رقائق الأترنج» للسيوطي. وقال ابن الأثير في النهاية من كتاباته «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ـ وهو محدث لغوي ـ الهلوك هي التي تتمايل وتتثنى عند الجماع.

وبالعودة إلى «القاموس المحيط» للفيروزآبادي نجد اللعوب الحسنة الدل والرهازة أما الرهز فكما جاء في عقد التيجاني «تحفة العروس» حيث أفرز باباً وسمّاه الرهز فقال: الرهز في الجماع والارتهاز كناية عن حركات وأصوات وألفاظ تصدر عن المتناكحين في أثناء فعلهما ـ تعظم بها لذّتهما وتقوي شهوتهما.

وقبل المضي قدماً في هذا المجال نود العودة إلى المرأة اللعوب التي ورد لفظها في قاموس الفيروزآبادي ولكن هذه المرة من باب علم النفس وسيكولوجية المرأة.

ترى كيف عرّف علم نفس المرأة «المرأة اللعوب»

جاء في هذا التوضيح أو التوصيف أن المرأة اللعوب هي المرأة «الفتاة» التي فقدت كل عطف وحنان في بيئتها المنزليّة وفي ظل الوالدين منذ طفولتها وحتى نضوجها. ومثل هذه المرأة تلجأ إلى الاهتمام المبالغ فيه في مظهرها الخارجي «لباس فاضح ومكياج فاضح» إلى جانب الخداع واللسان المعسول لتغطي ضعفها الذاتي المعقد ـ ولتعوض الحرمان الشديد الذي عانت منه نجدها تندفع بشكل غير معقول وراء الجنس دون الاكتراث بما يلحقه مثل هذا السلوك بها من أذى لجهة نظرة الآخرين لها باحتقار وازدراء. لأن هدفها الأساس من كل ما تفعل هو أن تقهر ذاتية الجنس في ذاتيتها الملتهبة والمعقدة. ومثل هذا النوع من النساء مصابات بالشذوذ الجنسي والنفسي، وعلى المدى البعيد كما يقول علماء النفس يكنّ معرّضات للإصابة بهيستيريا جنسيّة دائمة ضاربة بكل القيم الأخلاقيّة والإنسانية بعرض الحائط.

وبالعودة إلى «الرهز والارتهاز» عند العرب ممارسين ولغويين وشعراء وأدباء وكما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمعاجم والقواميس يقول الإمام جلال الدين السيوطي مثل ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ والرفث والغلمة مستشهداً ببعض آيات

القرآن وبعض الأحاديث النبويّة الشريفة ومن بين ما ذكر قال وأخرج ابن عساكر[١] من طريق الهيثم عن عبد اللّه بن محمد عن معاوية بن أبي سفيان أنه راود زوجته «فاخِتَةَ بنتُ قريظة» فنخرت نخرة شهوة ثم وضعت يدها على وجهها فقال:

لا سوءة عليك فوللّه لخيركنّ الشخّارات النخّارات[٢] ويضيف السيوطي على لسان البيهقي في شعب الإيمان عن عليﷺ قال ـ قال رسول اللّه ﷺ: «جهاد المرأة حسن التبعُّل لزوجها» وقال في موضع آخر رداً على كلام أسماء بنت يزيد الأنصارية «حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته». وفي هذا قال التيفاشي في «تحفة العروس» في قادمة الجناح ـ أجمع علماء الفرس وحكماء من العارفين بأحوال الباه أي النكاح ـ المواقعة الجنسية الكاملة على أن إثارة الشهوة واستكمال المتعة لا تكون إلّا بالموافقة التامة من المرأة وتصنّعها لبعلها في أوقات ناشطة مما تتم به شهوته ـ وتكمل متعته من التودد والملّق والإقبال عليه والمثول بين يديه من الهيئات العجيبة الزينة المستظرفة التي تحرك ذوي الفتور، وتزيد ذوي النشاط نشاطاً وفي هذا قال: الفطنة الحسنة التبعُّل تراعي جميع هذه الأحوال مما تتم به متعة الزوج.

وبالعودة إلى أهمية الغنج والرهز جاء على لسان بعض الشعراء والمحدثين النص الحواري التالي في «تحفة العروس» للتيجاني: جلس أعرابي في حلقة يونس بن حبيب فتذكروا النساء وتفاوضوا في أوصافهن فقالوا للأعرابي أي النساء أفضل عندك؟ قال البيضاء العطرة اللينة الخفرة ـ العظيمة المتاع الشهية للجماع التي إذا ضوجعت أنّت[٣] إلى رهزها ـ ورهز يوقظ النوّام وفعل يوجب الآثام.

وفي هذا المجال أو الميدان ميدان غنج المرأة من خلال الترفق والتذلّل والذبول وتفتير العيون وتمريض الجفون وإرخاء المفاصل من غير سكون حركة والتململ من غير إزعاج، والتوجع من غير ألم وترخيم الكلام عند مخاطبة الرجل بما يحب.

---

(١) ابن عساكر: هو مؤلف تاريخ دمشق. والخبر في قسم تراجم النساء.

(٢) جاء في الصحاح، النخير صوت بالأنف، والشخير رفع الصوت بالنخر ـ أما الثعالبي فيقول في فقه اللغه: الشخير من الفم، والنخير من المنخرين.

(٣) أنّت: لعلّه يريد التوجّع من غير ألم أثناء الرهز في تدلّل.

قال صاحب «رشد اللبيب»[1] حكي عن بعض القضاة المتقدمين أنه تزوّج امرأة كانت مطبوعة على الخلاعة عند الحاجة. فلما خلا بها سمع منها ما لم يسمعه ممن قبلها؟! فنهاها عنه. فلما جامعها المرّة الثانية لم يسمع منها شيئاً من ذلك فلم يجد في نفسه نشاطاً كالمرة الأولى ولا انبعثت له تلك اللذّة، فقال ارجعي إلى ما كنت تقولين أولاً، واجتنبي الحياء ما استطعت[2]، ويتابع قائلاً ومن دقيق هذه الصنعة اعتبر صاحبنا العملية الجنسية فنّاً وصنعة لا كما يتناكح البعير أو المعيز وفي هذا قال النبي ﷺ: «لا يقع أحدكم على زوجته كما تقع البعير» أن يكون غنج المرأة ورهز الرجل متطابقين كالإيقاع على الغناء لا يخرج أحدهما عن الآخر وقد قيل في ذلك:

بتنا ومن حركات النكح لي ولها ... ما أُطربت منه أجسام وأسماع
لها ترنم شخر من تغنجها... ... ولي على حرّها بالرهز إيقاعُ

ويتابع صاحبنا قائلاً وفيهن من يكون غنجها كله سباً ودعاءً. وهذه عادة صنعاء وما يليها ـ وقال ـ وفيهن المشتهية التي لا تحسن التغنج ولا التكسُّر وهذا عام في نساء الجبل وما والاها من بلاد المشرق ونساء العجم.

وقد أخرج أبو الفرج في «الأغاني» من طريق المدائني أن إحداهن قالت: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل: قد جاء عمر بن عبيد اللّه (يعني زوجها) قالت فتنحّيت ودخل فلاعبها مدة ثم وقع عليها أسوة بما فعل وقال النبي محمد ﷺ فقد قال رسول اللّه لامرأة سألته: ما حق الزوج على الزوجة؟ قال: «إن سألها نفسها وهي على ظهر بعير أن لا تمنعه نفسها» انتهى الحديث. وبالعودة إلى عائشة بنت طلحة، وعمر بن عبيد اللّه نجد المتحدثة تتابع كلامها قائلة فشخرت ونخرت وأتت بالعجائب من الرهز وأنا أسمع فلما خرج قلت لها أنتِ في نسبك وشرفك وموضعك تفعلين هذا؟ قالت ـ إنّا نستهبُّ (بمعنى نشتهي) لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحرّكها فما الذي أنكرت من ذلك؟ قلت أحب أن يكون ذلك ليلاً، قالت ذاك هكذا وأعظم

(١) رشد اللبيب ـ لأحمد بن محمد أبو العباس شهاب الدين بن فليتة الحكمي، من أهل اليمن وله مصنفات عدة منها نزهة الأعيان، وجلاء القلوب من الأحزان، وسوق الفواكه، ونزهة المتفاكه.

(٢) ورد هذا في الروض العاطر في نزهة الخاطر ـ للنفزاوي.

منه ولكنه حين يراني تتحرك شهوته وتهيج فيمدّ يده إليّ فأطاوعه فيكون ما رأيت (ما ترين) ثم ألم يقل رسول اللّه إذا دعا الرجل زوجته لحاجة فلتأته وإن كانت على التنور[١] وفي هذا جاء في كتاب «نزهة المذاكرة» عن بعضهم سماع ما يلذُّ له تأثير في النشاط.

وإذا كان ما جئنا على ذكره قد ورد على لسان الأدباء والشعراء والحكماء والمحدثين من أهل الخبرة. فما هو رأي العلم «الطب تحديداً» في هذا الميدان ميدان الغنج؟

رأي الطب في الغنج «غنج المرأة»

قال بعض الأطباء في الغنج وأهميته ـ الحكمة في الغنج أن يأخذ السمع حظّه من الجماع (النكاح) فيسهل خروج الماء من جارحة السمع. فإن الماء يخرج من تحت كل جزء من البدن. ولهذا قيل «تحت كل شعرة جنابة، وكل جزء له نصيب من اللذة فنصيب العينين النظر، ونصيب المنخرين النخير وشمُّ الطيب ولهذا شرع التطيّب للنكاح، ونصيب الشفتين التقبيل (وقد سبق وأشرنا إلى ذور اللعاب من الناحية الجنسية حيث يمصُّ المتناكحات شفاه وألسنة بعضهما ـ حتى أن عائشة زوجة الرسول ﷺ كانت تقول: «كان إذا قبّل الواحدة منا مصَّ لسانها ـ (يبدو من كلام عائشة أن زوجات الرسول كنَّ يتحدثن لبعضهن عما كان يفعله معهن أثناء الجماع)؟! ولهذا جاء نصيب اللسان الرشف والمص، ونصيب السِّن العضّ ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «هلَّا بكراً تعضُّها وتعضّك أو تلاعبها» وتلاعبك كما جاء في بعض المصادر. ونصيب الذكر الإيلاج ونصيب اليدين اللمس، ونصيب الفخذين وبقية أسافل اليدين المماسّة، ونصيب أعالي البدن الضمُّ والمعانقة ولم يبقَ إلّا حاسة السمع فنصيبها سماع الغنج.

وفي ذات الصفة الشرعية والمحمودة والمطلوبة (الغنج) جاء على لسان بعض الشعراء (شعراء المجون) كما يسمّون مثل أبو عينية الأسدي ـ وأبو نواس ـ وأبو الطيّب الزندي ـ وعبد اللّه بن الحجاج ـ وغيرهم من أمثال الجوهري في الصحاح.

---

(١) عن الطبري في المعجم الكبير، والهيثمي في مجمع الزوائد، والمتقي الهذي في كنز العمال.

إنـي لأهـوى طـفـلـة ذات غـنـج خلخالها في ساقها غير حرج

أما ابن مطروح[١] فيقول:

مصارعُ الأسد بين الغنج والدعج وحلية الحس بين العاج والسبح
والدر ما كان في المرجان منبته دع البحار وما يكنن في لجٍّ

أما في الرهز[٢]

فجاء في «تحفة العروس» ـ قال ابن ذكوان[٣]:

وأنـتِ أمَـامَـةَ مـا تـعـلـمـيـن فـضـلـتِ الـنـسـاء بـضـيـق وحَـرْ
ويـعـجـبـنـي مـنـك عـنـد الـجـمـاع حـيـاةُ الـكـلام ومـوت الـنـظـرْ

كذلك أنشد البكري في «اللآلىء لبعضهم»:

شـفـاء الـحـب تـقـبـيـل وضـمٌّ وجـرٌّ بـالـبـطـون عـلـى الـبـطـون
ورهـز تـهـمـلُ الـعـيـنـانُ مـنـه وأخـذُ بـالـذوائـب[٤] والـقـرون

وقال آخر:

وللنكاح شروط في لذاذته قد اجتمعن لنا في خمس غيناتِ
غنجُ وغمزُ وغمزات وغربلةُ وغضُّ طرف

أما الشاعر الجزار[٥]

وتـصـنـعـي لـلـغـنـج فـهـو يـدلـي وبـه يـطـيـب الـنـكـح لـلـنـكـاحـي

وقال ابن المعتز (هو عبد اللّه المعتز بن المتوكل صاحب طبقات الشعراء) قتل سنة ٢٩٦هـ بعد يوم من توليه الخلافة:

وذاتُ نـأي مـشـرق وجـهـهـا مـعـشـوقـة الألـحـاظ والـغُـنـج

مما أشرنا إليه يتضح أن الغنج إن لجهة الشرع فلا غبار عليه ولا يمسه الحرام

---

(١) ابن مطروح: هو جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى. كان في خدمة الملك الصالح أبي الفتح أيوب توفي سنة ٦٤٩هـ.

(٢) الرهز: كناية عن حركات وأصوات وألفاظ تصدر عن المتناكحين في أثناء فعلهما.

(٣) ابن ذكوان: هو الأشهب بن رميلة النهشلي.

(٤) الذوائب: يقصد بها خصل من شعر المرأة.

(٥) الجزّار: هو يحيى بن عبد العظيم ـ أبو الحسن الجزار ـ أديب مصري توفي سنة ٦٧٩هـ.

ولا العيب وهو من جهة ثانية وكما شرحه السيوطي جلال الدين - وغيره هو خصائص أنثوية محببّة أودعتها في المرأة لها إيحاءات تنعكس على علاقة المرأة والرجل عند الممارسة الجنسية سلباً وبرودة إن فقدت هذه الخصائص الأنثوية.

وقد روي عن النبي ﷺ في هذا أنه قال: «خير نسائكم التي إذا خلعت ثوبها خلعت معه الحياء» وإذا لبسته لبست معه الحياء (ويعني هنا الزوجة لزوجها)(١).

ويؤكد المحدثون في علم النكاح (الجنس) على أنه من دقيق هذه الصفة أن يكون غنج المرأة ورهز الرجل متطابقين كالإيقاع على الغناء لا يخرج أحدهما عن الآخر وقد قيل في ذلك:

بتنا ومن حركات النكح لي ولها	ما أُطربت منه أجسام وأسماع
لها ترنم شخر من تغنجها...	ولي على «إربها»(٢) بالرهز إيقاعُ

وفي هذا جاء على لسان الرسول ﷺ عن جابر أنه نهى عن المواقعة قبل الملاعبة (المداعبة) ولهذا قيل: لا ينبغي أن تمارس العملية الجنسية (الجماع) ما لم يلاعب الرجل المرأة وتلاعبه حتى يعرف «يلحظ» الشهوة في عينها فإن ذلك أروح للبدن.

أما «الأصمعي» فقال في هذا المجال خرجت إلى البادية فإذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلّمت فإذا هي أحسن الناس وجهاً وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً. فحار فيها بصري واعترتني خجلة. فقالت ما وقوفك؟ فقلت:

هل عندكم من مخيض اليوم نشربه	أم هل سبيل إلى تقبيل عينيك
فلست أبغي سوى عينيك منزلة	أم هل تجودي لنا عضاً بخديك
أم تأذنين بريق منك أرشفه	أو لمس بطنك أو تغمير ثدييك
ردّي الجواب على من زاده كلفاً	تكريره الطرف من أجدال ساقيك

ورغم أن الشاعر هنا استعمل الكناية والتورية وفنون لغة الكلام فإن حشوة النص تفصح عن رغبته في ملاعبتها ومداعبتها من خلال تسلسل وصف أجزاء جسدها وما يريد فعله به.

---

(١) عن صحيح البخاري نقلاً عن الزهوي.

(٢) الإرب: أحد أسماء الفرج.

وبالعودة إلى صلب بحثنا وهو الشواذ والممارسات الجنسية الشاذة. فإننا نجد في كتب التراث العربي الإسلامي كتابات تدلُّ على أن المهتمين بدراسة هذه الموضوعات لم يهملوا أو ينسوا جانب النصيحة والنهي عن الممارسات الجنسية الشاذة لما لها من تأثيرات وانعكاسات سلبية مرضية على جسد الممارس ـ ذكراً كان أم أنثى إلى جانب تحريمها دينياً. وقد جاء هذا تحت عنوان «الأمراض التي يسببها الجماع ـ النكاح الخارج عن الأصول».

لكل جسد أسراره الأنثوية الحيوية

في الماضي كان عنصر الحب موجوداً بين الأزواج وبين المحبين ـ ولكن في عالم اليوم فلا معنى ولا روح لكلمة الحب لأنها أصبحت بلا إحساس ولا حركة وبلا شعور نابض من القلب بكل أحاسيسه الحقيقية لمعناها وبالتالي أصبحت على لسان العام والخاص مشاعاً يتكلمون بها دون فقه لمعناها الحقيقي ولا لمفهومها الخاص. لماذا؟

لأن عالم اليوم هو عالم الآلة والسرعة والتناقضات والإشباعات المادية التي لا يرضى عنها (رجل ـ امرأة) اليوم بديلاً فقد استبدلت كلمة الحب وعلاقة الحب التي كتب الشعراء فيها مجلدات وموسوعات ودواوين ومعلقات بالعلاقة الجنسية المباشرة التي تحمل الإشباع الجنسي المادي المحسوس سواء للرجل أو للمرأة تماماً كما قال الشاعر:

شفاء الحب تقبيل وضمٌّ وزحف بالبطون على البطون

وبما أننا مهتمون في بحثنا هذا بالمرأة وبحقيقة الجنس الذي يعتمل في داخلها يمكن القول وبشكل مباشر: إذا كان الرجل يترك ذكرى علاقاته النسوية الجنسية على باب بيته (شقته) فإن المرأة تحمل ذكرى هذه العلاقة في فراش الزوجيّة الأمر الذي يخلق عندها نفوراً من زوجها لا يلبث أن يتفاقم إلى مشاكل لا تنتهي.

وعلى الرغم من أن المرأة مخلوقة حساسة جداً وخاصة بالنسبة للأعمال التي تقوم بها وتعتبر مخزية ومشينة وربما تؤاخذ نفسها على القيام بها وتتألم لفترة إلّا أنها سرعان ما تنسى وتعاود الكرّة مرات عديدة وهذه غريزة طبيعية في المرأة وخاصة المرأة الشهوانية التي لا تقدر أن تضبط أعصابها عندما تسمع كلمات الغزل من هذا وذاك فإنها تمس حساسيتها وشعورها المرهف في الجنس.

فتندفع دون إدراك في طريق اللذة مع من يقدمها لها على طبق من الفضيلة

والسبب في كل هذا (وفي أغلب الأحيان والحالات يعود الزوج الذي لم يشبع فيها هذه الغريزة الشهوانية الحيوانية. وإما لجهله أو لمرضه أو لكرهه لها أو... أو...). والكلام هنا (لعلم النفس العام ـ وعلم نفس المرأة. وسيكولوجية المرأة ـ وعلم نفس الجنس. لكل من نوال السعداوي، وباسمة الكيال وبروفيسور نيكسوت وآخرين. تماماً كما تريدها المرأة ولعلّ تشديد النبي محمد ﷺ على ضرورة إشباع شهوة المرأة لم يأت من فراغ بل لعلمه بأن عدم إشباعها سيدفع بها إلى سلوك طرق أخرى لإشباع شهوتها الجنسية الحيوانية مع غير زوجها. وهو القائل: (فضلت المرأة على الرجل بتسع وتسعين جزءاً من اللذة ولكن الله ألقى عليها الحياء).

والسؤال الذي يطرحه البعض هنا. هل بإمكان هذا الحياء أن يضبط تسع وتسعين جزءاً من اللذة. أما الجواب فجاء على لسان أحد مشايخ إيران واسمه الحاج شيخ يوسف يقول فيه: إن المرأة تتحجب بسبب طبيعتها الحيوانيّة وقدراتها المحدودة على الحذر والإخلاص والتعقّل.

وفي هذا المجال جاء على لسان عالم النفس الاجتماعي ـ (ديڤيد جوردن): تعاني النساء في الإسلام من شبهة عميقة الجذور على أنهن غير جديرات بالثقة على المستوى الأخلاقي وأن ثمة شيئاً شيطانياً أو غير طاهر فيهن!؟ ويضيف إن في التراث العربي المكتوب ما يشير إلى أنها ـ أي المرأة العربية ـ جبلت على الشهوة التي تضطرم في داخل نفسها. ونسي جوردن أن صفحات التاريخ العربي مليئة بقصص النساء العربية المقاتلات والشاعرات والعاملات في التجارة وغيرها. لذلك ففي رأينا أن المسألة ليست مسألة عدم ثقة بالمرأة في المستوى الأخلاقي وإنما هي مشكلة وشبهة تسبب بها بعض أولي الأمر من المشايخ الذين استولوا بدون وجه حق وباسم الوساطة الإلهية على مقدرات العقل والفكر العربي الإسلامي فدمروه. أما ريتشارد أنطون (عالم الاجتماع) فيشير إلى أن فكرة تدني وضع المرأة يجد أشد تعبير له في الآراء التي تتعلّق بإمكاناتها الأخلاقية وليس في مكانتها الثانوية أو في الآراء التي تخص قابليتها العقلية ـ ويخلص إلى القول بأنه يوجد اعتقاد شبه مؤكد أن النساء هنّ اللواتي بدأن العلاقات المحرمة ويعزي (ويرجع) النزوع إلى الحرية الجنسية إلى الدوافع الشهوانية الشديدة التي تحرّك النساء.

وفي هذا المجال يقول علم النفس: «إن مفهوم الجنس يشير إلى حالة سيكولوجيّة»، أي حاجة حيوية نفسية ضرورية للتناسل واستمرار النوع البشري. وضرورية لاستكمال شخصية الإنسان بالتواصل الوجداني. فيدفع ذلك إلى تصور السلوك الجنسي على أنه مجرد عملية فسيولوجيّة بين ذكر وأنثى تصور مبتور يؤدي في أبشع صوره إلى الدعارة الصريحة والخفية في حين أن الحقيقة الموضوعيّة هي أن السلوك الجنسي تواصل وجداني بين رجل وامرأة أي التفاهم المتبادل والاحترام والتآلف والمسؤولية المتساوية.

الدعارة والعهارة (من العهر) والزنى

قبل الغوص بعيداً في هذا العالم عالم ماكنة الجنس الوحيدة الشغالة في العالم علينا أن نفرق بين العهارة (من العهر) في نوعها الحالي وبين العهارة المعروفة قديماً بعهارة الضيافة أو عهارة العبادة «كممارسة الجنرال الإسرائيلي ـ اليهودي موشي دايان، للواط تقرّباً من رب التوراة والتلمود التي يؤمن بها باعتراف ابنته الكاتبة والناشطة في ميدان المرأة في إسرائيل يائيل دايان». لذلك لا بد من تعريف العهارة الحالية التي هي موضوع بحثنا مفرّقين بينها وبين الدعارة[١] التي هي اتجار المرأة بجسدها وذلك بتقديمها هذا الجسد على وجه الاعتياد نظير مقابل مادي ـ مالي إلى أي رجل قادر على تحقيق هذه المصلحة. من هذا التعريف يستفاد أن الدعارة تقوم على أركان ثلاثة.

أولاً: ركن المصلحة

ثانياً: ركن الاعتياد

ثالثاً: ركن التصرف في الجسد لأي رجل قادر على تحقيق المصلحة المادية.

فإذا كانت المرأة لا تتوخى المصلحة المادية بل المتعة فلا تعد (تعتبر عاهرة) بل هي «زانية» في نظر القانون كما لا تتوافر صفة العاهرة في المرأة المواقعة «المجامعة» أي الممارسة للعملية الجنسيّة كاملة مع الرجال لمصلحة مادية بصورة غير مستمرة أو معتادة.

وأخيراً فإن كل مواقعة (مجامعة ممارسة جنسية كاملة) تكون المرأة مدفوعة إليها بحكم إعجابها الشخصي وهيامها بالرجل الذي تمارس الجنس معه لا يتحقق به معنى العهارة.

---

(١) د. رمسيس بهنام ـ علم الإجرام، الإسكندرية.

إذاً مما تقدم يتبين أن العهارة ليست المواقعة التي تتم مع أكثر من رجل في ظروف عابرة. وإنما هي التجارة بالجسد بمعناها وأركانها ـ أي جعل العملية الجنسيّة (الجماع) تؤدى لقاء أجر. ولا تنشأ الدعارة إلّا بناءً على ميل تكويني كامن في المرأة يجعل لديها استعداداً لأن تكون عاهرة.

وهناك نوع آخر من العهارة يدنو بالمرأة إلى مستوى المرأة الطبيعيّة الشريفة ويطلق عليه اسم العهارة المترفعة ويمتاز هذا النوع بذكاء وقوة مراس وروح مجازفة وإرادة قوية وحظ لا بأس به من الثقافة يتيح لصاحبته الامتزاج بالأوساط الاجتماعية الراقية وإتيان وجوه من النشاط الرقيقة (كالتجسس) ولعلَّ هذا ما دفع كتاب التوراة إلى تسمية المرأة اليهودية العاهرة ـ بالعاهرة المقدسة وقد أصدر مؤلف هذا الكتاب بحثاً خاصاً متخصصاً وموسعاً عن المرأة اليهودية صدر عن «دار الريّس للطباعة والنشر» في بيروت تحت عنوان «عاهرات مقدسات».

أما الدعارة بالمعنى الصحيح[١] وهي القائمة على ميل تكويني في نفس المرأة فبينها وبين الإجرام بالتكوين شبه كبير ـ وهذا الشبه يبدو في أن العاهرة بالتكوين عادة ذات نمو ناقص في الجسم وفي وظائف الأعضاء وفي النواحي النفسيّة وتتسم بسمات خلقية بدائيّة، وحساسيتها الجلديّة قليلة، وضعف الذكاء لديها واضح وكذلك البرود العاطفي والخلقي. ومثل هذه ينعدم لديها الإحساس بالحياء. وفضلاً عما تقدم فإن العاهرة بالتكوين كثيراً ما يكون لديها ميل تكويني إلى الإجرام كذلك السرقة والنصب والسلب والقتل أو الاعتداء العنيف الذي يتفاوت في الجسامة بين حالة وأخرى وقد يصل أحياناً إلى القتل.

وإذا كانت النساء المجرمات أقلُّ عدداً من الرجال المجرمين فإن هذا يرجع إلى كون العاهرات تحت وقاية رفاقهن من الرجال ـ كما أن إجرامهن كثيراً ما يتخذ شكل (صورة) الاشتراك بالتحريض ـ بل كثيراً ما تقصر العدالة عن بلوغه لأنه قد ينحصر في مجرد الإيحاء بالجريمة على نحو تتوافر به صورة من صور الاشتراك الفعلي. وأخيراً فإن الدعارة قد تكون لا عرضيّة ولا تكوينيّة وإنما مرضيّة. فهناك أمراض عقلية تكون العهارة من أعراضها وهذه الأمراض مثلها مثل الهيستيريا

---

(١) أحمد خليفة ـ **أصول علم الإجرام الاجتماعي**، المعارف المصرية.

والصرع والكيتروفيزينا أو توهّم الاضطهاد - وقد تكون الدعارة بسبب الحرمان العاطفي والمحبة من الوالدين في مرحلة الطفولة ولذلك تتلهف المرأة إلى الحصول على هذه العاطفة المفقودة بمعاشرة الرجال وقد تعود أيضاً لعقدة أوديب فيها - ومثل هذه المرأة يطلق عليها علماء النفس اسم أو صفة المرأة اللعوب.

من هي المرأة اللعوب؟

من باب العلم نقول هي أنثى فقدت كل عطف وحنان في بيئتها المنزلية في ظل الوالدين منذ طفولتها وحتى نضوجها التام. وأنها أرادت أن تغطي ضعفها الذاتي المعقد في مظهرها الخارجي الخادع ولسانها المعسول لتعوّض الحرمان الذي فقدته باندفاعها غير المعقول وراء الجنس وبشكل ملفت للنظر لتقهر ذاتية الجنس في ذاتيتها الملتهبة والمعقدة وهذا النوع من النساء مصابات بالشذوذ الجنسي والنفسي - وعلى المدى البعيد كما يقول علماء النفس تصاب بهيستيريا جنسيّة دائمة ضاربة بكل القيم الأخلاقية والإنسانية بعرض الحائط.

أما من الناحية الدينية والشرعية. فالبغاء المتعمد لقاء أي نوع من أنواع الأجور سواء كان من أجل المال أو الجاه أو حتى اللذة للممارسة، ويدخل في هذا كل أنواع العلاقات الجنسيّة التي تحمل صفة الزواج المؤقت تحت أي اسم كان (المتعة، المسيار، العرفي أو غير ذلك) ففي هذا النوع من النكاح قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[١]. وقال تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

أما إذا كان الزانيان متزوجين ولو مرة في العمر - يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا وفي هذا قال النبيﷺ: «فإن لم يستوفِ القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان في النار بسياط من النار» - وعن ابن مسعود قال: قال النبيﷺ: «من الذنب الأعظم أن تزني بحليلة جارك وهي عند اللّه بدرجة الشرك باللّه». (ترى كم من جار يزني بحليلة جاره في مجتمعنا المتبجح بـ . . .).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

وقد جاء أيضاً حول هذا الفعل على لسان النبيﷺ أنه ما من ذنب بعد الشرك باللّه أعظم عند اللّه من نطفة وضعها رجل في فرج امرأة لا تحلُّ له ـ أما أعظم الزنى فهو الزنى بالمحارم: أم ـ أخت ـ ابنة ـ امرأة الأب ـ العمة ـ الخالة ـ إشارة إلى أن هذا النوع من الزنى اشتهر في المجتمع اليهودي عبر التاريخ وحتى وقتنا الحالي (ارجع إلى كتاب «عاهرات مقدسات» وستعرف العجب).

الجنس حول العالم

بعد كل هذا الذي أشرنا إليه نجد أنفسنا ثانية وسط دوامة الجنس التي لا تهدأ ولا تتوقف بدليل أنه قلّما تجد ركناً من أركان الأرض يمتلك المناعة ضد تجارة الجنس بشكل ما من الأشكال ـ فأوروبا الشرقية مثلاً التي كانت شوارعها منضبطة تجاه الممارسات الجنسية المتفلتة باتت شوارعها اليوم تطفح بنساء الليل والرخيصات وبيوت الدعارة وكل باحثة عن المتعة لسبب أو لآخر بدءاً من التواليت الشارعي وحتى المقهى والسيارة ودور السينما وصالات الرقص.

وقد اكتشف الباحثون في هذه المجال أنه في قرى جبال الهمالايا في النيبال تباع سنوياً نحو سبعة آلاف فتاة عذراء بعمر المراهقة للمواخير التي تملأ «بومباي في الهند» وفي البرازيل أُرغمت حوالى خمس وعشرون ألف فتاة على احتراف الخدمات الجنسيّة في مخيمات التعدين بمنطقة الأمازون النائية ـ (مصدر المعلومات برازيلي حكومي).

أما في بولونيا فنجد الالآف من الفتيات المخصصات لممارسة الدعارة وهن غالبيتهن من النيجيريات، يعرضن في غرف زجاجية مضاءة بالنيون في أحياء بيوت الرذيلة. وهذا لا يعني بالطبع أن النساء البولونيات بريئات من هذه الممارسات، ولكن الطلب على النساء الإفريقيات بات كبيراً (لأسباب كثيرة سنعرض لها لاحقاً على صفحات هذا الكتاب) أيضاً هناك الفتيات الكولومبيات اللواتي يعملن في سوق الجنس في نواحي ميامي ـ كذلك لا يخلو سوق بيع المتعة من الكولومبيات والنيكاراغويات.

ما سبق الإشارة إليه يكاد ينحصر في العصابات ودور تجارة الدعارة الراقية كما يسمونها أما من الناحية الثانية، فهناك دول تمارس تجارة الجنس تحت عنوان «السياحة» والأصح الدعارة السياحية والدعارة التلفزيونية وهي تكاد تكون محصورة بالفتيات العاملات في برامج المنوعات والتسلية من خلال الشاشة الصغيرة. فإذا ما

أراد مثلاً مئة ألف سائح أميركي أو ألماني زيارة تايلاند سنوياً في رحلات جماعية تنظم خصيصاً لأغراض الجنس مقابل ملايين الدولارات، فمن له أن يعترض على تنشيط الاقتصاد والدخل القومي للبلاد. وفي هذا النوع من السياحة حذا كثير من الدول هذا الحذو ومنها دول شرق أوسطية معروفة مثل لبنان - وقبرص - وإسرائيل ومصر وغيرها. (وإلّا فكيف نفسّر إقامة الحفلات لاختيار ملكات الجمال - ملكة جمال الشاطىء - وملكة جمال الكرمة وملكة جمال المراهقات وملكة جمال السيقان و . . . وستار أكاديمي وغيرها).

إشارة إلى أنه يوجد في تايلاند بحسب الدراسات الاجتماعية الإحصائيّة حوالى مليوني عاهرة (فكم عدد القاصرات بينهن وكم عدد الفتيات اللواتي باعهن أولياء أمورهن أو أزواجهن أو إخوتهن، إذاً نحن مرة أخرى أمام حق الرجل في بيع المرأة امرأته - ابنته - أخته - وأحياناً ابنه الصغير ناهيك عن الفتيات والفتية الذين خطفوا من قرى بورما ولاوس والصين وفيتنام وأندونيسيا.

وتذكر الإحصاءات التي قدمت إلى مؤتمر المنظمات النسائيّة الذي عقد في العام ١٩٩١ أنه تمّ بيع حوالى ثلاثين مليون امرأة على النطاق العالمي.

وفي هذا الصدد تشير وسيلة تمزالي مديرة قسم حقوق المرأة بمنظمة اليونيسكو إلى أن أعداداً كبيرة جداً من الفتيات اللواتي دخلن سوق تجارة الجنس العامة - والخاصة هن في سن الرابعة عشرة من العمر، والغريب أن هذا السن بات مظلوماً بشكل واضح وكبير - (إشارة إلى أن العرب وبحسب العادات والتقاليد) وتقليداً لسنّة النبي ﷺ يقبلون بحماس شديد على نكاح من هن في سن الرابعة عشرة!؟

اعترافات مسؤولي الشرطة والإخصائيين في هذا المجال

جاء على لسان بعض مسؤولي الشرطة في إسرائيل إلى أنه في تل أبيب ارتفع عدد بيوت الدعارة إلى عنان السماء خلال خمس سنوات من ٣٠ إلى ١٥٠ نتيجة لتدفق المهاجرات الروسيات في الغالب.

أما في الصين المسوّرة والمقيدة بقوانين صارمة فقد بدأت تنتشر موضة النساء المضيفات من الشقراوات ذوات العيون الزرقاء والبشرة البيضاء.

وفي تركيا أو المنطقة التركيّة المجاورة للبحر الأسود ارتفعت نسبة المصابين بالأمراض التناسلية من الأتراك بسبب ممارساتهم الجنسيّة مع النساء المولدوفيات والبيلاروسيات مقابل (١٥٠ دولاراً) وتقول إحدى الروسيات وهي جامعيّة متخصصة إننا نستنزف رجال الأتراك من خلال الجنس حتى العظم.

أما في إسبانيا فنشاط شبكات الاتجار بالجنس كبير وواسع رغم ملاحقات الشرطة لهم ـ أما أكثر أماكن إسبانيا فساداً جنسياً في (ليريدا) ومايوركا وإيبيزا. وفي بلجيكا وهولندا وألمانيا تنتشر تجارة بيع الجنس بشكل يفوق قدرات الجهات المختصة على ضبطها ـ أما أسوأ الممارسات الجنسية التي لا تخلو من الوحشية فتلك التي تمارس مع فتيات الفلبين ومانيلا. فما يفعله الرجال من دافعي المال بأجساد النساء وفروجهن وألياتهن ودبرهن أكثر من أن يطيقه جسد آدمي.

أما الأخطر والأشد قذارة فهو وجود قسم خاص بأعمال الاغتصاب الشيطانية الجماعية مع الفتيات الكاثوليكيات المتدنيات اللواتي يتم خطفهن أو إغرائهن بالرغبة في تقديم المعونات لهن.

ومن غرائب الشواذ من الممارسين أن البعض يطلب فتياناً صغاراً تمَّ تحويلهن إلى إناث بعمليات جراحية لإشباع جوعهن الجنسي المريض وغير الطبيعي.

أما في أمريكا فسمعة مدينة هيوستن معروفة حول وجود الاستوديوهات لتصوير الأفلام الخاص بالعري والاغتصاب وألاعيب شيطانية أخرى. ويدير هذه الاستوديوهات كوريون جنوبيون بمعاونة جنود أمريكيين لقاء المال ـ وبحسب البضاعة التي يقنعها الجندي الأمريكي بالقدوم معه إلى أمريكا يتم تحديد الثمن والذي يتراوح بين خمسة آلاف دولار وخمسة وعشرين ألف دولار.

أما في لوس أنجلوس فتجارة الجنس تتضمن التصدير أيضاً تصدير نساء (فتيات) أمريكيات إلى اليابان لمزاولة الأعمال الجنسية طبعاً بعد تدريبهن وتحضيرهن في مؤسسات وأكاديميات متخصصة. ألا يشبه هذا ما يدور في ستار أكاديمي وغيرها من مؤسسات الفن؟!

إنها التجارة الرائجة في كل مكان (أما البضاعة فهي المرأة وأما الهدف فهو جهازها الجنسي وتوابعه).

أما في قارة آسيا فتجري تجارة الجنس (الجسد) بشكل واسع حيث كان اليابانيون يتدفقون على تايوان وكوريا الجنوبية في رحلات منظمة لممارسة الجنس على أنواعه وبطرائق ووسائل مساعدة غريبة تتفنن في إبداعها وتصنيعها وتعليم كيفية استعمالها شركات التكنولوجيا المتخصصة في هذا النوع من الأعمال.

إشارة إلى أن الاحصاءات تقول إنه في اليابان يوجد حوالى سبعين ألف امرأة تايلاندية يعملن كرقيق أبيض لدى الأغنياء تماماً كما كان الأمر في عصر هارون الرشيد بحسب المراجع وكتب التراث وعصر المأمون. أما المافيا اليابانية المعروفة باسم ياكوزا فهي متخصصة بشراء وبيع الفتيات القرويات الصغيرات.

وبالعودة إلى الهند نجد أن عقول القائمين على هذه التجارة «تجارة الجنس» يبتدعون طرقاً وأساليب كثيرة جديدة باستمرار لجلب السواح والزبائن ـ فمثلاً تمَّ استغلال رخص الطبابة في المشافي الهندية ـ وتحت هذا الشعار يدخل المريض الأجنبي فيعرض عليه عدد من الفتيات بطريقة أو بأخرى ثم ينتقل من غرفته إلى غرفة خاصة ومعه الفتاة التي اختارها وتمارس هذه العملية الجنسية بعد إجراء مراسم وشعائر خاصة، أما أتعاب الممرضة كما يسمونها فتتراوح بين مائة وألف دولار لليلة الواحدة وبحسب حذقها وشطارتها ورضى الممارس عنها.

أما بنغلادش فإن المتابعين فيها يصرخون بسبب تزايد عمليات اختطاف الفتيات والصبية الصغار فأكثر من مائتي ألف (٢٠٠٠٠٠) فتاة وامرأة وطفل تمَّ اختطافهم في السنوات القليلة الماضية والغريب أن الباحثين عن المتعة الجنسية المجنونة يلاحقون صانعي الجنس من بلد لآخر، وآخر معقل لهؤلاء حيث العبث الجنسي رهيب ومهووس في «ينجومومبو» بسريلانكا أما الطلب فيكثر على الأطفال من عمر اثني عشر عاماً ذكوراً وإناثاً.

أما الأغرب وسط هذا الكم المخيف من المعلومات فهو أن مديري أعمال الدعارة يشاركون في البورصة فقد أعلن المدعو بلانيت صاحب أكبر بيت للدعارة في أستراليا أنه يعتزم إصدار أسهم في البورصة الأسترالية وبحسب مديرته «كيدي جاكسون» فإنه أكبر بيت للدعارة في نصف الكرة الجنوبي. أما الذي يزيد الأمر استهجاناً فيتمثل باتصالات وصلت من أكثر من بلد مثل كندا وأميركا وبريطانيا

وبعض دول آسيا لشراء أسهم في هذه البورصة الأسترالية ـ وقد قدّر ديتز المسؤول الإداري للبيت الأسترالي حجم أعمال البيت السنوي بنحو مليوني دولار أميركي تقريباً والقانون الجديد المطروح الآن في أستراليا سيفرض نظاماً جديداً للرخص وتكوين مجلس خاص للإشراف على سير العمل توخياً للشفافية ويقول د. ديتر إن للعاملين في بيت ديلي بلانيت أولوية الحق في شراء الأسهم التي يتوقع أن تصل حصيلتها إلى حوالى ٣,٥ مليون دولار أميركي. وحول العمل في بيت الجنس هذا تقول إحدى المديرات لتقنية العمل الجنسي إن السعر يبلغ حتى ١٢٠ دولاراً للساعة الواحدة. أما عن الأعمار فهي من ١٨ سنة إلى ٢٨ سنة ولا مكان للمتشائمات من النساء في ديلي بلانيت أما عن رحلات الإيدز التي كان أبطالها من الأميركيين ومكانهم المفضل هاييتي فقد انتشر فيروس الإيدز بشكل مخيف حتى أنه إجتاح القارة الهندية كالوباء فمن بضع عشرات من الحالات سنة ١٩٦٨ بحسب إحصاءات المهتمين إلى مليون ثم ملايين المصابين في آسيا وهولندا والصين وغيرها من البلاد.

أما أحدث ما وصل إليه منظمو رحلات الجنس المريض (المهووس والشاذ) فيقدم في نواحي غابية (هي أشبه بالمحميات الصغيرة) حيث يطلق القائمون على إدارة تلك النوادي عدداً من الفتيات الصغيرات إلى ما بين ١٢ سنة و١٦ سنة من غرفهن الصغيرة التي هي أشبه بالأقفاص ثم ينطلق الرجال الصيادون الشواذ خلف الفتيات. ثم تبدأ عملية اغتصاب الفتاة التي يتم القبض عليها (أو الإمساك) بها بشكل همجي وحشي دون الالتفات ما سيلحق بها من أذى جسدي حيث لا مراعاة للجهاز التناسلي للصغيرات ولا لدبرهن ولا حتى لأثدائهن الصغيرة فكل شيء مباح ومسموح طالما أن المشترك (الصياد الشاذ) يدفع الدولارات المطلوب دفعها. وبعد إتمام تلك الحملات يتم استبعاد الفتيات اللواتي يصبن بكسور أو بمزقات لحمية في المناطق الحساسة من أجسادهن بحيث لا يعدن قادرات ولا مثيرات بما فيه الكفاية لمتابعة هذا العمل.

إذا كان ما أشرت إليه من سلوكيات مريضة وممارسات جنسية شاذة ومهووسة يمثل حقيقة ظاهرة للعيان في أوروبا والغرب عموماً، إلّا أنه لا يعني أن مجتمعنا العربي الإسلامي ومنذ ألف سنة أو يزيد بريء من مثل هذه السلوكيات والممارسات الشاذة. . . وعليه فإنني أرى أن اتهام بعضنا أو معظمنا للغرب بأنه هو المصدر

الأول لكل هذه السلوكيات والممارسات الجنسية الشاذة إلى مجتمعنا العربي الإسلامي هو اتهام باطل أو هو اتهام غير صحيح على الأقل هذا ما ناحية ثانية وحتى لا أتهم بعدم الموضوعية في البحث قررت النبش والتدقيق في كتب التراث التي تركها لنا السلف بحثاً عن الحقيقة وهي براءة مجتمعنا العربي الإسلامي من مثل هذه التهمة. فماذا وجدت؟

في وصف محاسن النساء

قال خبراء العرب في عالم المرأة والجنس يستحب أن يكون في المرأة أشياء لتزداد بها حسناً وإثارة. وقد فضَّلوها على الشكل التالي:

١ ـ يستحب فيها سواد أربع:

العينين ـ والحاجبين ـ وشعر الأجفان ـ وشعر الرأس.

٢ ـ بياض أربع:

الأسنان ـ البشرة ـ فروة الرأس ـ بياض العينين.

٣ ـ حمرة أربع:

اللسان ـ الشفتين ـ الوجنتين ـ الأليتين.

٤ ـ تدوير أربع:

الوجه ـ الرأس ـ الركبتين ـ الكعبين.

٥ ـ طول أربع:

القامة ـ الحاجبين ـ العنق ـ الشعر.

٦ ـ وطيب أربع:

الفم ـ الأنف ـ الإبط ـ الفرج.

٧ ـ وسعة أربع:

الجبهة ـ الصدر ـ العينين ـ الوركين.

٨ ـ وضيق أربع:

الأذنين ـ المنخرين ـ السرّة ـ الفرج.

٩ ـ وصغر أربع:

الكفين ـ الفم ـ الأنف ـ القدمين.

وليعلم القارىء أن الجماع أربع:

الجماع الأول: شهوة

والثاني: لذَّة

والثالث: شفاء

والرابع: داء.

وقال بعضهم فيما يكرهه الرجال من النساء.

إن ما يكرهه الرجل في المرأة نتن الفرج ـ ورطوبته، وخشونته ووسع مسلكه وصغر حجمه واندلاسه إلى داخل الفخذين وتكره المرأة النهامة.

خطر الجوع الجنسي

يقول بعض العلماء إن التدين والتصوف خير العلاجات لكبت الشهوة المتأججة. ولكن استجابة الناس دائماً إلى الدين مشكوك فيها ـ فليس باستطاعة الناس جميعاً التصوف والتبتل ولا يمكن لجميع البشر أن يصبحوا شيوخاً ورهباناً وقساوسة.

وفي هذا المجال يعترف الناسك أوغسطين بأنه ليس من السهل أبداً أن يتغلب ابن الأرض على الشبق وأن يخنق صوت شيطان الجنس، كذلك الأمر مع الناسك (أنطونيوس) الذي اعترف بأن الشيطان كان يلاحقه أثناء تعبده فتتراءى له نسوة جميلات في أوضاع شاذة يغرينه إلى صحبتهن.

وعليه فمن المؤكد أن الجوع الجنسي خطر ومن العسير أن يشعر المرء بالهناء والهدوء والاستقرار النفسي الدائم ويحتفظ بعقل سليم ونفس مطمئنة وهو يعيش آلام حالة كبت مستمرة أو إخفاق في الاستجابة إلى نداء الجسد ونداء الروح فلكل غذاؤه وما يؤكد الخطورة المشار إليه أن الاندفاع لإرواء الغريزة الجنسية قوة لا تقهر وأن كل شخص عاقل مدرك ينطوي على وازعٍ جنسي حبيس وشهوة قوية فعّالة وكل من ينفي (أو يلغي) وجود هذا الإحساس عنده يكون إما منافقاً كذاباً أو مريضاً عليلاً. وقد جهر بهذا (بهذه الحقيقة) كثير من النسّاك والمتبتلين الذين انقطعوا إلى العبادة. وصرحوا به تحت وطأة هذا الوازع الشهواني.

فهذا بوذا المتبتل الصيني يقول: «آه إن هذا المحرق أكثر من النار التي تتلظى إن هذه الغريزة تكوي الأجساد وتؤلمها بأكثر مما تكوي أجساد الفيلة بالحديد المحمى».

أما الفيلسوف «شوبنهور» فيمتدح شيخوخته ويقدسها لأنها أنقذته من هذا الجلاد الذي لا يرحم ـ جلاد الشهوة الجنسيّة.

في حين أن ديوجين الفيلسوف المعروف الذي كان من أجلّ الرجال اتزاناً وأكثرهم احتراماً في عصره انقطع إلى العادة السرية على ملأ من الناس وهو يقول: «من المؤسف

جداً أن لا أستطيع حبس شهوتي الجنسية بطريقة أبسط من إشباعي لجوعي».

ومن المؤسف حقاً أن نرى نضالاً اقتصادياً متنوع الأشكال وتنافساً على وضع الأسس الاقتصادية التي من شأنها تنظيم مرافق الحياة في الأمم وتأمين الغذاء للبشرية وإسكات جوع أفرادها البطني المعدي ولا نسمع في المقابل تنادياً إلى تأمين وإشباع حياة البشر الجنسية بشكل منظم «رغم خطورة هذا العامل الذي ينكره البعض أو يستهزىء به. أو هم في أحسن الأحوال يغمضون عيونهم دون رؤية الحجم الذي يتخبط فيه أولادهم وبناتهم وما يسببه لهم من آلام نفسيّة ولو علموا بهذا الخطر لسارعوا إلى ابتكار الأساليب وتسهيل الأمور لأبنائهم خاصة بعد أن توسّعت الآفاق الثقافية وأغرقت الأسواق بالمجلات والكتب والروايات ناهيك عن الإنترنيت وما تعرضه وتسهّله مما أدى إلى تشعب دوافع الإثارة الجنسية وسط بحر من ضروب المهيجات المنثورة هنا وهناك على الطرقات. وبالرغم من ازدياد فعاليّة وخطورة عامل الجنس في حياتنا العصرية. فإن من يقع على عاتقهم إيجاد الحلول لم يبذلوا من الاهتمام ما يكفي بل هو أقل مما كان أسلافهم الأولون يفولون بدلاً من أن يزيدوا في هذا الاهتمام.

لقد كان القدماء الأولون يقدسون الظواهر الجنسية بأشكالها المفضوحة في صراحة وعلانيّة ولا تزال إلى هذه الأيام أمثلة كثيرة لا تحصى عن هذه النماذج القديمة من العبادة. ففي عصور التاريخ مارس المصريون القدماء واليونانيون والفينيقيون أشكالاً من العبادة الجنسيّة (منها عبادة الأعضاء التناسلية) وبطبيعة الحال نحن لا ندعو إلى العودة إلى الوراء إلى الزمن الحجري وزمن عبادة الشيطان أو الأعضاء التناسلية ولكننا ندعو إلى تحطيم القيود التي كبّلت ولا تزال أفواه مفكرينا وأيديهم وجعلتهم ينكمشون خوفاً ورهبة في الوقت الذي يكافح فيه هذا النشء ويظل على مقاعد الدرس إلى سن الخامسة والعشرين (على الأقل) ثم يطلب منه ذووه (وأصحاب الشأن الديني) أن يكبح جماح شهوته ويقتل اندفاعه الجنسي بداخله. ويعيش حالة من الحرمان تؤدي به إلى خلل في التوازن بين عوامل الجسد والروح. هذا التوازن الذي هو عامل أساسي لاتزان كل شخص طبيعي يريد أن يثبت وجوده في هذه الحياة ويقوم بنصيبه فيها من العمل في سبيل الخير والحق والوطن. والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هنا هو. **هل يستطيع التعفف هزيمة شياطين الشهوة؟**

«التعفف وشياطين الشهوة»

قال الحفيد لجدّه الرصين المتعبد الزاهد. كيف لي أن أقهر شياطين الشهوة الذين يمزقون صدري بمخالبهم؟ فأجابه جدُّهُ بالتعفف يا بنيَ بالتعفف فقال الفتى وهل التعفف وسيلة مضمونة وسلاح قادر على هزيمة النزعات الجنسية الغائرة؟ فأجاب الجد: إن التعفف سلاح فعّال ضد مثيرات هذا العصر، وليس هذا فحسب وإنما هي تمنح المتسلّح بها الصحة. وأنت تعرف مدى أهمية الصحة الجسديّة والنفسيّة والعقليّة هذا ما جاء على لسان الجد. ولكن ما هو رأي العلم والعلماء من باحثين وأطباء في مثل هذه الإجابة؟

في هذا جاء أن التاريخ والطب لا يؤكدان ذلك ولا يجزمان به. نعم، إن فكرة الطهارة أو العفة تقوي الروح وتزيد من متانة أخلاق المتنعم بها. . . ولكن تحقيق هذه الفكرة يتطلّب صراعاً بين قوى الإرادة وشياطين الجنس وانتصار الإرادة يكون حتماً على حساب الجسم، وحساب صحته (ظل الفيلسوف شوبنهاور يتأوه طوال حياته شاكياً شيطان الشهوة داعياً الشيخوخة إليه كي يخلص بها من عزلته).

وفي هذا المجال يجزم أكثر العلماء بأن لا إبداع، ولا إنتاج، ولا استقرار في الجسد أو النفس للجائع جنسياً ولا تعفف.

وتقول قواعد الطب إن الغدد التي لا تعمل تضمر، والعضو الخامل يذبل ويضيف الأطباء إن عضواً تناسلياً لشخص سليم معافى لن يستطيع القيام بواجبه إذا أخمد لعشر أو عشرين سنة وليس هذا فقط بل سيؤدي ذلك إلى اختفاء الصفات الجنسية عند الرجل والمرأة على السواء. وهكذا تغيب عن العفيف المكبوت والكاظم مظاهر الرجولة لتحلّ محلها صفات الخصي قليلاً قليلاً أما الفتاة فتسترجل ويكثر الشعر في جسمها ويكتسب وجهها طابع الصرامة ويفقد أنوثته ونعومته، والمؤكد أنه ألّا يمكن خنق صوت وحوش الغريزة الجنسية الرابضين في أعماقنا وينشبون مخالبهم في صدور الشباب من الجنسين.

وعلى هذا يرى بعض العلماء أن طريق التصوف والتبتل لا يكفي لإيجاد حل للمشكلة الجنسيّة تفيء إليه الإنسانية المعذبة على اختلاف مللها ونحلها. وقد يكون ذلك سبيلاً إلى نسيانها مؤقتاً وتنكبّ الرذيلة إلى حين. ولكن سلطانه مقصور على من

تفتح قلبه للدين، وليس البشر جميعاً كذلك فقد جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[١] حتى الرسولﷺ منع التصوّف في الجنس حين قال «لا رهبانيّة في الإسلام».

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦.

الفصل الثالث

الفقه الإسلامي وأنواع المخلوقات

يميز الفقه الإسلامي بين أربعة أنواع من المخلوقات ـ الملائكة ـ الإنس ـ الجن ـ الشياطين. وكما جاء في الشرع فكل هذه المخلوقات مكلّفة «أي كائنات حيّة مطلقة وفيما عدا الملائكة فهي كائنات جنسيّة» ـ ويرى الرازي أن الملائكة ذات نوع واحد تنتفي منه الأنوثة والتوالد فلا شهوة لهم. لا للأكل ولا للمعاشرة الجنسية، فهم خلقوا لحمد اللّه وتسبيحه فقط.

وفي حين تلعب الملائكة دور الملهم للإنسان ليتفوق على ذاته ويتسامى نجد أن الشيطان والجن يعكس تصورات مناقضة تماماً. فهؤلاء أصحاب شهوة قابلون للوصال أما إبليس فهو وكما جاء في آراء بعض المفسرين خرج من طائفة الملائكة بسبب غيرته الشديدة من الإنسان وسلك طريق التمرد على اللّه بأن أقسم على دفع الإنسان بالوسوسة إلى قاع الشر والخراب والإثم. وعلى هذا فإبليس من وجهة نظر الإسلام مجرد مخلوق كل همّه محصور في تحريض الإنسان على معصيّة اللّه من خلال فعل المحرمات ومنها الزنى. وأمام هذا السلاح الفعّال لإبليس سلّح اللّه الإنسان بالعقل ومنحه حرية الاختيار والقدرة على التمييز بين الخير والشر. ولهذا فإن للشيطان دوراً في الإسلام يختلف تماماً عن دوره في الديانة المسيحيّة التي ترى الإنسان خاطئاً مستحقاً للوم في حين لا يتمتع الشيطان وفقاً للرؤية الإسلامية بأية سلطة مطلقة على الإنسان بل كل ما يملكه هو الغواية ليثبت وليبرهن للّه أن هذا الإنسان قابل للتردي في الضلال والإثم واختيار طريق الشر للوصول إلى أغراضه بكل أنانية وانحطاط وأن هذا المخلوق أدنى من أن يسجد له الشيطان (إبليس) ومع ذلك فبالنسبة لمن يسمّون بالأصوليين المسلمين يبقى آدم صاحب جنّة عدن فيما إبليس صاحب جهنم.

وبالعودة إلى موضوع بحثنا الأساسي وهو الجنس والشهوة عند مخلوقات العالم السفلي نجد أن للشيطان قوى متنوعة لا حدّ لها أما أمضاها فهو سلاح الشهوة الجنسية التي يتميز بها هذا المخلوق الساقط من سماء الملائكة ولشدة شهوانيته فإنه لا همّ له إلّا إثارة الشهوة أينما حلّ وفي هذا المجال نجد القرطبي[1] يعتمد على أحد الأحاديث النبوية كمفتاح لحل هذا اللغز جاء فيه.

لما صوّر اللّه تعالى آدمﷺ في الجنة تركه ما شاء اللّه أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك أي إنه غير قادر على كبح نفسه وأهوائه تجاه شهوة الجنس فهل هذا يعني أن آدم سلّم إلى قوى الشيطان منذ ولادته؟

اللّه خلق الفرج أولاً!؟

في حديث نقله عبد اللّه بن عمر بن العاصي قال أول ما خلق اللّه تعالى من الإنسان فرجه وقال هذا أمانة فإن حفظتها حفظتك[2] وعليه فمن المؤكد أن هذه الوديعة المتمثلة بالقدرة الجنسية هي التي أشعلت الغيرة في إبليس اللاجنسي ـ لذلك فإن انتهاك المحرمات بدءاً بالزنى وانتهاءً بكل أشكال الانحرافات الجنسية الأخرى ما هي إلّا غواية الشيطان وتحريض منه.

وفي هذا يرى «أودفري ديمومبينيس» أن الحيّة ترمز في العربيّة «يقصد اللغة القديمة» إلى الشيطان. فهي الشكل الحيواني الذي تتخذه الشياطين عادة في التراث الإسلامي ذلك لأن إبليس حين أراد أن يخدع الملائكة سدنة الجنة ـ حراسها دخل في جوف حيوان يشبه الجمل فلعن اللّه هذا الحيوان ومسخه حية تسعى على بطنها[3].

أما بالنسبة لليهود، فإبليس هو حيّة التوراة المحرّضة على الغواية النافثة للشرّ ورمز الروح السفلي داخل الإنسان التي رمز لها بالشيطان والحية والعقرب حسب

(١) القرطبي: أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن، الجزء العاشر.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الجزء العاشر.

(٣) Gaudefroy Demombynes-Mahomet. p.317.

الثلاثية التي تفضلها ماريز شويسي(١) والملاحظ أن الشيطان غالباً ما يعبّر عن الجانب الخفي من المسلم العربي الذي يعيش في حوار شبه دائم مع نفسه لا يقتصر على حدود الحلم فقط وتجدر الإشارة هنا إلى لقاء تمَّ بين رسول اللّٰه محمد ﷺ وإبليس - والحوار الذي دار بينهما - وقد جاء هذا النص في رسالة محيي الدين بن عربي (شجرة الكون) الذي جمع متفرقات الحوار من كتب الحديث وعلى رأسها «الصحيحان» للبخاري ومسلم ويشير نص محيي الدين بن عربي إلى هذا اللقاء في منزل أحد الأنصار حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب وكان أحد الحاضرين همَّ بقتل إبليس في لحظة من لحظات الحوار لكن النبي ﷺ منعه وطلب منه ومن الصحابة الإصغاء والتمعن فيما يقوله أبو مرة أي إبليس الذي جاء مأموراً من اللّٰه.

والمدقق في النص يرى أو يلحظ أنه يوحي في جوهره بأن الغواية أمر ذاتي وعلى الإنسان وحده أن يعيها ويبتعد عنها إذا ما أراد قهرها والغلبة عليها. وأن المعرفة قد تحمل الخلاص حتى وإن جاءت عن طريق إبليس الذي هو جوهر الشر. وقيل إن إبليس ظهر في صورة شيخ أعور قبيح كوسج(٢)، ففي لحيته سبع شعرات كشعر الفرس وعيناه مشقوقتان بالطول ورأسه كرأس الفيل وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وشفتاه كشفتي الثور(٣) صورته صورة بشعة بل هي قبيحة بدون شك ولكنها ليست بالغة الوحشية لمثيلاتها التي تمخض عنها الخيال المسيحي في العصور الوسطى فأين هذه على سبيل المثال من تلك الصورة المرعبة التي قدمها «فينزليه آبي».

إن ما يعكسه النص العربي لا يتعدى مختصر شيطان متمرد على اللّٰه يصرُّ على نشر المعاصي وإفشائها ولا شيء أكثر من ذلك.

أما في الجانب المسيحي فيلمس المرء في علم الشيطنة المسيحي Demonology - تأثير خطة جهنمية. آلة حرب تهدف إلى إغراق العالم بالشر والسخف والفسق وذلك باستيعاب الشيطان وامتصاصه في موضوعات قصصية خرافية خارقة وبعبارة أخرى إن الرؤية الفورية المباشرة للرذيلة هي الوحيدة القادرة على شفاء الإنسان وإنقاذه.

وتتصل المشكلة محل البحث بتلك الشهوة والفسق المنسوبين للحم - فشيطان

---

(١) Maryse choisy: L'archetypes dotorois, S. Satan serpents corpion.

(٢) كوسج: أي ضعيف شعر اللحية.

العصور الوسطى المسيحية يمثل الشبق والهوس باللحم وبما ينبعث منه من فساد عفن استناداً إلى هذه الرؤية يبقى عالم الأرض أسيراً للإثم وللرغبة وللرذيلة، والشيطان يستثنى من رحمة الله فهو مدان مطرود من رحمته تعالى. لكن ورغم سقوطه فإن الشيطان يبقى ملكاً متمتعاً ببعض الفضيلة والخيال والدهاء أقوى من الإنسان بما لا يقارن منتصراً عليه أبداً. والإنسان عاجز تماماً لعدم قدرته على إقامة حاجز إيماني فيما بينه وبين الشيطان ومن ثم يأتي معنى الحلف مع الشيطان والحشود السوداء والسحر والشعوذة.

ويمكن القول إن أسطورة الشيطان في التحليل النهائي توحي بالتحرر الفردي وأحياناً الجماعي وذلك بفضل ما تزخر به ذاته من تناقضات الجمال والقبح والمكر والغباء بكلمة واحدة هو ملاك ساقط. أما إبليس التوراة فشيطان ولكنه يحمل النور في آن معاً. واستناداً إلى القرآن الكريم. إبليس مخلوق من نار وليس من نور. ويشير الإسلام كما المسيحيّة إلى مواجهة اللاوعي الشيطاني باللاوعي السماوي، ويبقى اللبس في علاقة الإنسان المزدوجة بعالمي الحيوان والملائكة. أيضاً فالإسلام يقيم علاقة قوية مع الجن قد تصل أحياناً إلى حد العلاقة الجنسية ما دام ليس هناك أرضية شرعيّة تعارض النكاح بين الإنس والجن. في هذه النقطة يقع الخلاف أو تختلف الرؤية المسلمة عن الرؤية المسيحية.

حقيقة الجن في الديانة المسيحيّة

مستندين إلى الكتاب المقدس في تعريفنا عن الجن والجان والشيطان يمكن القول. إن تعريف الجن في الكتاب المقدس (الإنجيل) كما يلي (تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء... التنين العظيم والحية القديمة والمدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله)[1] ومن هذا النص تتعرف على حقيقة إبليس.

١ ـ إن اسمه إبليس ويعني (المفتري أو المشتكي وهو المشتكي الذي كثيراً ما يتهم المؤمنين كذباً أمام ضمائرهم ليفقدهم سلامهم الداخلي أو أمام الآخرين ليعطل شهادتهم للرب.

---

(١) رؤيا ١٢: ٩،٣.

٢ ـ الشيطان تعني الخصم لأنه يعادي اللّه وعباده.

٣ ـ الحيّة تعريف بخطورتها لأنها أصبحت مع الوقت تنيناً.

٤ ـ التنين العظيم الأحمر أما الأحمر فهو يرمز إلى لون الدماء والدماء هي لون الحرب فالشيطان كائن وحشي لا يعرف الشفقة فقد قال عنه السيد المسيح عليه السلام (ذاك كان قتّالاً للناس من البدء)[١].

٥ ـ السبعة رؤوس ورقم سبعة يتحدث عن الكمال والشيطان شخص ذكاؤه فائق له ملء وكمال حكمة العالم.

٦ ـ كل رأس له إكليل. كلمة تدل على تيجان من الملك والسيطرة ـ فإبليس يريد أن يسيطر على النفوس وعلى الأسر وعلى المجتمعات ويريد أن يحتفظ بملكه على العالم أجمع وهدفه أن يبقى كل إنسان في الظلمة محروماً من النور محروماً من الحياة.

٧ ـ وله عشرة قرون فهو لا يستخدم ذكاؤه لخير أحد في هذه الحياة بل يريد تدمير العالم وأن قوته التدميرية تتسع وتشمل كل مجالات الحياة ـ ورقم «عشرة» يشير إلى دائرة اتساع نيرانه وخرابه.

٨ ـ ثلث النجوم (نجوم السماء) والنجوم تشير في الكتاب المقدس إلى الملائكة فإن كان قد سقط ثلث العدد الفعلي للملائكة فهذا يعني أن عدد الشياطين يساوي نصف عدد الملائكة الذين لم يسقطوا. وفي سفر الرؤيا والإصحاح الخامس ولكن كيف نشأ إبليس في الديانة المسيحيّة.

جاء في الكتاب المقدس على لسان أشعياء (كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح)[٢]. والزهرة ترجمة للكلمة العبرية (هليل) وهو أكثر كوكب يلمع في السماء بعد الشمس والقمر وقد عرف هذا الكوكب باسم (لوسيفر) في اللاتينية (وهيوسيفوروس) باليونانية القديمة ويجدر التنويه هنا إلى أن (هليل)

---

(١) يوحنا ٣: ١٢.

(٢) أشعيا: ١٤: ١٢.

بالعبرية وهيوسيفوروس باليونانية هم أول اسم أطلق على الشيطان ـ والاسم هنا يشهد للطبيعة النورانية اللامعة والجميلة التي خلق بها فما هي صفات هذه الطبيعة أو بسؤال مرادف كيف كان الشيطان في أول أيامه؟

١ ـ جاء في سفر (حزقيال) أنه كان ملآن حكمة(١).

٢ ـ أنه كان كامل الجمال(٢).

٣ ـ أطلق عليه لقب الكروب المنبسط الممسوح المظلل(٣) أما الكروب فهو أحد أنواع المخلوقات السماوية المنشغلة بالتسبيح ويذهب الكتاب المقدس إلى القول إن الشيطان كان غير عادي ولكنه عندما أخطأ قال لنفسه (رفع كرسي) فوق كواكب الله ثم يوضح لنا أشعياء النبي كيف أنه سقط(٤).

وما يمكن أن نخلص إليه هو أن الكروب أو (هيوسيفوروس) فكر أن يتحرر من سيادة القدير وعجب بنفسه وأعجب بذاته والذات هي أم جميع الخطايا إنه الكبرياء أو الخطايا التي يبغضها الله.

ماذا قال إنجيل يوحنا في مملكة الشر والظلمة؟

ونقرأ في المراحل الثلاث لإنجيل (يوحنا) أن الشيطان هو رئيس هذا العالم(٥). وفي سفر الرؤيا نقرأ عن الكرسي الشيطان(٦) وكلمة كرسي تعني العرش ومملكة الشيطان منظمة كنظام الجيوش تتدرج فيها القيادة. وهكذا يمكننا أن نميّز بين أربع درجات في مملكة الظلمة والرؤساء السلاطين ـ الولاة وتعمل الأرواح الشريرة في مجموعات ولكل مجموعة قائد يقودها ويتحدث باسمها أما الأنبا غريغوريوس فيضيف أبعاداً جديدة لهذه القصة حيث يقول لقد جاءت تسمية الشيطان نسبة إلى (سطانائيل) الذي كان رئيس ملائكة في السماء ونسب إليه أنه تمرد على الله وخطيئته

---

(١) حزقيال: ٢٨: ١٢.

(٢) حزقيال: ٢٨: ١٢.

(٣) حزقيال: ٢٨: ١٢.

(٤) أشعيا: ١٤: ١٢، ١٤.

(٥) يوحنا: ١٢: ٢١، ١٤، ٣٠، ٦، ١١.

(٦) رؤيا: ٢: ١٣.

هي «الكبرياء» عندما اعترض على تفكير اللّه وظهر في نفسه أنه أحكم من اللّه وعند ذلك انبرى له (ميخائيل) وملائكته وتمّ طرد الشيطان من الجنة ونزل إلى الأرض وما تحت الأرض. وتتحدث الديانة المسيحية عن أن السحر نوعان (سحر أبيض وسحر أسود) وما يهمنا التركيز عليه في هذا البحث هو حقيقة زواج الجن والإنس مسيحياً (وكنا قد أشرنا إلى هذه النقطة إسلامياً).

أما عن قضية الزواج زواج الإنس والجن من وجهة نظر الكنيسة المسيحية فيقول الأنبا غريغوريوس إن هناك نوعاً من الارتباط الفكري بين الإنسان والجن أكثر منه وجود ارتباط جسدي حيث إن الإنسان مملكة والشيطان مملكة أخرى تماماً ولا يصح أن يحدث إخصاب بين كائنين من مملكتين مختلفتين ولكن ما يحدث في مثل هذه الحالات هو نوع من أنواع الحرب الفكرية وبلغة أوضح أنه في الغالب تلك الحالات لا تنتج عن الجان ولكن هناك أرواح بشرية من التي خرجت من هذا العالم بالموت فهذه الأرواح البشرية وقت أن كانت في الحياة كانت مقهورة في رغباتها الجنسيّة ولأن حياة الإنسان بعد الموت ولكن بدون الجسد فإنهم على بعض الأحياء ممن يلمسون فيهم استعدادات جنسيّة مثل الشباب الذي يتيه في أحلام اليقظة عن الجنس وهذه الأرواح البشرية الشريرة تتلمس مثل هذا الإنسان فتشعر المرأة برجل بجوارها أو العكس، وهذا الرجل الذي تشعر به المرأة ليس من الشياطين ولكنه في الغالب كما ذكرنا من الأرواح الشريرة، وذلك لأن معلوماتنا تؤكد على وجود غلمان الشياطين ليس لها في النجاسة حيث إن خطيئة الشيطان ليست نجاسة ولكنها الكبرياء، وعما إذا كانت الشياطين تتزاوج فيما بينها يقول الأنبا (غريغوريوس) إن الشياطين تتواجد بأعداد كبيرة ولكنها لا تتزاوج أبداً. وكل الأرواح الملائكية لا تتوالد لأن فيها التوالد يحدث دوماً في عالم الكائنات القابلة للموت ولذلك يطلقون على الجنس غريزة حفظ النوع وفي المسيحيّة والكلام للأنبا غريغوريوس نقول بأن فكرة التوالد لم تأتِ إلّا بعد أن سقط آدم في الخطيئة ولكن الملائكة لا يتزاوجون حيث قال السيد المسيح يكونون كملائكة اللّه في السماء لا يتزوجون ولا يزوجون وهذا عن البشر في العالم الآخر وحكم الشياطين هو نفس حكم الملائكة وبذلك فهم لا يتوالدون ولا يتزاوجون وليس لهم أجسام مثلنا وليست لهم الرغبة الجنسية أيضاً.

أحد أبرز النقاط في المعتقد الإسلامي. والقرآن لا يشير صراحة إلى ما يمنع تواصل الإنس والجن.

الجن يشكل قناعة أساسية في الإسلام

يتوصل الباحث في هذا الموضوع إلى أن الاعتقاد في الجن يشكّل قناعة أساسية في الإسلام على الرغم من أهميتها بمرور الزمن. فابن نجيم على سبيل المثال يطالعنا بمعلومات وافرة عن الجن في رسالته «الأشباح» التي استمد أصولها في السيوطي ـ جلال الدين ـ والشبلي ورسائل فقهية كثيرة. وفي هذا المجال يذكر أن بعض أهل اليمن أرسلوا إلى الإمام مالك في المدينة يسألونه الرأي بشأن إحدى جواريهم التي تقدم لخطبتها أحد الجان تعبيراً عن حسن نيته. وأرسل الإمام مالك يقول إنه لا يوجد مانع ديني لهذا النوع من النكاح غير أنه أبدى خشيته أن تنسب كل امرأة تحمل سفاحاً ما في أحشائها إلى الجن مما يحول بالضرورة دون الكشف عن العلاقة المحرّمة.

وفي كتاب «تزيين الأشواق» يعرض الكاتب لستة أمثلة واقعية لعلاقات جنسية مع الجن ولمَ العجب ولكل كائن ملائكته وشياطينه أو على الأقل قرينه واحد. ففي تزيين الأسواق يروي الكاتب أن قرين السيدة عائشة أضفى عليها جمالاً وسحراً وطبعها بالغيرة. وبقي أن نقول إنه حين يأخذ العفة وهم الإنسان وخياله على محمل الجد يساعد ذلك الأخير على إعطاء معنى لأوهامه ومن ثم امتصاصها ثم الخلاص منها. إنهم أي البعض يريد عقلنة كل ما هو غير عقلاني.

ونختم بالقول إن من يعتقد في المثاليات ويبقي نفسه داخل دائرة الممنوع والحرام إما أنه يضع نفسه في زمرة الأغبياء أو أنه يحاول استبلاه الآخرين ـ القرّاء خاصة ـ وأن هناك مواضيع كثيرة مسكوت عنها وممنوع الاقتراب منها بالنقاش، ولكن هناك روايات وأخبار من الصعب السكوت عنها لأنها تدخل في إطار الخيال الأسطوري ونحن نرجح أنها دُسَّت في النصوص الإسلامية عن جهل أو لغاية في نفس يعقوب كما يقولون.

ومع ذلك يتناولها بعض من فقهائنا وكأنها وقائع نعيشها في حياتنا اليومية، فتأتي بعض الاستفسارات تفرض نفسها وخاصة تلك المتعلقة بالجن وعددهم

ونكاحهم أو تنكيحهم، ونوع الطعام الذي يحبون وروائح البخور التي يفضلون إلى غير ذلك. وأما عن خرافة الجن فقد جاء على لسان الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل حدثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت:

حدّث رسول اللّه نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منهن - يا رسول اللّه كأن الحديث حديث خرافة. فقال الرسول: أتدرين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من (عذرة) أَسَرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهراً طويلاً ثم ردّوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال أناس حديث خرافة[1].

وفي حديث آخر جاء (مسند إلى عائشة) أنها قالت للنبي ﷺ حدثني حديث خرافة فقال: رحم الله خرافة كان رجلاً صالحاً فأخبرني أنه خرج ذات ليلة فلقي ثلاثة نفر من الجن فسبّوه فقال أحدهم نعفو عنه، وقال آخر نقتله، وقال آخر نستعبده فبينما هم يتشاورون في أمره إذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا له وعليك السلام. قال: فمن أنتم؟ قالوا: نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر في أمره فقال: إن حدثتكم حديثاً عجباً أشركتموني فيه؟ قالوا نعم. قال: إني كنت ذا نعمة فزالت عني وركبني دين فخرجت هارباً فأصابني عطش شديد فسرت إلى بئر فنزلت فيها لأشرب فصاح صائح من البئر فخرجت منها ولم أشرب فغلبني العطش فعدت إلى البئر فصرخ بي ثانية فابتعدت ثم عدت ثالثة ونزلت البئر ولم التفت إلى الصياح فقال الصائح: اللهمّ إن كان رجلاً فحوّله إلى امرأة وإن كان امرأة فحوّلها إلى رجل فإذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجني رجل وولدت منه ولدين ثم عدت إلى بلدي فمررت بالبئر التي شربت منها فنزلت فيها فصاح صائح بي كما في المرة الأولى فشربت فدعا كما في المرة الأولى فعدت رجلاً فأتيت بلدي فتزوجت امرأة وولدت منها ولدين، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني، فقالوا إن هذا عجيب أنت شريكنا.

وخير ما نختم به في هذا ما جاء على لسان النبي محمد ﷺ من نهي حيث قال: «لا يجوز نكاح الجن لأنه يحمل أولاد الزنى» - ويفسره الحديث الآخر: «لا تقوم الساعة حتى تكثر فيكم أولاد الجن» وفي هذا قال صاحب كتاب «فوائد

(١) مسند أحمد، ٦/١٥٧ ورواه الترمذي في الشمائل.

الأخبار» المراد بأولاد الزنى لأن الزنى يُفعل خفية والجن أصله الاستتار فيحمل الحديث النهي عن نكح بنات الزنى ـ وهذا الكلام كلّه لابن العماد أما أبو النواس فله رأي آخر يقول فيه:

تُقلِلُ بالمنى إذ أنتَ حيٌّ ... وبعد الموت من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بعث ... حديث خرافة يا أم عمرو

العلاقة الجنسية بين الإنس والجن

«تناكح الإنس والجن»

جاء في «كشف الظنون» الصادر في العام ١٥٦٠م[١]. و«هدية العارفين» الصادر في العام ١٤٥٢م[٢] وما كتبه الإمام العلامة جلال الدين السيوطي[٣] ومن قبله ابن تيمية أن هناك عالماً آخر غير عالم الإنسان ـ تماماً كما جاء في الكتاب والسنّة، وأنهم سمّوا بالجن لاجتنابهم أي استتارهم عن العيون وقد عرف العرب بأسمائهم ـ فقال ابن عبد البر مثلاً. الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب فإذا ذكر الجن خالصاً قالوا «جن» فإذا رأوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ـ والجمع عمار. فإذا كانوا ممن يعرضون للصبيان قالوا أرواح فإذا خبث وتعرّض قالوا شيطان ـ فإذا زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت ويستشهد السيوطي في ثبوت عالم الجن بقول ابن تيمية:

«لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور غير المسلمين، ولم يذكر الجن سوى شرذمة قليلة من جهّال الفلاسفة ونحوهم».

وهناك من يقول أما بالنسبة للعلاقة الجنسية (النكاح) بين الإنس والجن ففي هذا ضرب من المحال إلّا إذا كنا نتحدث عن الأساطير التي انتقلت بطريقة غير مباشرة من الأفكار البابلية إلى القصص الشعبي عند العرب، ومن ثم إلى الخرافات

---

(١) و(٢) يوجد منهم نسخ خطية في كل من الخزانة العامة في الرباط ـ ودار الكتب المصرية ـ ومكتبة الأوقاف في بغداد ـ ومكتبة برلين ـ وجامعة الرياض.

(٣) السيوطي: هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن الخضيري السيوطي الشافعي. ولد في أسيوط بصعيد مصر سنة ٨٤٩هـ له عشرات الكتب والمجلدات ـ عالم علّامة لغوي وفقيه ـ نشأ نشأة دينية وله مريدوه وتلاميذه.

الإسلامية، وقد جاء هذا كثمرة من ثمرات الاختلاط بالشعوب الأخرى على أثر الفتوحات الإسلاميّة ويرى ابن تيمية أن هذه العلاقات الجنسيّة ليست أكثر من ضرب من ضروب المعتقدات الشعبيّة إلّا أنه على مستوى الشرع الإسلامي ظلت مثار خلاف نظري. فالجمهور الذي يقرّها «أي يقر الممارسة الجنسية بين الإنس والجن» يستندون على ما جاء في الآية ٦٤ من سورة الإسراء ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾. وغيرها من الآيات (ولمن أراد المزيد من المعرفة حول هذه النقطة فلينظر في طبقات الشافية للسبكي وتذكرة الحافظ للذهبي).

ومن وجهة نظر الفريق الثاني الذي صرّح ببطلان هذا النكاح «أي المجامعة» استناداً إلى اختلاف الجنس (إنس ـ وجن) ـ هو مانع يحول دون ذلك مستشهدين بالآية ٧٢ من سورة النحل ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾. أما الجاحظ فينكر إمكانية العملية الجنسية بين الإنس والجن ويصف الذين يسلمون بصحتها بـ «علماء السوء».

وقد تعرض الإمام القاضي «بدر الدين الشبلي» لموضوع العلاقات الجنسيّة بين الإنس والجن في كتابه «آكام المرجان في أحكام الجان» وفيه كثير من التفصيل حول عملية تناكح الجن فيما بينهم وتناكح الإنس بالجن ـ كذلك تعرّض لحكم الشرع في أقوال علماء الفقه في هذه الأنكحة.

تناكح الجن فيما بينهم

وأما تناكح الجن فيما بينهم وممارستهم للجنس فاستدل عليه بقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[1]، وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل أن يكون لهم ذرية. وقال تعالى أيضاً: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[2].

وهذا يدل على أنه يتأتّى منهم الطمث وهو الجماع أو الافتضاض. وعن عبد اللّه بن عمر أنه قال: إن اللّه جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، تسعة منهم الجن والإنس جزء واحد فلا يولد من الإنس ولد إلّا من الجن تسعة.

وجاء في البيهقي «شعب الإيمان» عن ثابت قال بلغنا أن إبليس قال ـ يا رب إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه ـ قال صدورهم مساكن لك

---

(١) سورة الكهف، الآية ٥٠.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٧٤.

قال ـ ربني زدني ـ قال ـ لا يولد لآدم ولد إلّا وُلد لك عشرة ـ قال رب زدني قال: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1].

نكاح الجني للإنسية والإنسي للجنية

وفي إمكانية حدوث العلاقة الجنسيّة «العملية الجنسيّة» بين الإنس والجن قال الثعالبي أنه غير ممكن ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

في حين أن الحكيم الترمذي وابن جرير أخرجا عن مجاهد ـ قال ـ إذا جامع الرجل أهله (أي زوجته) ولم يسم انطوى الجان على قضيبه فجامع معه حيث قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[2].

حتى أن الباحثين في هذا المجال ذهبوا إلى أن المخنث يأتي من مثل هذه الحالة حيث يعتبرونه بحسب حديث ابن عباس أولاد الجن ـ وحين سئل ابن عباس كيف؟ قال: إن اللّه ورسوله ينهيا عن مجامعة الرجل لامرأته وهي حائض فإذا فعل سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث.

أما البخاري ومسلم فقد أخرجا عن ابن عباس أن رسول اللّهﷺ قال ـ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم اللّه جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه أن يقدّر بينهما ولد من ذلك لم يضرّه شيطان أبداً»[3].

أما في معاشرة الجني للإنسية فقد ذكر أبو المعالي بن المنجا الحنبلي في «شرح الهداية» في امرأة قالت: إن معي جنيّاً يأتيني كما يأتي الرجل المرأة. أنه لا غسل عليها وكذلك قال بعض الحنفية لانعدام سببه وهو الإيلاج والاحتلام.

وفي هذا المجال كتب السلف ممن تعرضوا لهذا الموضوع أن أحد أبوي بلقيس كان جنيّاً ـ قال أبو العلاء تزوج أبوها امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقمة. ويقال إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة وكان في ساقيها شعر وتزوجها سليمان فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٥٦.

(٣) أورده الشبلي نقلاً عن أنس بن مالك.

وحول حقيقة بلقيس أخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه: «أحد أبوي بلقيس كان جنياً».

كما أخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عائشة أن رسول اللّهﷺ قال ـ: «إن فيكم مغربين» قيل يا رسول اللّه وما المغربون؟ قال: «الذين يشترك فيهم الجن» هذا وقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن نكاح الجن حتى لا يولد أولاد زنى. وفي هذا المقام جاء في حديث آخر «لا تقوم الساعة حتى تكثر فيكم أولاد الجن» والمراد هنا أولاد الزنى لأن الزنى يفعل خفية والجن أصله الاستتار فيحمل الحديث على النهي عن نكاح بنات الزنى ـ وهذا الكلام جاء على لسان ابن العماد.

المرأة والجنس عند اليهود

قبل الدخول في خضم بحثنا هذا لا بد لنا من الإشارة إلى أن دراستنا هذه عن المرأة اليهوديّة كمخلوق وأنثى إنما هي تأتي استناداً لما جاء في النصوص التوراتية التي يؤمن ويعتقد بها اليهود، والتي أكد على جانبها الأخلاقي كثيرون منهم المدعو يهودا ماغنسي[1] الذي أكد أن انتصار اليهود لم يحدث يوماً نتيجة تفوقهم العسكري فقط (فحسب) وإنما هو بالدرجة الأولى نتيجة تفوقهم الأخلاقي، وهذا ما أكد عليه أيضاً الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين في إسرائيل «عوفاديا يوسف» وقد صدق الحاخام «رفائيل هيرش» سنة ١٨٠٨ ـ سنة ١٨٨٨ حين قال:

«إن التوراة هي كلام اللّه. كتبها حرفاً حرفاً. قيمها أزلية خالدة تنطبق على كل العصور ولولا التوراة (التي هي الشريعة اليهوديّة) لما تحقق وجود إسرائيل كشعب، لذلك على الشعب اليهودي اتباع هذا الكتاب المقدس إلى أن يأتيه وحي جديد؟!

ولأننا غير معنيين في بحثنا هذا بصدق أم عدم صدق ما جاء في النصوص التوراتية ولا مهتمين بصحة أو عدم صحة ما جاء فيها، وإنما همّنا وما نحن بصدد تسليط الضوء عليه هو تلك النصوص التي هي أشبه ما تكون فسق ودعارة. نعود ونذكر القارىء إلى أننا في بحثنا هذا نتمسك بالموضوعية وبالعلمية البحتة دون الالتفات إلى حقيقة ما خلفته عملية سرقة فلسطين من كره وعداوة تجاه هؤلاء باعتبارهم قراصنة ومغتصبين وقتلة.

وبالعودة إلى أخلاقهم وسلوكهم النابعين عن حقيقة نظرتهم للمرأة اليهوديّة كمخلوقة أنثى نقرأ في العهد القديم أن نبيهم داود كان يزني بزوجة أحد قادة جيشه ثم يحاول قتله فيعاقبه الرب على ذلك بأن يجعل الرجال تزني بزوجات داود أمام عينيه وتحت أشعة الشمس ـ وانطلاقاً من مقولة الولد على شاكلة أبيه (أو من شابه

---

(١) يهودا ماغنسي ـ (أمجاد إسرائيل في فلسطين).

أباه فما ظلم) تخبرنا صفحات التوراة أن ابن داود واسمه «أمنون» اغتصب اخته «تامار» وأنه بعد أن أشبع شهوته الجنسيّة منها دفع بها بعيداً عنه مما أثار غضبها عليه أما سبب الغضب فلم يكن معاشرته الجنسيّة لها وإنما معاملته الخشنة لها بعد أن روى ظمأه وأفرغ محتوى ذكره في فرجها. وقد جاء بالنص في سفر القضاة. فقالت له: هذا الشرّ بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي (أي فعل المضاجعة).

ما جئنا على ذكره مجرد أمثلة قليلة سريعة ومن أراد معرفة المزيد عن الفحش اليهودي عبر التاريخ فليقرأ كتاب «عاهرات مقدسات» للكاتب والباحث مصباح محجوب والصادر عن دار الريّس في بيروت.

بعد الإشارة السريعة لما سبق أصبح بإمكاننا الانطلاق في بحثنا الخاص بالمرأة اليهوديّة من قواعد الشريعة اليهوديّة (أو التلمودية فلا فرق بين الاسمين) التي احتلت المرأة فيها جزءاً كبيراً حسبما هو واضح من النصوص ولعبت دوراً خطيراً على امتداد المسافة الزمنية للتاريخ اليهودي، فماذا تقول التوراة في المرأة اليهودية؟ تقول التوراة (التي قال هيرش ـ الحاخام) إن الرب كتبها حرفاً أي الشريعة اليهوديّة.

إن المرأة «السبب» لعبت منذ البدء أول أدوارها الخطيرة حين عمدت حواء إلى إغواء آدم ليقع في دائرة الممنوع حين تناول (أكل) التفاحة المحرّمة. ولأن التوراة أو النصوص التوراتية تعتبر هذا الحدث بمثابة الأساس الذي انبعثت منه سلسلة الأحداث اللاحقة فقد ذهبت إلى تصوير المرأة على أنها «رمز الخطيئة» والسبب المطلق للفساد. وبالتالي سلخت عنها قيمتها الإيجابية الفعالة وأبقت على القول بأنها أي المرأة ليست سوى مخلوق أهم صفاته المكر ـ والخديعة وفن حبك المؤامرات إلى جانب أنها أقل مرتبة من الرجل في كل شيء.

فالمرأة عند اليهود أقل من الرجل وهي ملحقة به وتابعة له يفعل بها ما يشاء. وهذا ما أغضب النساء في إسرائيل فكتبت المدعوة شولاميت آلوني قائدة إحدى الجمعيات النسائية في إسرائيل في صحيفة «يديعوت أحرونوت» بتاريخ ٢١/ ٩/ ١٩٧٥ تقول:

«المرأة اليهودية كإنسان هي من الدرجة الثانية» أما السبب فيعود إلى ما جاء في العقيدة اليهوديّة حيث جاء في نصوص الجمارة وهي القسم الأساس في التلمود أن المرأة اليهوديّة مكروهة عند اللّه وتضيف «شولاميت آلوني» إن هناك هضماً

أساساً لحقوق المرأة في كتاب الدين اليهودي وإلّا فكيف نفسر الأحكام القانونية التي تصدر بحق أولئك الأزواج الذين يقتلون زوجاتهم إشارة إلى أنه جاء في التوراة أيضاً توصيات بالمحافظة على العائلة ترى كيف يفسر أصحاب العلاقة هذا التناقض؟

إذن نحن نجد أنفسنا مرة أخرى أمام خداع الدين ورجالاته (الحاخامات) للمرأة حتى السياسيين كذبوا علينا حين تضمن إعلان وثيقة الاستقلال بنداً يتحدث عن أيديولوجية الأجناس عام ١٩٤٩ حيث جاء بالنص:

ستمنح المساواة الكاملة والتامة للمرأة من حيث المساواة في الحقوق والواجبات والحياة في الدولة والمجتمع والاقتصاد وفي جميع القوانين.

أما الذي حدث ويحدث فعلاً ويشكّل مصدر قهر وإذلال للنساء اليهوديات فهو أن تحرير المرأة اليهوديّة (الإسرائيليّة) تحول إلى أسطورة وفي هذا صرحت البروفيسورة «روت غابيزون» في صحيفة «هاآرتس» بتاريخ ١٩٩٦/٩/١٧ وبقلم روني سبني أن المشكلة تكمن في الأطر الدينية التي سمحت للرجال باضطهاد النساء ومعاملتهن بمنتهى العنف والقسوة أما ادعاءات رجال الدين اليهودي الحاخامات بأنه لا يوجد في المجتمع الإسرائيلي مشكلة عنف تجاه النساء فليس سوى كذب وهراء ولا تؤيده المعطيات على الأرض.

أما المدعوة يائيل دايان وهي كاتبة وفاعلة في ميدان المرأة فتقول في إحدى مقالاتها: وعليه فإن إنجازات المرأة اليهوديّة تبقى هشة ولسبب يعود إلى الثقافة الخاصة الدينيّة التقليديّة والمازوشية العسكرية.

وبالعودة إلى صفحات التاريخ لنقف على حقيقة مفهوم رجالات اليهود للمرأة اليهودية وعلى طبيعة سلوكياتها... ولماذا أتت على هذا النحو الشائن والمخزي؟ ومن السبب في ذلك؟ هل هو الدين؟ أم الرجل؟ أم هي المرأة ذاتها؟

الربّ يتهم المرأة اليهودية بالفساد والتردي الأخلاقي.

بالعودة إلى ما قاله «رفائيل هيرش» من أن اللّه كتب التوراة حرفاً حرفاً نجد في أسفاره ما يشير إلى تردي أخلاق وسلوك المرأة اليهوديّة إلى الدرك الأسفل. وبكثير من الموضوعية يمكننا القول إن من يقرأ أسفار التوراة المعمول بها وما كتب اللّه

فيها عن قذارة المرأة اليهوديّة يعتقد للوهلة الأولى أنه يقرأ في كتاب جنسي إباحي من الدرجة الأولى أو في أحسن الأحوال كأن بين يديه مجلة بلاي بوي.

وفي هذا يقول رجالات الدين اليهودي بأن تاريخ المرأة أسود بذيء حافل بالسقطات التي لا تعد ولا تحصى ثم يعودون للقول في بعض المواقف إن ذلك التاريخ يمثل مفخرة لليهود لأن النساء نساء اليهود خدمن الكيان السياسي لذلك فعملهن مقدس وتاريخهن ناصع في أعين الرب. أما المرأة اليهودية فعلى الرغم من الصورة البشعة التي رسمت لها والصفات القذرة التي ألصقت بها فهي مثابرة ولم تتوقف عن الإبداع في فنون دعارتها واستغلال جسدها وشبقها الجنسي وهي في هذا تقول لا تلومون نساء إسرائيل على ما يتمتعن به من شبق جنسي لا يعرف الشبع وإنما وجهوا لومكم إلى الرب فهو الذي وضع فينا كل هذه الشهوة التي لا تنطفىء لها جذوة. غريب أنت أيها الرب كيف تغضب وتثور على أوتان الذي كان يعاشر زوجة أخيه ليس بسبب معاشرته المتكررة لها وإنما بسبب إفراغ منيه على الأرض على اعتبار أنه يقتل نفساً (مشروع طفل).

وهنا لا يملك القارىء إلّا مشاركتهم القول. كم هو غريب أمر هذا الرب الذي صنعه اليهود لهم وحدهم؟ يهوذا يزني بكنته لقاء أجر ويبقى، وأمنون ابن داود يغتصب أخته تامار فلا تثور لفعله ولا حتى تثور ثائرة أبيه وأوتان يفسد على الأرض (أي يفرغ ما في ذكره على الأرض فيميت إنساناً مما يغضب الرب عليه فيميته).

إنهن نساء اليهود المقدسات بالزنى والموقرات بالعهر والفجور ـ لقد صنع اليهود إلههم على شاكلتهم وصاغوه وأبدعوه من عهر أفعالهم وإباحية سلوكهم.

مما سبق يتضح لنا مدى انتشار العهر والزنى بين اليهود حتى أنه كان مهنة تجارية مربحة وذات أجر مرتفع ـ ولذلك لم يكن هناك من يعترض أو يتعرض للزانيات. كيف يعترضوا أو يتعرضوا (للزنى والزانيات) ويفتاح الجلعادي الذي وصفته التوراة بأنه جبار كان ابن امرأة زانية واعتبر بطلاً قومياً عند اليهود. لماذا؟ لأنه قدم ابنته الوحيدة الجميلة ضحية للآلهة عندما انتصر على بني عمون أما هي فقدمت نفسها راضية وهي في غاية الفرح والسرور تزفها الطبول والدفوف والدموع في عينيها، نعم كانت تبكي لكن ليس بسبب الموت الذي هي مقدمة عليه بل إنها

كانت تبكي لأنها ستموت عذراء ولم تذق طعم عسيلة رجل. والآن من خلال رحلتنا السريعة السابقة في عالم المرأة اليهوديّة أصبح بإمكاننا رسم أو تحديد الأعمدة الرئيسية لصورة المرأة اليهوديّة بحسب ما جاء في أسفار اليهود، وبحسب المعتقدات الدينية. ويمكن إيجازها بالتالي:

أولاً: استخدمت على مدى التاريخ أداة في يد الاستخبارات للقيام بأعمال التجسس.

ثانياً: شاركت في الغدر وفي مخططات القتل والتدمير.

ثالثاً: كانت سلعة تُباع وتُشترى.

رابعاً: كانت راضية ومقتنعة وراغبة في تنفيذ كل الأدوار التي كُلفت بها.

خامساً: كانت عاهرة ـ وعهرها مبارك من الرب.

سادساً: بعض نساء اليهود قدّسن لأنهن شاركن في الغدر والقتل (أستير - ياعيل).

سابعاً: الزنى عند المرأة اليهودية مهنة رسمية تحترفها النساء وكنّ يلبسن الخمار الأسود دلالة على المهنة.

ثامناً: عمل اليهود على نشر الزنى والعلاقات الجنسية المأجورة في المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها.

تاسعاً: زنى اليهود «المرأة اليهودية» يجب أن يتم مع رجال اليهود فقط.

عاشراً: لم تتقيّد نساء اليهود يسكتون على المضاجعة المأجورة مع رجال اليهود.

أحد عشر: كان رجال اليهود يسكتون على مهنة الزنى ولا يرون بها عيباً.

ثاني عشر: تعيِّر المرأة اليهودية الزانية التي لا تأخذ أجراً وتوصف بأبشع الأوصاف. «لأن يهوذا زنى (ضاجع) كنته زوجة ابنه لقاء أجر».

ثالث عشر: في العلاقات الأسرية لم يكن الوضع سليماً. فالأب يدعو أبناءه للثورة على أمهم لأنها زانية.

رابع عشر: وصلت المرأة اليهودية إلى درجة من الشبق والهوس الجنسي مخيفة، مما دفع التوراة إلى وصفها بأنها عاهرة، وغير مقدسة لأنها تزني للزنى أي لإشباع جوعها الجنسي الذي لا يعرف الشبع ولأنها تركت أجرها بل هي ذهبت إلى حد دفع المال للرجل الذي ترغب في ممارسة الجنس معه.

خامس عشر: لم تورد التوراة (كتاب الشريعة اليهودية) ولو حتّى قصة حب واحدة نظيفة أساسها التضحية الشريفة من امرأة يهودية واحدة على امتداد التاريخ اليهودي، ولا حتى عن رجل يهودي واحد عانى وضحى في سبيل حب شريف ذي معاني سامية ومن أجل امرأة أحبّها وأحبّته بصدق ونظافة. ترى لماذا؟

سادس عشر: يمنع على المرأة اليهودية أن تتزوج أو تجامع رجلاً غير يهودي إلّا إذا كانت فعلتها تخدم مصلحة يهودية وهذه الفقرة بالذات (أو هذا العامل بالذات) يفضح سلوك اليهود ويبيّن مدى إباحة الدين لهم لاستغلالهم (استغلال المرأة والمتاجرة بجسدها «قصة أستير وهامان»).

وسرعان ما يأتي الجواب من بعض قوانين التوراة التي تسفّه المرأة اليهوديّة وتجعل منها كائناً حيوانياً لا يعرف سوى الغريزة الجنسيّة الحيوانية ونظراً لعدم تمتعها بالعقلانية جاءت تابعة للرجل والزوج - والحاخام.

وفي هذا تقول «شولاميت آلوني» قائدة إحدى التجمّعات النسائية اليهودية على صفحات «يديعوت أحرونوت» بتاريخ ١٩٩١/٩/٤ المحاكم مثل النيابات تبدي تسامحاً غير مفهوم تجاه من يعتدون على النساء ويهاجمونهن فعندما نتصفّح الأحكام على جرائم الاغتصاب والتحرشات والاعتداءات الجنسيّة الأخرى المؤذية للفتاة والمرأة نرى أن القضاة في إسرائيل يعودون إلى قناعات العصور الوسطى المظلمة التي تقول بملكية المرأة كأي شيء آخر.

ومن أغرب ما قرأت عن قضايا الاعتداءات الجنسيّة والأحكام الصادرة بحق مرتكبيها فمثلاً: الحكم الصادر على المدعو رافي حيوت الملقب بـ «ففينسون» وكان قد أدين بجرم اغتصاب سائحة عمرها ٣٣ سنة بعد أن أطفأ السجائر في ثدييها وضربها والحكم عليه لم يتجاوز الحبس لمدة سنة ونصف فقط لا غير.

أما الأغرب من الحكم فهو ما قاله رافي في معرض دفاعه عن نفسه قال:

المغتصبة هي عزباء ولم تكبح نفسها فما ذنبي؟ وقد اقتنعت المحكمة بما قال وخففت الحكم الصادر بحقه.

أما السؤال الذي نطرحه هنا فهو لماذا؟ والجواب ببساطة لأن التوراة تقول كل النساء من غير اليهودية حلال لليهودي، ويحق له أن يفتك بهنّ (مسلمة كانت أم مسيحيّة أم غير ذلك).

وفي هذا المجال الاعتداء على المرأة من خلال الاغتصاب والذي يعتبر في كل بلاد الأرض عمل يعاقب عليه فاعله بأحكام قاسية قد تصل إلى الإعدام في بعض الدول، جاء في صحيفة «يديعوت أحرونوت» ٩/ ٤/ ١٩٩١ وبقلم أورلي أزولدي كاتس تحت عنوان إسرائيل الاغتصاب:

عندما نتصفح الأحكام الصادرة في مسألة الاغتصاب سواء على مستوى المجتمع المدني أو الديني أو حتى العسكري. نرى أن القضاة في إسرائيل يعودون إلى قناعات العصور الوسطى التي تقول «إن المرأة ملك للزوج والأولاد هم ملك للأب. فمثلاً في الحالات التي يغتصب فيها الأب (ابنته - بناته) تبدي المحكمة اهتماماً كبيراً بوضع الأب وظروفه بدلاً من التشدد في عقوبته.

أما رجل الدين (الحاخام) التي اعتاد القيام بأعمال جنسية مثيرة مع القاصرات في قبو الكنيس - فقد حكم عليه بالسجن لمدة سنة ونصف مع وقف التنفيذ وغرامة مالية قدرها ألف وخمسمئة شيكل.

نخلص مما سبق الإشارة إليه إلى أن المرأة اليهودية المغضوب عليها من الرب والمكروهة منه ومن أدواته على الأرض (ونقصد الحاخامات) هي في نظر أهلها مجرد نزوة وغريزة، فالأخ يغتصب أخته، والحمو يباشر علاقة جنسية مع كنته، وتلك تنوح لأنها ستموت عذراء ولم يفض بكارتها أي رجل أو هي لم تذق طعم عسيلة رجل، وآخر يدخل على نساء أبيه ويتخذهن نساء له، وذاك رأوبين يعاشر بلهه أم أخواته ولا يحرك الرب ساكناً. وإذا ما دخلنا في باب الشريعة المدنية الخاص بعقود ومواثيق الأحوال الشخصية والمواريث، فسنجد أن الزواج يتم بطريق الشراء أي بأن يدفع الرجل ثمن المرأة لأبيها فتصبح من ممتلكاته، فقد سبق واشترى يعقوب من خاله لابان ابنتيه ليئة وراحيل (وجمع الأختين زوجتين له) كما جاء في

سفر التكوين[1] وما ذكرناه عن شراء يعقوب للأختين ليس حالة فريدة (أو وحيدة) فقد اشترى بوعز جد الملك داود[2] زوجته راعوت. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التوراة لم تمنع تعدد الزوجات لأن بعض النصوص تشير إلى أنها إجازته[3] وهذا ما فعله إبراهيم إذ أخذ أكثر من زوجة[4] وكذلك فعل عيسو سفر الشريعة اليهودية أن الأخ إذا مات أخوه يتحتم عليه أن يتزوج من أرملته مهما كان عدد زوجاته هو. أما البكر الذي تلده الزوجة بعد ذلك فإنه ينسب إلى الزوج الميت لا إلى أبيه الحقيقي.

ونلفت القارىء هنا إلى أن التوراة التي كتبها الرب حرفاً حرفاً بحسب (الحاخام هيرش حرّمت زواج الكهنة إلّا من عذراء يهودية كما جاء في سفر اللاويين[5] أما فيما يتعلق بالطلاق فقد أباحته الشريعة اليهودية وسمحت للرجل إذا كره زوجته أن يطلقها وله أن يردها إذا أراد.

أما الذي تزوج من فتاة سبق واغتصبها فأجبر على الزواج منها ودفع ثمنها لوالدها فلا يحق له طلاقها.

التسرّي

أباحت الشريعة اليهوديّة «التسرّي» أي الاتصال جنسياً بنساء أخريات وفي مثل هذه الحالة تعتبر (السرية) زوجة شرعية ولكنها ليست في درجة سيّدة البيت ـ فكان لليهودي الحق في أن يكون له زوجات عديدات وسراري كثيرات يشتريهن من الأسيرات أو من آبائهن (إشارة إلى أن التوراة الشريعة اليهودية) أباحت للأب أن يبيع ابنته إذا أراد. أو متى احتاج إلى ثمنها[6] ويحق له حتى بيع ابنه لسد ديونه[7].

أما الغريب الذي نضيفه في هذا المقام فهو اعتياد المرأة اليهوديّة في حالة عدم

(١) سفر التكوين ٢٩: ١٥ ـ ٣٠ ـ ٣١: ١٤ ـ ١٥.
(٢) سفر التكوين ١٠: ٩.
(٣) سفر التثنية ١٥: ٢١ ـ ١٧.
(٤) سفر التكوين ١: ٢٥.
(٥) سفر اللاويين ١٣: ٢١ ـ ١٤.
(٦) سفر الخروج ٧: ٢١.
(٧) سفر اللاويين ٣٩: ٢٥ الملوك الثاني ١: ٤.

الإنجاب أن تعطي جاريتها لزوجها ليعاشرها معاشرة جنسيّة كاملة ـ وقد تكون متكررة حتى ينجب منها على أن ينسب الأولاد الذين تلدهم إلى سيدة البيت. لا إلى الجارية. وهذا فعلته سارة مع زوجها إبراهيم كما جاء في سفر التكوين[١] وما فعلته راحيل وليئة مع زوجهما يعقوب[٢].

المرأة اليهودية في مواجهة القانون

جاء في صحيفة «دافار» الإسرائيلية بتاريخ ١٩٨٨/١/٢٦ بقلم الكاتبة اليهوديّة «ماشا لوبلسكي» أن عدم المساواة تجاه المرأة اليهودية في إسرائيل يبدو بارزاً جداً وخاصة في مجال الأحوال الشخصيّة، وهذا ناتج عن تسلط المحاكم الدينية التي عادة ما تحكم في قضايا تتعلق بالمرأة مثل الزواج ـ الطلاق ـ الاعتداء الجنسي وفقاً لتعاليم كتاب التوراة فأين حقوق الإنسان؟

بدون شك فإنه من هذا التصريح (وغيره) الصارخ يتضح مدى الاضطهاد والظلم وانعدام الديموقراطية والمساواة تجاه المرأة. وإلّا فكيف نفسر أو نفهم تسامح المحكمة واختلاقها الأعذار والمبررات للأب الذي يغتصب ابنته ـ ومن الفضائح التي حدثت في إسرائيل وتمَّ التعتيم عليها على أساس أنها حدث لا يهم الشعب ـ فضيحة الاغتصاب الجماعي الذي وقع في كيبوتس مستوطنة شمرات وقد أفرز هذا القرار الحاخاماتي الحكومي مزيداً من عمليات الاغتصاب. وفهذا معلم مدرسة اعتاد الاعتداء على تلميذاته القاصرات بأن يلعب بمؤخراتهن حكم عليه بـ ٢٠٠ ساعة عمل في حديقة مركز الرياضة والشباب.

وفي هذا المجال جاء على لسان أحد مرتكبي الجرائم الجنسيّة في معرض الدفاع عن نفسه أمام القاضي في عالمنا الإباحي من المحتمل أن تتجلى لغة الأيدي وغيرها هنا وهناك في علاقة العمل ـ وبين الجنسين سوف يتكوّن وئام جسدي دون أن تكون لهذا الأمر صبغة جنسيّة خالصة وكاملة.

ومن أغرب عمليات الاعتداء الجنسي (الاغتصاب) ما فعله أحد الآباء بابنته الشابة الجميلة حيث دافعت الفتاة عن أبيها قائلة وماذا لو قام غيره بفعل ذلك. من

---

(١) سفر التكوين ١: ١٦ ـ ٢.

(٢) سفر التكوين ١: ٣٠ ـ ٨.

الأمثلة السابقة يتضح لنا بأن المحاكم والنيابات حوّلت الاعتداءات على جسد المرأة (زوجة ـ فتاة ـ ابنة ـ إلى مجرد مخالفة تافهة).

وعليه يمكن القول باختصار إن الرب لم يخلق نساء اليهود إلّا من أجل إشباع شهوات وغرائز وشوفينية رجالات اليهود.

أما عن واقع نساء اليهود اليوم. فقد جاء في تقرير «أمنستي» أن دولة إسرائيل تعتبر من الدول الرائدة في العالم في مجال تجارة الجنس وصناعته ويضيف التقرير قائلاً: إن أولئك النسوة تعرّضن للتنكيل والاغتصاب والتعذيب والسجن من قبل السماسرة ولم تتحرك الهيئات المسؤولة عن حمايتهن بل إن الدول بجناحيها الديني وغير الديني تتعامل معهن على أساس أنهن إناث خلقن للمتعة الجسديّة ومجرمات ومحترفات بغاء ولسن ضحايا لهذه الصنعة ولصانعيها.

وفي هذا تقول إحدى الكاتبات بانعدام الأخلاق بين النسبة الأعلى من سكان إسرائيل وترجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب أولها ما عرف عن اليهود من هوس بالجنس، وثانيهما عدم وجود القوانين الرادعة نتيجة التفاوت بين الرجل والمرأة بحسب حاخامات اليهود، وثالثها أن إسرائيل تضم تحت خيمتها قطعان من المستوطنين لا يعرفون بعضهم ولا توجد بينهم أية روابط أسريّة أو دينية أو اجتماعية، ولذلك ليس من الغريب أن تنتشر الدعارة ويتفشى الاشتهاء البهيمي الذي لا يخمد والتعطش الحيواني إلى الجنس. هذا التعطش المرضي الذي لم ولن يعرف ارتواءً أو شبعاً. والغرائز الدينيّة التي تفوق تصور العقل أو تقبّله هي جزء أساسي من التركيبة الشخصيّة لليهودي. وفي هذا المجال طرحت إحدى عضوات الكنيست الإسرائيلي في العام ١٩٩٣ موضوع الجنس لجهة تشريع بعض أنواع العلاقات الجنسية والاعتراف بروابط تضم اللواطيين والسحاقيات وهم بحسب قولها يمثلون نسبة عالية نسبياً من أبناء الطبقة المتوسطة العليا مدعومة من بعض الفعاليّات السياسيّة أما عن حال الفتيات والنساء في الجيش الإسرائيلي، فمن المؤكد أنه أسوأ بكثير مما هو عليه في مجتمعهم وخير شاهد على ذلك ما كتبته صحافتهم عن العهر والزنى والاغتصاب والممارسات الجنسيّة المرضيّة الأخرى في الوحدات العسكرية وقد أفرد مؤلف هذا الكتاب صفحات مستقلة وموسعة عن هذا الموضوع في كتابه المنشور عن «دار الريّس للطباعة والنشر» تحت عنوان «عاهرات مقدسات».

وفي القسم المخصص في الكتاب لأسباب عدم الانضباط الأخلاقي لدى المجندات رأينا أن نقتطف التصريح التالي الذي تقول فيه «حدقة الموجي» وهي برتبة عميد في الجيش الإسرائيلي: أثناء مقابلاتي لعدد من المجندات اللواتي يرتدين التنانير القصيرة قالت لي إحداهن وكانت تغطي فخذيها بتنورة قصيرة جداً، إن هذا يعجب الجميع فالجميع يعجب بالمرأة الجميلة والمثيرة. ثم هكذا خلقنا الرب نحن النساء اليهوديّات، وإن أردت المزيد من الصراحة والوضوح فإن بإمكاني القول إن النساء أقصد المجندات يطلبن لباساً أكثر رقة ونعومة حتى من هذه التنورة القصيرة، فما الضرر في ذلك؟ وتعود حدقة الموجي لتتابع كلامها قائلة إن انتشار الدعارة والمخدرات والاغتصاب وغيرها من الجرائم الأخلاقيّة يعني الانحلال وعدم التماسك، وهذا يمثل واقعاً جديداً وخطيراً. وسرعان ما تقول أعرف أن كل ما سبق الإشارة إليه. إنما يعود إلى المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكأنها تبرر ما انتقدته ووصفته بالخطير.

وبالعودة إلى كاتبة المقال نجدها تقول معترفة، إنها مشكلتنا ـ مشكلة النساء في هذا المجتمع العجيب. فالجنس يحاصر المرأة في كل مكان في البيت والمدرسة ـ وقبو الكنيس والمعمل ـ والثكنة العسكرية و... و... فكون الواحدة منّا في النهاية امرأة، فهذا يعني أن تكون دائماً مستعدة لخدمة رغبات الوطن المتمثلة برغبات الرجال المجنونة التي لا تعرف انضباطاً ولا حدوداً ولا تعرف شيئاً عن مشاعر المرأة الرقيقة ثم تسأل: هل السبب هو همجية الرجل؟ أم فسق المرأة بسبب ما يختزنه جسدها من شهوة؟ أم إنه الرب الذي صنع أجساداً شبقة لا تعرف شيئاً اسمه الاشباع الجنسي؟ ونثبت ما جئنا على ذكره بما جاء في «يديعوت أحرونوت» الصادرة بتاريخ ١٩٩٨/٥/٢٣ حيث يقول كاتب المقال: إن ظاهرة تدني الأخلاق داخل المؤسسة العسكرية حوَّلت خدمة الفتيات إلى وسائل متعة جنسية للجنود والضباط ـ ويعود كاتب المقال ويسأل: ترى كم مرة تتعرض المجندة في الجيش للاغتصاب؟ أو لممارسة الجنس خلال سنتين؟ وكم يمكنها أن تجهض نفسها؟ وما هو الأثر الذي يتركه هذا العمل الحيواني في نفسها وشخصيتها وجسدها.

ولنا أن لا ننسى ما جاء على لسان تلك المجندة ـ من أن الرب هو الذي خلقنا وفجّر في أجسادنا نحن نساء إسرائيل ثورة جنسية لا تهدأ ثم حمّلنا وزرها.

ويبقى القول لعدد من قائدات سلاح النساء في الجيش الإسرائيلي وهو أنه قد مضى على إنشاء سلاح النساء عشرات السنين مما جعل منه جيتو نسائي. أما وظيفة هذا الجيتو النسائي الذي منحه الرب كل أسباب الإثارة النسوية فلن يكون أكثر من عامل يجعل من خدمة الجنود في الجيش جميلة. والنساء لن يشكلن في الجيش أكثر من حافز (جائزة) يسيل لها لعاب الجنود والضباط.

بقي أن نقول إن المرأة في الجيش الإسرائيلي وبحسب ما يخططه القادة لها، عليها أن تكون بألف لون ولألف مهمة، من إعداد القهوة وممارسة الجنس على طاولة القائد إلى الترفيه والتسلية في حفلات الدعارة الجماعية المظللة بالدخان الأزرق.

أما محاولات الإعلام الإسرائيلي لغسل جسد المرأة اليهودية مما علق به من قذارة ونجاسة وغسيل نفسيتها من خلال تمجيدها ورسم أجمل الصور لها إنما يأتي لتستمر في عهرها وهي راضية. والعملية برمتها هي أشبه ما تكون بعملية غسيل الأموال التي يقوم بها تجار المخدرات أو تجار النساء، والأطفال أو غيرها من التجارات اللاأخلاقية.

بين إسلام الخاصة وإسلام العامة
يوجد انفصام!؟

سبق وأشرنا في الكلمة التي خطّها قلم المؤلف إلى أن هناك تغييراً حقيقياً أصاب الإسلام بنسبة ما على يد الشعوب التي دخلت في الإسلام واجتهدت في تطويع بعض المفاهيم المسلمة لخدمة أغراضها الذاتيّة، وضمان استمرار واقعها الاجتماعي المتميّز. وكذلك الدور الذي لعبه مرور الوقت في اختلاط المفاهيم الأصيلة بالعادات والأعراف السابقة على الإسلام والداخلة فيه بحيث بات من الصعب لدى العامة وربما الكثير من الخاصّة أيضاً التمييز بين هذه وتلك مع التنويه إلى أن تركيز بحثنا هنا هو على الجانب الخاص بالخطاب الجنسي في الإسلام كما في القرآن الكريمَ والأحاديث النبوية. أي قبل أن يصيبه التغيير والتحريف.

وحتى نقطَع الشك باليقين بكل موضوعية ودرءاً لأي اتهامات تأتي من هنا وهناك، ومن هذا وذاك ممن اختلفت معهم في الرأي وبالتالي لم يعجبهم ما طرحته في كتابي هذا. ارتأينا أن نفرد عدداً من الصفحات للوضع الإسلامي والمسلمين بشكل مفصّل وبالقدر الذي يخدم البحث والدراسة مستنداً إلى عدد كبير من الدراسات التي قام بها عشرات الباحثين (مستشرقين، وعرب) من علماء ومتخصصين باللغة العربية والعقيدة الإسلامية والفقه والأحاديث، وقد توخّوا فيها الموضوعية والدقة على أمل أن يصلوا إلى اكتشاف الثغرات الحقيقية الموجودة في الحالة الإسلامية للنفاذ منها إلى ضرب الإسلام والمسلمين.

هذا بالإضافة إلى رأيي الخاص من خلال قراءاتي ومطالعاتي وما منحني الله من قدرات عقلية وفكرية.

بدأ المستشرقون دراستهم وبحثهم بسؤال رئيسي ما لبث أن تشظّى وتفرع ليطرح عدداً كبيراً من الأسئلة. أما السؤال فكان:

في العالم حوالى ٧٥٠ مليون مسلم أو يزيد. ولكن هل هم بالفعل كتلة واحدة؟ وهل بالإمكان اختراقهم؟ وإلى أي مدى هم متماسكون فعلاً؟

وجاءت الإجابة أو (إجابة المؤتمرين) المشار إليهم على الشكل التالي: قال أحدهم وكان من العاملين في المجتمع الأندونيسي المسلم: يمكنني القول بكل ثقة بعد سنوات قضيتها في أندونيسيا أدرس وأفتش وأنقب (إن العالم الإسلامي لم يعد ذلك البنيان المرصوص، إذ تتعاظم فيه الاختلافات الاجتماعيّة والتعليميّة والدينيّة بين المسلمين، فما هو صحيح عن الأحمدي المهاجر من الباكستان إلى نيجيريا غير صحيح بالنسبة للبربري في شمال إفريقيا[١]. كما أن المسلم الأندونيسي بتركيبته التوفيقيّة بين الفكر الهندوسي والفكر الأرواحي الذي يؤمن بالجن والشياطين والسحر والشعوذة والتعاويذ والحجب مختلف تماماً عن الوهابي السلفي المتشدد في العربية السعودية.

إشارة إلى أنه في أندونيسيا حوالى ١٢١ مليون مسلم ورغم ذلك هي ليست مثل باكستان أو ماليزيا. ففي أندونيسيا المسلمون المتشددون يسمون سانتري ويتواجدون في سومطرة وجاوة الغربية ـ وجنوب شرق سولاوسي وجنوب كاليمنتان وشمال مالوكاس وجزر الجنوب الشرقي الغربية «لوم بوك وكاوا» ونسبة المسلمين في هذه المناطق حوالى ٩٦٪ أي حوالى ٤٤,٥ مليون نسمة مسلم.

وهناك الإسلام غير المتشدّد ويسمى الأبانقاف أي الجاويون الصوفيون ويتواجدون في وسط وشرق جاوة وتعدادهم حوالى ٤٩ مليون نسمة أما الإسلام فبدأ ينتشر في أندونيسيا منذ القرن الثالث عشر سنة ١٢٠٢. وتجدر الإشارة إلى أن

---

(١) وضع الإسلام في شمال إفريقيا: اندفع الإسلام في شمال إفريقيا خلال القرن الثامن الميلادي تاركاً آثاره العميقة في المغرب العربي من خلال اللغة العربية والدين والثقافة الإسلامية. وفي شمال إفريقيا خليط من المجموعات الإسلامية التقليدية التي لديها في نفس الوقت إيمان قوي بالقوى الروحية والحكومات فيها مختلفة من حيث الالتزام الديني ما بين علمانية في تونس، وإسلامية على طريقة القرن الثامن في ليبيا، في حين أن دستور الجزائر هو الدين الإسلامي، أما البربر فيشكلون حوالى ٥٪ في تونس و٥٠٪ في المغرب، يلمّون باللغة العربية وهي لغة تجارية أما فيما بينهم فيتحدثون البربرية الخاصة بهم، وهم يؤمنون بشكل عام بالسحر والشعوذة أي بالقوى الروحية وإمكانية إخضاعها للسيطرة البشرية ـ ومثل هذه النظرة تشمل كل شمال إفريقيا تقريباً.

حجاب المرأة لم يظهر في أي من مجتمعات آسيا الجنوبية. ولعلّ ما يُحكى عن العرقية من دعايات يوضح حقيقة المشاعر القائمة بين العرب والفرس[1] الإيرانيين والأتراك كذلك التعليقات الخاصة بلون البشرة بين العراقيين والأثيوبيين والأقباط والبربر والهنود.

الفلبين: عدد المسلمين التقريبي في الفلبين حوالى ٢,١٨٨٠٠٠ بحسب إحصاء سنة ١٩٧٥ وهم معروفون باسم المورو وينتشرون في جزر الفلبين الجنوبية ميندانا، سولو، بالاون، وتعرف ثلاثة عشر من المجموعات ذات اللغة والثقافة المختلفة بأنها مسلمة. ومسلمو الفلبين ينقسمون إلى أربع مجموعات «ماقوين داندا» في منطقة كوتاباتو و«مارانا» لانت في منطقة لأنا وناسوك وسامالسي في منطقة سولو.

وهناك مجموعات أخرى أصغر مثل مجموعات البادجوا في جزر الباسيلانن وجاماماين، في كاجيان دوسولو والمسلمون في الفلبين يشكّلون حوالى ٥٪ من السكان. دخل الإسلام الفلبين في بداية القرن الرابع عشر بواسطة الدعاة من الجزيرة العربية وجزر الهند الشرقية.

ماليزيا: الإسلام السني هو الإسلام الرسمي تبلغ نسبة معتنقيه: حوالى ٤٤٪ أو ٥,٥٠٠٠٠٠ من مجموع السكان والأغلبية فلاحين وفقراء. في ماليزيا يتبع الإسلام حوالى ٣٣٪ ـ ٣٩٪ من سكان شرق ماليزيا ونسبة الأمية بينهم ٥١٪ واللغة هي لغة «بأهوسا المالاوية».

سنغافورة ـ فيها حوالي ١٦٪ من السكان هنود مسلمون وكان هذا وضعها حتى العام ١٩٧٨.

---

(١) كان الإسلام في إيران منقسم ليس فقط إلى طوائف إسلامية مختلفة بل إلى مجموعات عرقية مختلفة أيضاً. فحتى في أوساط الطائفة الشيعية الذين يشكّلون أغلبية السكان هناك تمييز واضح وملحوظ بالنسبة للمواطن الإيراني قد لا يكون ملحوظاً من قبل الآخرين. والأكراد هم مثال على ذلك فجلّهم متمسكون بالمذهب السني، بينما يتبع عدد كبير منهم (حوالى ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة) مذهباً شيعياً متحرراً جداً يقول بمظاهر التجسيد الإلهي والحلول ويعرفون باسم «أهل الحق» مع الإشارة إلى أن النمو الاقتصادي السريع في إيران أدى إلى ظهور نوع جديد من المسلمين المتأثرين بالغرب والذين رفضوا التقاليد القديمة. وهكذا يمكن لنا أن نحدد ثلاث طبقات ثقافية رئيسية في إيران. وهي عرقية ودينية واقتصادية. أما الطبقات العليا فتشمل السياسيين، والعسكريين، والملّاك.

أما عن وحدة العالم الإسلامي فكتب أحدهم يقول:

إن وحدة العالم الإسلامي أصبحت مضمحلّة أكثر من أي وقت مضى، ليس سياسيّاً كما حدث في العهد العباسي وإنما دينياً وثقافياً إضافة إلى التآكل الذي أحدثه النمط الغربي في حياتهم. لقد كان للتحديث آثاره ليس فقط في زرع بذور الاضطراب في عقول من تأثروا وفقدوا بذلك تأثير الإسلام عليهم وإنما عمل أيضاً وأكثر من أي وقت مضى على خلق الفرقة بين أجزاء عديدة من العالم الإسلامي. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فبالإمكان القول إن غالبية المسلمين هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه إسلام العامة أو الإسلام الشعبي. وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن والعفاريت[1] ويعرفون القليل عن الإسلام الأصيل كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها وفي هذا المجال كتب متخصص (باحث) آخر يقول: يبلغ عدد البلدان التي تسمي نفسها إسلامية أكثر من (٤٤) أربعة وأربعين بلداً كما يبلغ عدد الدول التي يوجد بها جاليات إسلامية أكثر من (١٥٣) مئة وثلاثة وخمسين بلداً.

وقد كشف مركز الدراسات والاتصالات المتقدمة لإرساليات التنصير أنه يوجد (٢٥٣) مائتين وثلاثة وخمسين مجموعة عرقية بين المسلمين في حين قدّر المدعو رالف وينتر وهو المتخصص بالدراسات الإسلامية والاجتماعية أن عدد المجموعات العرقية في العالم الإسلامي يبلغ (٢١٣) مائتين وثلاثة عشر مجموعة عرقية من المسلمين في إفريقيا، و٣٠٠ وثلاثمائة في آسيا.

فمثلاً في بنغلادش يوجد الشرائح الإسلامية التالية:

أ ـ الأشراف سادة وشيوخ ويشتملون على قرشيين، وعباسيين وصديقيين وفاروقيين، وباتانيين، ومغول، ومالكوين.

ب ـ الأجلاف: «الطبقة الدنيا» منهم جوهاهيون، فقيريون، رانكنازيون، شيكيون، انكاسيون، هارسيون، دائيون، دبيائيون، ابهجاميون.

---

(١) سبق وتعرضنا لموضوع الجن والشياطين والإنس، وعن العلاقة الممكنة بينهم في ظل ما جاء في القرآن الكريم.

ج - الأرذال: (الطبقة المنحطة) منهم بهاتريون، هلاكوريون، هجرائيون، كسبائيون مانقتائيون، مهتاريون. وما هو في بنغلادش موجود في باكستان وأفغانستان ونيجيريا، وتشاد، وأندونيسيا، وتايلاند، والفلبين، وسنغافورة، وماليزيا، وغيرهم(١).

ويتضح لنا مما سبق أن الطوائف الإسلامية المتعددة تتكون من شرائح ومجموعات قبلية متعددة متنوعة، وطبقات اجتماعية مختلفة وخلفيات ثقافية ولغوية متباينة.

أمّا تقبّل نسبة كبيرة من هؤلاء للتحديث وتجاوبهم معه فكبير نسبياً لأكثر من سبب:

أولاً: نسبة الأمية العالية بين هؤلاء.

ثانياً: الفقر الشديد الذي يعيشون في بيئته الجامعة القذرة والمريضة.

ثالثاً: إيمان هؤلاء وأمثالهم بعمليات الشفاء وطرد الأرواح الشريرة بقوى دينية.

أما أقل ما يمكن قوله في التحديث الذي يفرض على هؤلاء، فهو أنه يؤدي في أحسن الأحوال إلى تمزيق التقاليد الثقافية الأمر الذي يعني اقتلاع جذور الفرد من منبته وبيئته. وإذا كان القرآن الكريم يقول بالإسلام الواحد ونبيه المرسل قال (جاء) بالإسلام الواحد وحاول تثبيت دعائمه فإن الواقع بعد حوالى ١٣٢٥ سنة يقول:

إن الإسلام لم يعد إسلاماً واحداً بل انقسم إلى ما يمكن تسميته «إسلام الخاصة» وإسلام العامة «أو الإسلام الشعبي».

---

(١) تايلاند: فيها ٣,٥٪ أو ١,٤ مليون مسلم يتحدثون المالاوية، والتايلاندية، وأكبر تجمعاتهم وسط تايلاند في محافظات يالا، وتباني، وناراثيوات، وساقن. وهناك مجموعات أصغر تنتشر في منطقة (ترانا) وكذلك بانكوك وهم من جذور باكستانية ومالاوية، وكذلك في مقاطعات (باناكابي) و(مينوبوري) و(لادكراباناك) و(نونك شوك). وسكان تايلاند المسلمون الذين يتكلمون المالاوية يحتقرون أولئك المسلمين الذين يتكلمون التايلاندية.

فعقيدة المسلم أي إيمانه تشمل إعلان الإيمان بوحدانية اللّه وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر (وهذا إسلام الخاصة).

في حين أن إسلام العامة «الإسلام الشعبي: كما يطلق عليه البعض نجد فيه أن الإيمان باللّه الواحد يرتكز بشكل كبير على الاستعمال السحري لأسمائه ـ نقصد أسماء اللّه على الشكل الموضح أدناه.

ح	د	ز
ا	ح	٢
٥	٢	٦

الاعتقاد بقوة طلسم الحروف

هـ	ج	و
٩	٤	٧
١	٨	

الاعتقاد بالرقم خمسة ومضاعفاته.

ويعتقد هؤلاء أن صيغاً معينة تجعل اللّه يفعل ما هو مطلوب وتوجد كتب كثيرة عن الاستعمال السحري لأسماء الله، وسحر الأرقام التي ترفق بها.

ويشتمل الاعتقاد في الإسلام الشعبي «إسلام العامة» على الإيمان بالشياطين والعفاريت وعبادة الجن، ويدخل في ذلك مفهوم القرين، أي قرين الفرد من نسل الشيطان والذي يولد معه في الوقت نفسه. وفي هذا تقول الفكرة الشعبية بأن القرناء يأتون إلى الدنيا من العالم البرزخي عندما يتم الحمل. وفي هذا جاء على لسان النبي ﷺ أنه من الضروري أن يسمي المسلم باللّه قبل (جماع ـ نكاح) زوجته حتى لا يشاركه الشيطان في عملية النكاح هذه وبالتالي يأتي الوليد كافراً. وبمعنى آخر إن في التسمية باللّه قبل الجماع حماية للطفل من الشيطان.

الشعائر تمّ تاويلها

حتى الشعائر تمَّ تأويلها في إسلام العامة «أو الإسلام الشعبي» تأويلاً مختلفاً فالأركان الخمسة التي هي الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم، والحج إلى مكة تمَّ تأويلها بحيث بات يعتقد أن لكلمات الشهادة أثراً عادياً في دفع الشر. وهذه الكلمات تظهر في كثير من التمائم (والمدعو ـ ونيسك وهو مستشرق وباحث) يوضح أهمية الاعتقاد بالجن (بحسب مشاهدته خلال إقامته الطويلة في البيئات المسلمة في

أكثر من بلد في مفهوم شعائر الصلاة بالنسبة للمسلم العادي، والدنس الشيطاني يزال بغسل الجسد أما إيتاء الزكاة في إسلام العامة (الإسلام الشعبي) فيحمل في طيّاته الاحتراس من العين الحاسدة وكذلك الأمر بالنسبة لصيام رمضان والحج حيث إن الشعائر التي تصاحبها والتي يؤديها العامة تتعلق بإجبار اللّه على حمايتهم وإبعاد الأرواح الشريرة والأمراض.

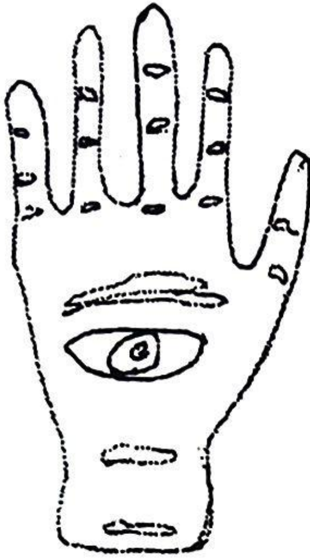
حتى استخدام المسبحة في التقديس والعلاج واستخدام الطلاسم والتمائم «يد فاطمة كفّ وفي وسطه عين (خرزة) زرقاء»، واستخدام قص الشعر وتقليم الأظافر والاعتقاد بالأربعاء واستخدام السحر والعقد والتعاويذ والشعوذة. كل هذه الأشياء وغيرها من الممارسات الروحيّة توضح الهوّة الحقيقية بين الدين الإسلامي الأصيل وبين الدين الذي يجري تطبيقه[١] وفي هذا يقول «زويمر» (مدير مؤسسة معهد الدراسات التي أشرنا إليها) إن الأميّة العالية النسبة في البلدان الإسلامية تعني أن الناس لا يعرفون الإسلام الأصيل بل إسلام «العامة»، ولعلّ هذا ما يجعلهم يعتقدون أو يؤمنون بأن طبقاً من الفضّة أو الرصاص تتصل به أجراس صغيرة مقعّرة وعليه العبارة المدرجة أدناه نادٍ علياً بصوت عال إنه صاحب المعجزات، وعندها سوف تجد العون على المتاعب وهو سوف يزيل سريعاً كل حزن وقلق بقوة رسوله محمد ﷺ وحرمته. هذا إضافة إلى الحجاب الذي هو أكثر شيوعاً عند الشيعة ويضيف أن مثل هذه التمائم والطلاسم عن أسماء الله والتي يحملها الأطفال والكبار وتعلق فوق القبات منتشرة بشكل مكثّف.

هذا الشكل المسمى يد فاطمة يمثل موضعه داخل كف وكثيراً ما تعلّق هذه الأشكال أو ترسم على السيارات العامة والخاصة في منطقة الشرق الأوسط[٢].

---

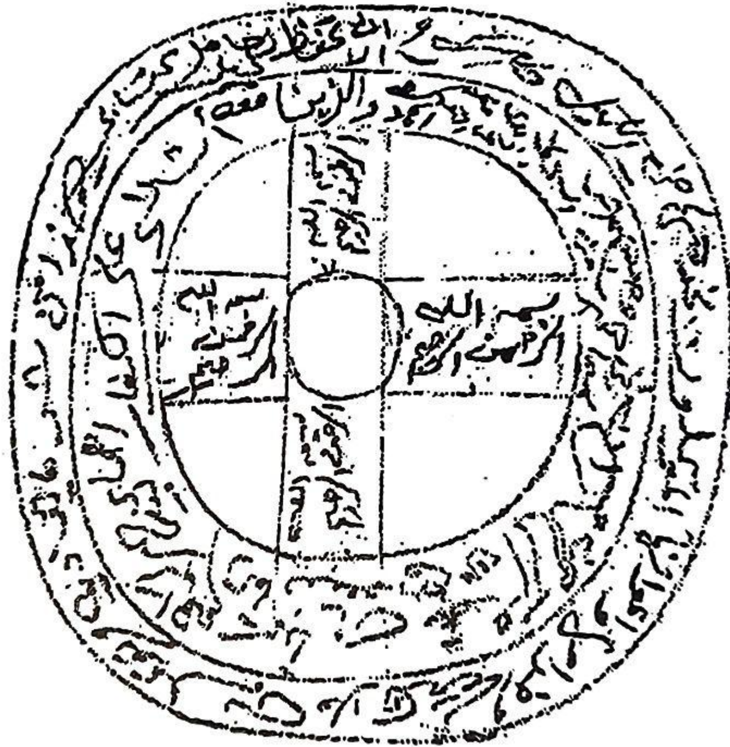
(١) Zwemer: 1920.

(٢) Wensik: 1975.



هذا الشكل

يمثل موضوعه داخل كف وكثيراً ما تعلّق هذه الاشكال او ترسم على السيارات العامة والخاصة في منطقة الشرق الأوسط.



النص في الدائرة الكبيرة يقول

بسم اللّه الرحمن الرحيم أن تحفظ حامل كتابي هذا من شرّ كل ما يؤذيه وتوكل به ملائكتها وخدامها وأعوانها الموكلون بخدمتها ويحرسونه في الليل والنهار. أما النص الذي في الدائرة الأصغر ففيه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾[١].

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

هذا الطلسم من كتاب «شمس المعارف الكبرى» لمؤلفه محيي الدين أبو العباس البوني المرجع مبدأ الإيمان في الإسلام ـ لزويمر.

وبعد فهل هناك من لا يزال يرفض فكرة أن التغيير والتوليف والتحريف قد أصاب الإسلام بمرور الزمن، واعتناق شعوب كثيرة للإسلام؟ كما جاء في توضيحات الصفحات السابقة!؟

وقبل إغلاق ملف هذا البحث نرى أنه علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن في إسلام العامة «الشعبي» يدور الإيمان بكتب الرسل بشكل كبير حول تعاملها مع عالم الأرواح. فكل من سليمان ومحمد (ص) له مكانة بارزة في أذهان العامة بسبب تعاملهم الشهير مع الشياطين والجنّ، أيضاً هناك في ذهن العامّة اعتقاد بأن بعض الأولياء هم وسطاء بين اللّه والشخص المؤمن. وحيث الأرواح الموتى تبقى بالقرب من قبورهم فقد جاءت عادة زيارة القبور في ليالي الخميس.

أخيراً بقي أن نسأل كل من لم يعجبه طرحنا هذا أو اختلف معنا في الرأي بكل محبّة ووساعة صدر. ما مدى أصالة ما يعرفه المسلم العادي البسيط في باكستان، أو المغرب، أو روسيا أو الصين أو بنغلادش أو تركيا أو هونغ كونغ؟

وما مدى أصالة ما يعرفه مسلمو غرب إفريقيا أو شرقها أو مسلمو مالاوي، أو الملايو، أو سنداني أندونيسيا، أو المسلمون الهنود ذوو الخلفية الهندوسية وغيرهم مثل سكان مدينة الماكوندي في جنوب تنزانيا وأولئك الذين يسكنون عبر الحدود الموزنبيقية والذين يبلغ تعدادهم حوالى ١٥٥٠٠٠٠ إنسان وهم في غالبيتهم أرواحيون أي يؤمنون برقصات الأرواح والطقوس والقرابين والسحر والشعوذة والتمائم، ناهيك عن مسلمي نيجيريا، وهم من «شعب دماكوزاوا» من الهوسا ويقطنون شمال نيجيريا والمسلمون العيساويون الذين يمجدون عيسى عليه السلام ويتواجدون في مناطق شمال نيجيريا نشأت طائفتهم سنة ١٩٤٣. ثم هل لعاقل أن ينكر أنه في المجتمع الإنساني حيث تسود الإيديولوجية الإسلامية رسمياً يبرز تناقض صارخ بين الإسلام الحقيقي بتطبيقاته الحيّة وبين الممارسات السائدة التي تفتقر من حيث الجوهر إلى الإسلامية الحقيقية على الرغم من إطارها التقليدي الرسمي.

هل صحيح أن عبادة اللّه والتمسّك بالدين باتا أمرين قديمين؟

ذات يوم طلب مني أحد الأصدقاء العاملين في ميدان الكتابة والنشر أن أُمسك بالورقة والقلم وأكتب له مقالة عن المرأة. ماهيتها؟ حريتها؟ حقوقها؟ إلخ... وتحت ضغط إصراره وإحراجه لصداقتنا. أمسكت بالقلم وكتبت!؟

يقول البعض إن دراسة المرأة ليست علماً بل هي حالة تنبع من الحواس وعليه فكل قضايا المرأة عبارة عن حالة تنبع من الإحساس بالظلم والاضطهاد، ومن باب الظلم والدفاع عن المرأة وحقوقها دخلت العقول الصهيونية والخبث اليهودي وتغلغلا في كل مناسبة لاقتناص الفرص ولتحقيق أهداف مختلفة على رأسها السعي لتفكيك المجتمعات غير اليهودية حسبما جاء في كتاباتهم. ويتمثل هذا الأمر حالياً بالدعوة إلى تشريع العلاقات الشاذة بين اللواطيين والسحاقيات وغير ذلك من الممارسات الجنسية المريضة الشاذة في البلدان الغربية كمرحلة أولى وقاعدة انطلاق لسهام هدفها (العالم العربي والإسلامي) مستغلة التناقضات الرهيبة التي يعيشها مجتمعنا بين «سلفي يتمسّك بالسكون» ومعتدل يريد مسايرة المتغيرات دون إحداث هزّات قوية على الأرضية التي يقف عليها. وعصري يتحدث بلغة الأضواء والأزياء والجسد ومعادلات الهرمونات وما ينتج عنها... وبالعودة إلى المنادين بإعطاء المرأة لحقوقها الكاملة وبإطلاق حريتها في الممارسات الجنسيّة التي تشبع جسدها نجد أنها انطلقت أولاً على ألسنة نسائية يهوديّة المنشأ أمريكيّة الجنسيّة بمساعدة مؤسسات وجهات أمريكية وأوروبية حكومية وغير حكوميّة عديدة. وقد تزعّم هذه الجمعية «جمعية حقوق المرأة الجنسيّة» كاتبتان يهوديتان سحاقيتان أعلنتا وبدون أي حسّ بالخجل أمام الملأ من خلال بعض وسائل الإعلام المتعاونة في هذا الميدان أنهما تستمتعان بممارساتهما الجنسية وهما مرتاحتان جداً من كل مسؤولية أو تسلّط من الآخرين. لذلك قررتا العمل على تحريض بنات جنسهما أي النساء الأخريات في

كل المجتمعات وخاصة المتخلّفة أو المتأخرة منها «يقصدون ما يسمى بدول العالم الثالث» للمطالبة بهذا الحق ولتحقيق هذه المتعة الجسدية التي لم يتذوقها من قبل.

ونساء هذه الجمعيّة الرائدة مدعومات بآراء بعض المشتغلين بعلم النفس ينطلقن من مقولة «إن جسد المرأة هو ملك لها ولها وحدها حق وحرية التصرف به والتعامل معه. وفي هذا هنّ يقلن إن شهوة الجسد هي أشبه بطريق لا يملُّ من كثرة السائرين عليه خاصة وأن الأقدام مختلفة الأشكال والأحجام والمقاسات وعليه فما على الآخرين سوى الانصياع وعلى القادرين والمتفهمين المساعدة لتحقيق هذه الحرية.

ولم تكتفِ هذه الجمعية النسائية الرائدة بهذه المطالب بل ذهبن إلى أبعد من ذلك بمساعدة عدد كبير من الشواذ جنسياً وعقلياً ونفسياً، فمثلاً هنّ ذهبن إلى تحديد الأجناس البشرية إلى خمسة بدلاً من اثنين (ذكر وأنثى) فهن يقلن بالذكر والأنثى والمخنثون والسحاقيات واللواطيون ولم يغفلن عن المطالبة بحقوق المصابات بالإيدز حيث يرى أعضاء الجمعيّة أن على العلماء والباحثين اكتشاف المزيد من الطرق والوسائل المساعدة للمصابات بالإيدز بحيث تسمح لهن بممارسة الجنس كما يشتهين ويرغبن.

وفي هذا الميدان ميدان «الجنس بلا حدود» تذهب هذه الجمعية إلى القول إن أدوار النساء والرجال فرضها المجتمع والديانة المتخلّفة ولا بد من تغييرها. إذن نحن أمام محاولة حقيقية «مبرمجة وممنهجة» تجهد لتدمير المجتمعات الأخرى من خلال ليس تغيير القيم الدينية والأخلاقية بل هدمها ودفنها في سلّة المهملات وهي (أي الجمعيّة) تتخفى وراء شعارات ظاهرة في المجتمعات التي لم ترقَ بعد إلى مستوى الأنظمة الرأسمالية مثل «مشكلات الفقر، الانفجار السكاني ـ التخويف من المستقبل المظلم الذي لا يحمل للمرأة سوى الظلم والجور والجوع ومصادرة الحرية ـ حرية الجسد وحرية العقل وحرية النفس.

أما هذا التطرّف النسوي الذي عرضنا له فقد حصر نفسه تبعاً للمخطط (القادم ـ الغازي) في بند واحد رئيس هو «الحرية الجنسية» بالطبع هذا التفكير ينطلق من العقلية الفرويدية الجنسية وكأنها هي كل الحريات بالنسبة للمرأة.

ولأن الدين يمثل المعارض الأول إذاً لا بد من تغييره أو التخلّص منه. وهنا

نجد أنفسنا مرّة أخرى أمام نظرية فرويد وغيره القائلة بضرورة التخلص من الدين. لهذا وغيره تابع العقل اليهودي الخبيث عمله وخرج لنا بقول مفاده إن عبادة اللّه والتمسّك بالدين باتا أمرين قديمين. وهما أساس معاناة الإنسان النفسية والجنسيّة والعقليّة والعصبيّة وعليه فعلى الشباب العصري أن يتخطى هذين الوهمين وأن ينطلق ويحلّق مع الشيطان وموسيقاه ومتعته التي لا تنتهي.

الأمراض التي يسببها «الجماع» الخارج عن الأصول

لزيادة الفائدة لقارىء هذا الكتاب الذي أردناه بعيداً عن الابتذال رغم صراحته الموضوعية. ارتأينا أن نخصص قسماً منه للنصح والإرشاد (إن صحّ التعبير) لأولئك الذين يمارسون الجنس بشهوة تجعلهم يغضون النظر عن عواقبها إذا ما مورست بعيداً عن الأصول، بحيث لا يسلم الرجل من الأمراض والأوجاع إذا جعل نفسه أرضاً والمرأة سماءً. أي حين يكون الرجل الممارس للعملية الجنسية مستلقياً على قفاه أي (ظهره) وتصعد المرأة على صدره لأن في هذا كما يقول العارفون بعلم الباه ـ أي الباءة أي الاتصال الجنسي الكامل شيء رديء يتولد منه القروح في المثانة وفي الإحليل. وتتوجع منه عروق (الذكر، ذكر الرجل) وعصبُه وأنثييه وينعكس إلى ظهره وقطنته (أي الفقرة القطنية). والفضل الرديء الذي ينحلّ من أخلاطه إذا نضحت الفضول بسبب الجماع وانحلّ في جسمه المني تتولّد منه العلل وأمراض أخرى يطول الحديث عنها لعسر خروج المني وربما بقي في الذكر بقية بل ربما سال من الفرج على الذكر رطوبات (إفرازات) رديئة فاسدة وفي هذا قال بعضهم. الويل كل الويل لمن جعل نفسه أرضاً والمرأة سماءً فإنها تمكن منه أنواع البلاء.

أما الشكل الذي تكون فيه المرأة والرجل المتناكحين على جنبيهما فإنه يتولد منه في أحد جنبيه مرض ويتعسّر منه خروج المني ويورث وجعاً في الكلى والمثانة ومؤخر الظهر وربما أوردت ورماً في القضيب. ما جئنا على ذكره أي هذا الشكل من الممارسة يحمل ذات المشاكل الصحية للذكر في حالة الممارسة من قعود.

وأما حبس المني عند الجماع لإطالة وقت المجامعة وزيادة المتعة والتلذذ (وهذا الفعل يعمد إليه الكثير من الذكور بالاستعانة بحبوب كيميائية التركيب أو بقطعة أفيون أو. . . أو. . .)، فهذا يعني أن يدافع الرجل شهوته وقتاً بعد وقت. ومثل هذا الفعل يحدث منه الاحتراق في الأدرّة والقروح في الكلى والمثانة، ويفسد مزاج

البدن وربما تولّد منه علل يهلك منها صاحبها ويكون ذلك سبباً في هلاكه.

ومن أصدق ما قيل في ذلك «من نكح نفسه لنفسه ساعدته شهوته ودامت لذّته ومن نكح لغيره فترت آلته وهذا معناه أن يكون الرجل مراعياً لشهوة المرأة (الشريكة) يكلّف نفسه بلوغ مرادها من «الجماع» وغاية شهوتها ولا يلتفت إلى استحكام مائه ولا حفظ جسمه ويكون منهمكاً في شهوة غيره.

ومعنى من نكح لنفسه أي أن يكون الرجل مقبلاً على شهوة نفسه يأخذ من النكاح حسبما يريد من زيادة أو نقصان، أو في أي وقت اختار ما كانت شهوته داعية للنكاح فهذا لا ينقطع ماءه في النكاح.

أما اللافت والمهم فهو أن جميع هذه الأشكال التي ذكرناها لا تحمل المرأة بها فمثلاً يرى الإمام جلال الدين السيوطي، والشيخ التيجاني وغيرهما من أمثال علي بن نصر السمناني أن أفضل الأشكال وأحسن الهيئات للممارسة الجنسيّة (النكاح) أن تستلقي المرأة على ظهرها على فراش ليّن ويعلو عليها الرجل حتى يأخذ وضعيّة بين الجالس والمنبطح ويكون وركاها عاليين ورأسها منتصباً في وضع معتدل غير مرتفع. فإن ذلك ألذّ وأحبُّ وينبغي أن يرفع وركها عند الإنزال رفعاً كثيراً ويجعل رأسها منصوباً إلى أسفل كما ذكرنا. فإن ذلك مما يعين على الحبل ولا يقوم عنها إلّا بعد ساعة ليستقر المني في رحمها حتى إذا قام عنها تبقى على حالة ضامّة فخذيها لساعة والأفضل إن نامت لساعة على هذه الحالة أما السمينة من النساء فجماعها من أجل الحبل يجب أن يكون وهي على هيئة الراكع.

وفي هذا العلم جاء على لسان العارفين من الباحثين في هذه العلوم أنه من السيىء جداً للرجل أن يجامع المرأة وهي نائمة أو مريضة أو يكون هو في حالة مدافعة (مقاومة وتمنع) مع الأخبثين (البول والبراز) لأن في ذلك علّة تصيب المرأة وقد لا توفر الرجل وخاصة إصابته بالبواسير والحصى. كذلك ينصح بعدم ممارسة الجنس (الكاملة) «الجماع» على امتلاء من الطعام لأن منه يكون الدرن في البطن ويبس الأمعاء وأحياناً الموت المفاجىء.

أيضاً لا ينصح بالمجامعة بعد سحب كمية من الدم من الرجل وهو ما يُعرف «بالحجامة» لأن في ذلك إصابة في العين (غشاوة في النظر).

ويضيف أصحاب الشأن وينصح بعدم القيام بالعملية الجنسية الكاملة أول الليل بسبب امتلاء العروق بالدم. . . أما الأصلح والأفيد للبدن فهو (الاتصال الجنسي) في آخر الليل لماذا؟ لأن المعدة في أول الليل تكون ممتلئة، ولا تعقب النوم بالجماع فإن الجماع عقب النوم مضرّ ولا يجامع الرجل ومعدته خالية من الطعام (جائع) لأن في ذلك ضرراً زائداً. أما أفضل وألذّ جماع فهو ما يتم بعد الهضم وعند اعتدال البدن في حرّه وبرده ويبوسته ورطوبته.

وتجدر الإشارة إلى ضرر عظيم يصيب المجامع لحائض أو نفساء بسبب الدم الرديء الذي يجلب العفونة والوسخ من الأخلاط عن جسمها. ناهيك عن حرمة ذلك في الحالتين المشار إليهما. بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[1] لأن الجماع في الحيض شديد الضرر للرجل والمرأة وللرسول الكريم محمد ﷺ رأي في هذا يقول فيه لرجل أتى زوجته وهي حائض «إن كان في أوله أي ابتدائه فلتتصدق بدينار وإن كان في إدبار فبنصف دينار» وهذا من باب الاستحباب وعلى الفاعل الاستغفار وعدم العودة إلى ذلك.

واللافت الهام الذي جاء على لسان الفقهاء والأئمة والمفتين أن من نظر إلى باطن الفرج (فرج المرأة) في حال الجماع وأتاه من ذلك ولد (طفل) فإنه يأتي إما أحول العينين أو أعمى. ولكني لم أجد في أمهات الكتب ما يؤكد مثل هذه الفتاوى والأقوال رغم أني بحثت بشكل مكثّف.

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو حدوث بعض العلاقات الجنسية بين الشباب من صغار السن وبين كبيرات السن من النساء إما لمصالح خاصة مادية كانت أم معنوية أم غير ذلك. ومثل هذه العلاقات الجنسية الكاملة ـ هذه (المجامعة) لا تجوز بتاتاً لأن في القيام الفعلي بها قد يحصد الشاب (الفتى) الهلاك السريع لنفسه ولجسده وصحته ـ وقيل في هذا على لسان الأقدمين أن من «يجامع» عجوزاً حمراء، فمن المؤكد أن جماعها (أي ممارسة العملية الجنسية الكاملة معها)، يورث أمراضاً وعللاً لسوء مزاجها وعفونات أخلاطها وإفرازاتها ورداءة مائها الذي ينحلّ عند شهوتها وجماعها فيفعل في جسد الذكر فعل السمّ القاتل.

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٢٢.

كذلك تجدر الإشارة بالنصح بعدم مجامعة الصغيرات جداً. ربما في سن التاسعة وحتى الرابعة عشرة أو يزيد بقليل. كذلك ينصح بعدم معاشرة (مجامعة) تلك التي لم تجامع منذ مدة طويلة. ولا تلك القبيحة المنظر فإن ذلك يضعف «الباه ـ الباءة» أي شهوة الجنس.

وعن حسن المرأة قال النبي ﷺ: «إن النساء لعب فمن اتخذ لعبة فليستحسنها» وفي ذات المجال قال «يحيى بن أخطب»: عليك إذا تزوجت بوجه تستأنس إليه. فالمرأة منظر الرجل وقرّة عينه، وحسن الصورة هي أول نعمة تلقاك.

ويُستحب من المرأة حسن تدوير الوجه، وتناسب أجزائه، وهو مستودع الجمال ومرآة النظر ومراد الناظر وفيه أكثر الجوارح المعشوقة فالحلاوة في العينين والجمال في الأنف والظرف في اللسان والرشاقة في القدّ واللياقة في الشمائل.

وتُستحب ذات الشعر الطويل، ويستحب اتساع الجبهة ما لم يتجاوزه إلى الصلع (أي انحسار الشعر عن مقدمة الرأس).

وتُستحب رقة الحاجبين وطولهما وحسن سوادهما ويستحب البلجُ وهو أن يكون بينهما بلجة لا شعر فيها ويستحب في الأنف ارتفاع قصبته واستواء أعلاه ويستحب تحديد الأسنان وترقيقها ـ والفلج في الأسنان وفصاحة اللسان وحسن النغمة ورخاوة الصوت. فإن حسن الكلام وعذوبته من أقوى دواعي الشهوة وأسلبُ لقلب المستمع، ويستحب طول العنق وامتداده واتساع الصدر وأن يكون بين الصدر والبطن موضع منخسف.

ويضيف صاحبنا قائلاً ويستحب الثدي الناهد أي الذي استوى وامتد مستديراً على حدوده، وتستحب السرّة المستديرة وانطواء الخصر واتساع الظهر ويستحب امتلاء العضدين والإبطين وقلّة الشعر فيهما وامتلاء الساعدين ولطف الكفين وطول الأصابع، وكبر ما بين الفخذين من اللحم الأجم. ونختم بالقول إن ما ذكرناه هو نخبة من الكلام في وصف المحاسن اقتطفناها من بعض المصادر.

نصيحة أم لابنتها

كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الألفة ـ فتقول الأم «للبنت»: كوني له

أرضاً فيكون لك سماءً، وكوني أمة (عبدة) يكن لك عبداً وفراشاً ولا تقربي فيملّك، ولا تبتعدي فينساك، ولا تعاصيه شهوته، عليك بالنظافة ولا يرى منك إلّا حسناً، ولا يشمّ إلّا طيباً، ولا يسمع إلّا ما يرضي.

وحكي أن امرأة أرادت أن تزوج ابنتها فصارت توصيها هذه الوصية قالت: أوصيك يا ابنتي بوصية فاحفظيها وفي ليلة استعمليها تحظي بها على غيرك ويطيب بها عند الرجال ذكرك فقالت لها ابنتها: ما هي؟ قالت:

إذا قرب منك زوجك ومدّ يده إلى جسدك فتحركي برشاقة، وتزحزحي بلياقة وأظهري له استرخاءً وفتوراً وغنجاً ناعماً مفتوراً فإنه يحبك، وأكثري له من الملاعبة قبل الإيلاج حتى يحصل بينك وبينه الهياج وأنشدت تقول:

يا ابنتي لا يهوى الرجال سواك	لا تظهري للعاشقين جفاكِ
وإذا أتاك عاشقاً ومتيّماً	فتلطفي بالقلب لا يسلاكِ
واكشفي صدرك ونهودك	حتى بيان الحِرّ والأوراكِ
واشهقي واغنجي بلطافة	فإنهم لا يعشقون سواكِ
وإذا تسامعت الرجال بغنجك	يترحمون على الذي ربّاكِ

وقالت ثالثة توصي ابنتها:

إذا صار يا ابنتي بين رجليك أولجيه في «الحجوم»[1] وأكثري له من الأنين والغنج والحنين، فإن الغنج الزائد يقوّم «البزباز»[2] النائم وعضعضيه في شفتيه وقرطي عليه فإن ذلك يقوّم الشوار عليه وافعلي معه مثل ما يفعل معك، وأظهري له غنجاً رقيقاً سكرياً، وارهزي من تحته رهزاً سوياً، وارفعي له وسطك واجعلي يده اليمنى على الأختم[3] وإذا أحسست بإنزاله ورأيت انحلاله فضميه بين يديك وأعطيه قبلة عظيمة وامسكيه وامرسيه وامسحيه وأكثري من الهيام لعلّ «الأدلفي» لا ينام ويكون كثير القيام واجعلي فمه على فمك ونهده على نهدك وفخذه على فخذك وقولي له «أحيه أحيه» فعند ذلك يتمكن حبه في قلبك، وأظهري له حسن الصناعة فإنه لا يتمالك عقله في تلك الساعة.

---

(١) و(٢) ارجع إلى أسماء الفرج ـ والذكر عند العرب.
(٣) ارجع إلى الأسماء.

ثم أنشدت لها بعضاً من شعر أحدهم - قال فيه:

مليحة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد يوماً على أحدِ
وجرّعتني بريق من مراشفها فعادت الروح بعد الموت للجسدِ

وفي هذا الميدان (المجال) قال القاضي عيّاض في «الشفا» النكاح متفق على التمدّح بكثرته والفخر بوفوره شرعاً وعادة. فإنه دليل الكمال والصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضيه. وأما في الشرع فسنّة مأثورة حتى لم يره العلماء مما يقدحُ في الزهد وروي عن رسول اللهﷺ:

«أُعطيت قوّة أربعين رجلاً في النكاح، وأعطي المؤمن قوّة عشرة فهو بالنبوّة والمؤمن بإيمانه والكافر له شهوة الطبيعة فقط».

والجماع (النكاح) لا يقتصر فعله على الدنيا فقط وإنما المؤمنون سيتابعون نكاح النساء حتى في الجنة وفي هذا جاء على لسان «أبي أمامة» أن رجلاً سأل رسول اللهﷺ هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال: نعم بذكر لا يملّ وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً - وفي لفظ آخر دحاماً - دحاكاً لا مني ولا منيّة. وأضاف الضياء المقدسي عن أبي هريرة: فإذا قام عنها رجعت مطهّرة بكراً. وعن أنس قال رسول اللهﷺ: «يُعطى المؤمن في الجنّة قوة مائة في الجماع» كذلك عن أبي عباس قال قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنّة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قالﷺ: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء».

وعن أبي سعيد الخدري قال رسول اللهﷺ: «أهل الجنّة إذا جامعوا النساء عدن أبكاراً فإنهن أعذب أفواهاً وأضيق أرحاماً (أي فروجاً) وأسخن أقبالاً وأرضى باليسير من العمل (أي النكاح)».

أشعار ماجنة في «نساء ماجنات»

قال الحسين الخليع:

أنا الخليع فقوموا إلى شراب الخليع
إلى شراب لذيذٍ وأكل جدي رضيع
ونكح أحوى رخيم بالخندريس صريع

وكلمة «أحوى» في هذا القول كناية عن «الفرج».

أما الشاعر «الورّاق» فقال:

قوموا إلى بيت عمرٍ ... وإلى سماع وخمرِ
وساقيات علينا ... تُطاع في كل أمرِ
وبيسري رخيم ... يزهو بجيد ونحرِ
فذاك... يسرٌ... ... وإن شئتم أتينا ببحرِ

أيضاً نجده (أي الرواق) يكنّى الفرج «بالبيسري».

وقال الحسين الخياط:

قضت عنان علينا ... بأن نزور حسينا
وأن تقرّوا لديه ... بالعصف واللهو عينا
فما رأينا كظرف ... الحسين فيما رأينا

أما أبو النواس فقال في إحدى جواري الخليفة بقصد أن يُخجلها:

ما تأمرين لِصَبٍّ ... يكفيه منك قطيره
فقالت: إياك تعني بهذا ... عليك فاجلد عميره[1]
فقال: إني أخاف وربّي ... على يدي من عبيره
فقالت: عليك بأمك «طأها» ... فإنها كند بيره...

فأخجلته ـ وشاع الخبر فطلبها الخليفة الرشيد وسمع منها المزيد من شعرها الماجن. وتذكر صفحات الأدب والتراث العربي الإسلامي أن الفرزدق الشاعر المعروف كان مع أصحابه فإذا هو بجارية فقال لأصحابه هل أُخجل لكم هذه قالوا نعم فأنشد قائلاً:

إن لي خبيراً خبيثاً ... لونه يحكي الكُميتا
لو يرى في السقف صدعاً ... لتحوّل عنكبوتا
أو يرى في الأرض شقاً ... لنزا حتى يموتا

لا شك أن في هذا القول ما يوضح مدى الشهوة وقوّتها عند الرجل العربي منذ ألف سنة ويزيد.

---

(١) وعميرة: كناية عن ذكره.

أما ليلى الأخيلية فقد هجاها رجل من قبيلتها (قومها) حين رفضت دعوته لها لممارسة الجنس.

فقال:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا فقد ركبت جرداً أغرُّ مجلجلا

فأجابته بجرأة وسلاطة لسان ماجن:

تعيّرني داءٌ بأمك مثله وأي جوادٍ لا يقال له هلا

وكلمة جرد هنا كناية عن «ذكر الرجل».

أما عن نكاح الأبكار. فقد جاء وكما سبق وأشرنا أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالأبكار، فإنهن أطيب أفواهاً وأنقى أرحاماً»، وقال عمر: عليكم بالأبكار واستعيذوا باللّه من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر.

وفي هذا المجال قال الشاعر:

لا تنكحنَّ عجوزاً إن دعيت لها وإن حُبيت على تزويجها الذهبا
فإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفها الذي ذهبا

وقال في هذا شاعر آخر...

عليك إذا ما كنت لا بدّ ناكحاً ذوات الثنايا الغرّ والأعين النُّجلِ

وفي ذات الجمال ذكروا أن بطناً من قريش اشتدت عليهم السنة وكان فيهم جارية يقال لها «زينب» من أكمل نسائهم جمالاً وأتمهن تماماً. وأشرفت فرآها شاب يقال له «عروة» فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك. فلما انقضت السنة وأراد الرجوع إلى منازلهم، طلب «عروة» من جارية له أن تنطلق إلى خيمة «زينب» بحجة اقتباس النار لتقول: «لتهمس شعراً أرسله عروة».

قالت: ألا هل لنا قبل التفرّق ليلة ويوم فتقضي كل نفس مناها

سمعت زينب وكانت تفلّي رأس زوجها فقالت مجيبة لها:

لعمري لقد طال المقامة ها هنا لو أن لحبٍّ حاجة لقضاها

ومما جاء من النثر الماجن نقتطف التالي:

قال ابن الحصين في تاريخه:

رأى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب جارية فعشقها، ولم يزل يسعى في تملّكها إلى أن اشتراها فلما هيئت له وعزم على فض بكارتها (وكانت بكراً) حاضت فأعلمته بذلك فكفَّ عنها، وأعلم بذلك أبا إسحاق الزّجاج النحوي وطلب منه أن ينظّم في ذلك شعراً فقال:

فارسٌ ماضٍ بحربته طاعنٌ بالرمح في الظُّلَمِ
رامَ أن يدمي فريستَهُ فاتّقته من دمٍ بدمِ

وعن الرهز (وقد سبق الإشارة إليه) قال ابن ذكوان - لم أسمع في الكناية عن الرهز بأحسن من قول الشاعر:

وأنتِ أمَامَةُ ما تعلَمينَ فَضَلْتِ النساء بضيق حَر
ويعجبني منك عند الجماع حياةُ الكلامِ وموت النظر

وقال أعرابي كبر وعجز:

عجبت من ضبيري وكيف يصنع

أدفعه بإصبعي فيرجع

يقوم بعد الشدِّ ثم يركع.

ومن نوادر شعراء وشاعرات المجون.

جاء في الخبر عن «عُريب» في كتاب «الوشاح» قال محمد بن حامد «العريب» وكان يهواها وتهواهُ فقلتِ وفعلتِ يعدد عليها ذنوبها فقالت: يا هذا أقم لما نحن فيه «أي بصدد فعله» والصق ركبتي بوريدي واجمع بين خلخالي وقرطي، واعمل عملك فقال الشاعر:

دعي عدَّ الذنوب إذا التقينا تعالي لا نعدُّ ولا تعُدِّي

وقال أبو الفرج الأصبهاني عن متعة صغيرات السن - اللواتي قال فيهن النبي ﷺ: «إن النساء لعب فمن اتخذ منكم لعبة فليستحسنها».

قال: قال أبو القاسم بن عيسى العجيلي بوجود «فضل» جارية المتوكل وكانت شاعرة ماجنة ومن أجمل وأظرف أهل زمانها قال:

قالوا: عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطيّ إليَّ ما لم يُركبِ
كم بين حبّةِ لؤلؤ مثقوبة لُبِسَتْ وحبةِ لؤلؤ لم تثقبِ

فردت عليه قائلة:

إن المطيّة لا يلذُّ ركوبها حتى تذلل بالزّمام وتُركبِ
والدرُّ ليس بنافعٍ أربابَهُ حتى يؤلّف بالنظام ويُثقبِ

وقال الرقاش:

عذراء ذات احمرار إني بها لا أحاشي
قوموا ندامای روّوا حشاشكم من حشاشي
وناطحوني كؤوساً نطاح صلب الكباشي

العربي المسلم
بين الخصاء الفكري والتلقي المهبلي

في حوالى أواسط السبعينات نجح العقل الغربي الذي تفوح من طرائق تفكيره وسلوكه رائحة العنصرية والعرقية في توفير كل المقومات والطقوس التي تسمح له بتقديم المجتمع العربي والإسلامي الذي يستر عوراته بثياب الماضي المهترئة على مذبح الحداثة الكونية. وخلص إلى أنه لا بد من تقديم الهنود الحمر الجدد أي عرب هذا الزمان على مذبح النظرية القائلة إن أمتنا العربية الإسلامية لم تكن في يوم من الأيام مؤهلة لتفعيل حضاري اللهم إلّا كونها مجرد مستقبل مهبلي أو هي في أحسن الأحوال مستقبل شرجي أنثوي خاصة وأن هذه تعاني مما يمكن أن تسميه الخصاء الفكري الذي أدى إلى انعدام التفاعل الحضاري الإيجابي الذي يحمل العربي المسلم خطوة إلى الأمام.

ولعل نتائج دراسات عدد من الباحثين منهم إبراهيم بدران وسلوى الشخاش عن العقلية العربية توضح لنا مدى ميول العقلية العربية إلى الخرافة ليس على صعيد الثقافة الشعبية المتناقلة (الشفاهية) بل على صعيد الثقافة العالمية.

فالقارىء لروايات الأستاذ نجيب محفوظ مثلاً «خان الخليلي» و«بين القصرين» وهي تعتبر من عيون الأدب العربي الحديث (المعاصر) يمكنه أن يلمس مدى الميل إلى زيارة الأضرحة والقبور والاحتماء بها من شرور الأيام بل ومن غارات الحلفاء في تلك الفترة (فترة الحرب العالمية الثانية) ناهيك عن الجو المؤدلج الذي ساد فترة الثمانينات ولامس بداية التسعينات بحيث كدّس في الذات العربية نفايات ثقافة عربية ميزتها لغة الجسد وانحرافات السلوك وزيادة تفشي بقع النرجسية والأساطير والأحلام والكرامات.

وباختصار يمكن القول بأن الذات العربية باتت رهينة الإرهاب الفكري الذي

زرع فيها الإحساس بالخوف من الخصاء ولنقل قلق الخصاء في الوقت الذي تمثّل فيه فحولية الرجل العربي الرأسمال الأول والأخير إضافة إلى القهر وعقد النقص والعار، فالكاتب حجازي مثلاً يخلص في بحث له أن مجتمعنا العربي مجتمع مريض بالخصاء ومهدد بالعصاب بناءً على تطبيق المفاهيم والخلاصات الفرويدية.

العشق الماجن يؤدّي إما إلى الجنون أو الموت لمحة تاريخية

بعد أن وجدت الصرب نفسها دولة مستقلة حوالى سنة ١٨٧٩ اختلف كل من ملك صربيا «ميلان» وزوجته الملكة (ناتالي) حول قرار اتخذه الملك يقضي بالتقرب من النمسا في حين ارتأت زوجته ناتالي أن من الخير لصربيا مصادقة روسيا والتقرب منها.

وكأي زوجين أدى تفاقم خلافهما حول المسألة المشار إليها إلى التفريق (الطلاق)، ولمّا ضاق الملك «ميلان» ذرعاً بالأوضاع ومشاكل البلاد وفقرها ناهيك عن الازعاجات والضغوط والأزمات التي كانت تخلقها له مطلّقته (ناتالي) قرر الهروب عن طريق التنازل عن الملك (والمملكة) لولده (إسكندر) البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً شريطة عدم سماح الأوصياء على العرش للملكة الأم (المطلقة) «ناتالي» برؤية ولدها.

ونشأ إسكندر أسوأ نشأة حيث تربى وسط المكائد والدسائس وحشد من الفجّار المحيطين به في كل نواحي القصر. وهو الذي فقد عطف الأبوين وبالتالي أخلاق الفرسان، ولمّا أعياه الصبر ولم يعد يطيق أو يحتمل المزيد من الضغوط (من قبل الأوصياء والمحيطين من بطانة السوء) سلك طريق الحيلة حيث دعا الوزراء والأوصياء إلى مأدبة عشاء في قصره وأثناء استمتاعهم بألوان الطعام والشراب ولحم النساء الفاجرات أعلن توقيفهم واتبع ذلك بإعلان تنصيب نفسه ملكاً على صربيا.

ولم يكتفِ بذلك بل أمر أتباعه الجدد بإعادة والدته إلى القصر قسراً. في تلك الفترة كانت النيّة تتجه إلى تزويج «إسكندر» من أميرة ألمانية لكنه لسوء حظه كان قد تعرّف إلى أرملة فاتنة صغيرة السن خطيرة الذكاء تدعى «دراغاماشين» فأحبها بشكل جنوني منفلت من أية ضوابط ولم يلق بالاً ولا اهتماماً للإشاعات التي كانت تلوكها

الألسنة المحيطة به والقريبة منه حول أخلاق وسلوك تلك الأرملة الجميلة اللعوب، وقد تمكنت منه وكأنها الشيطان الساكن في عروقه وخلايا جسده بعد أن ذهبت بعقله، لقد كان تملّكها منه تملّك المستبد وليكون حظه أكثر سوءاً وظّفت الملكة الأم المنفصلة عن زوجها تلك الأرملة الجميلة كوصيفة لها تلازمها في أكثر ساعات نهارها وليلها من غرفة إلى غرفة وفي الحمام والسرير. وهكذا استطاعت تلك الشيطانة البارعة الجمال «دراغاماشين» أن تصل إلى قلب المرأة المكلومة المحرومة وأن تحرك بل تهز مشاعرها المتأججة المكبوتة ونجحت بعد فترة وجيزة من تحريك غرائزها وإشعال مخيلتها بليال حميمة ساخنة تنسيها ما لاقته من حرمان وتحقير وإذلال لأنوثتها، وهكذا وبمرور الوقت استطاعت «دراغاماشين» الشيطانة الجميلة الملتهبة أن ترفع غطاء غريزة كانت كامنة قسراً داخل امرأة لديها كمٌّ هائل من السحاقية الكامنة بحيث أصبحت الملكة المعزولة «ناتالي» تلمس جسد تلك الفاتنة الرقيقة لتجد فيه نعومة الفراء ونار الشهوة ـ الحقيقة أن «دراغاماشين» كانت إلى جانب امتلاكها للجمال والذكاء تعرف تماماً أن رخاوة جسمها فيه الكثير من الانجذاب وهذا ما كان يتجسد بوضوح في فراش الملكة «ناتالي»، نعم كان لا بد لناتالي أن تعترف بينها وبين نفسها بأن حرمانها من متعة ممارسة الجنس وهي التي تعشقه ولا تملكه لفترة طويلة قد جعل منها امرأة شبقة متعطشة لليالي الممارسة الساخنة لكن مع مثيلاتها من النساء خوفاً من افتضاح أمرها إن هي مالت إلى هذا أو ذاك من رجالات البلاط.

وهكذا وجدت «دراغاماشين» نفسها بين عاشقين متيمين بها الملكة الأم وابنها العاشق المجنون «إسكندر» واستطاعت بذكائها أن تلعب الدورين كأحسن ما يكون.

بالعودة إلى وظيفتها الرسمية «كوصيفة مصطفاة للملكة» فقد وفّرت لها ولحبيبها إسكندر مزيداً من فرص اللقاء السهلة، بحيث ذابت في عروقه فأصبح ارتباطه وتعلّقه بها كارتباط كوكب سيار بتابعيه.

أما إسكندر فقد انساق وراء عواطفه بشكل أشبه بعربة منزلقة باتجاه الهاوية وليس بها كوابح هكذا كان حب إسكندر بدون أي ضوابط لقد دوّخته تلك المطلقة (المرأة) اللعوب وأشعلت كل ما يسكن في جسده من غرائز وشهوات، فأصبح كالمرجل الذي يغلي في كل مرّة ينفرد فيها بها. أما تصرفاته فلم يعد قادراً على فهمها فتارة يشعر كأنه

رجل بدائي بين ذراعيها، وتارة يشعر وكأنه فالت خارج دائرة الزمن.

لقد آمن إسكندر بأن بعدها عنه أو بعده عنها سيؤدي به إما إلى الموت أو إلى الجنون وفي سبيلها كل شيء يهون. أما دراغاماشين فقد استطاعت معتمدة على سحر ألاعيبها الأنثوية ونيران غرامها أن تسكن منه القلب والعقل أن تعشش في خلاياه وأن تمشي وتدور في فلك جسمه ممزوجة بدمه وكأنها تقول له أنا أنتمي إليك، أنت جلادي وأنت قاتلي وأنا أقيم فيك وأبقي كل الأشياء لك متهيئة للقياك متلهفة فلا أدع العين تغفو ولا أسمح لدقات القلب أن تتوقف عن طرق أضلاعي تماماً كجرس ليلة زفاف العذراء لملاك الرب آه يا طلسمي وآياتي التي يعجز الكل عن فك رموزها إلّا أنت. وبقدر ما كانت «دراغاماشين» قوية وذكية ومتوحشة الغرائز ونارية الأنفاس بقدر ما كانت مشاكسة وبلا رحمة كيف لا والجميع من حولها يفرش لها السرير في كل ليلة بالأشواك فيما تلوك الألسنة سيرتها وتحط من أخلاقها وقدرها وكرامتها.

أما عشق «إسكندر» وتعلقه وولهه بـ «دراغاماشين» فقد بات شيئاً خطيراً وينذر بنهاية مأساوية وغير عادية. كيف لا وهو الذي لم ينجح مرّة في إمساك لسانه عن القول آه يا حبيبتي آه لو يطول فيك زماني كما يطول اغتصاب اللحظة للكائن وكما تسكن العين في بدعة الجسد آه يا زهرة اللوتس المحقونة بسموم الحاقدين.

وبينما كان الملك الأب «ميلان» مشغولاً بخطبة الأميرة الألمانية لولده فاجأ إسكندر الملك والملكة والشعب بأسره بقراره الواضح والصريح. فاجأهم بقراره الجريء المجنون الذي يقضي بالزواج من دراغاماشين كان القرار تحدياً واضحاً للجميع، لذلك ثار عليه الجميع وهددوا وتوعدوا فيما أعاد الناس الحكايات الغرامية المجنونة التي طالما تناقلتها ألسنتهم حتى أنهم اتهموها بأنها امرأة شبقة حتى الجنون ومهووسة بالليالي الحمراء وأساليب وطرق الغرام.

أمام هذه الموجة من المعارضة الشديدة ورغم هذا الأسلوب الرخيص الذي سلكه معارضو الزواج لم يتراجع العاشق المجنون، كيف يتراجع ولسان حاله وجنون شهوته، يقول تعالي اقتربي مني التصقي بي تعالي نحترق كما تحترق أرواح الجن المأمورة. . . تعالي ولندع أجسادنا تسافر في سماء تمطر ماءً تمطر ناراً تمطر أريجاً وعطراً يغار منه زهر الياسمين.

كيف يتراجع؟ كيف ينساها وهو الذي ما فتىء يقول يا داغا يا حبيبتي تعالي ودعيني لأجن دعيني أتعاطى الجنون بين ذراعيك... دعيني أغمس أصابعي وأحزان روحي في بحر عينيك، دعيني أجن فيك... فأنا لا أخشى الجنون تعالي اقتربي رغم أنف الجميع ودعي الجسد يقاتل الجسد دعي الجسد يأكل الجسد تعالي نستبيح كل المحرمات العفنة واتركيني أهدهدك كما تفعل الأمهات. ولم يتراجع «إسكندر» بل دفعه تشبثه بدراغاماشين إلى مزيد من العناد والقسوة تجاه معارضي زواجه من دراغا فأطاح بوزرائه وأحبط العديد من المؤامرات التي استهدفته هو وعشيقته التي منحته ضروباً من النشوة لا يمكن لأي رجل أن يعرفها أو يبلغها في الحياة العادية. أما مطلب المعارضين فكان واحداً وهو أن على إسكندر أن يترك الملك إن هو لم يتراجع ويتخلص من تلك اللعوب الخطيرة. وأما هو فقد جعل منه عشقه المجنون لدراغا إنساناً عصابياً مزدوج الشخصية وربما فعلاً أصيب بمرض ازدواج الشخصية وبدأ يتحرك ويتصرف بفعل دوافع مزدوجة.

وحسب فرويد «عالم النفس» فإن الدافع المزدوج يعني: أن هناك دافعاً بنائياً ودافعاً تدميرياً. والدافع البنائي بعيداً عن المصطلحات وباختصار يمثل الدافع الجنسي إذاً فالأولى تحافظ على الذات والثانية تعبر عن نفسها في نشاطات وجدانية وجنسية مختلفة فهل كانت أساليب وعواطف وفنون دراغاماشين تفعل فعلها في إسكندر في حين أن الدوافع التدميرية تعبر عن نفسها في دفعات العداء الموجهة نحو الذات أو نحو الآخرين.

من خلال السرد السابق يتضح لنا مدى كره وحقد إسكندر للآخرين من المحيطين به من المعارضين الرافضين لحبه لدراغاماشين الأرملة الفاتنة، وهم الذين لم يعدموا وسيلة للخلاص من تلك الحسناء بما فيها القتل والدفع للانتحار. وهذا السلوك التدميري هو ما أبداه إسكندر تجاه والديه والمحيطين به من وزراء وحاشية بل إنه طاول حتى نفسه فقد كان يفضل الموت على التخلي عن دراغاماشين، وهكذا ومع استمرار الأم الضغوط وجرعات الغرام المجنون وجد اسكندر نفسه يتصرف بازدواجية واضحة ومتناقضة فهو العاشق المتيم الرقيق من ناحية، وهو القاسي والشرس ضد خصومه من ناحية ثانية شخصيتان في جسد واحد.

وسط هذا الخضم الهائل من التناقضات والأزمات أتمّ إسكندر مراسم زواجه

من دراغاماشين مستعيناً بقيصر روسيا. وهكذا اندست الأرملة الحسناء في سرير الملك العاشق لا بصفتها معشوقة متمردة على الضوابط والنواميس بل بصفتها الزوجة الشرعية للملك هذه المرة. لكن هذه الشرعية المفروضة على المعارضين لم ترحمها ولم تعفِ فراش الزوجية من الأشواك والمكائد والمنغصات والتي بالطبع حرمتها من كل لحظات دفء الحب الحقيقي الذي أحبته لإسكندر بل ذابت فيه حتى العظم.

كان الجميع من حولها لا يريد لها سوى الابتعاد عن الملك الصغير والخروج من القصر الملكي محمّلة بالذل والمهانة والتحقير... أمام كل هذا الجحيم الحاقد الكاره لها وقفت دراغاماشين متحدية ومسلحة بالجمال والفتنة والرقة والمكر والدهاء والذكاء. ومن الطبيعي القول في مثل هذه الحالة بأن المرأة المسلحة بكل هذا الذي ذكرنا من أسلحة لن يشق لها غبار بل تصبح خطرة بكل ما في الكلمة من معنى.

وقررت دراغاماشين المواجهة، مواجهة المعارضة الشرسة لبقائها ملكة للبلاد، واستنفرت كل ما لديها من أسلحة المرأة القادرة وفي مقدمها عقلها ومكرها ودهاؤها. وانبرت للدفاع عن حبها وعشقها عن نفسها وعن زوجها بل مجنونها (الملك إسكندر) وعن الملك. ولم تنس مصالح إخوتها وذهب بها دهاؤها إلى حد أنها قررت أن تلعب على الشعب الصربي بأسره لعبة خطيرة مفادها تبني أحد أبناء أختها المزواجة على أنه ولدها ومن صلب العاشق الولهان وبهذا تكون قد ضمنت المملكة لنفسها ولولدها من بعدها.

ومع ازدياد وتيرة الخطر واستنفار الطرفين لكل الأسلحة الممكنة قرر بعض الضباط مهاجمة القصر ليلاً والضغط على الملك المتهم لإجباره على التخلص من العشيقة السيّئة السمعة والأخلاق والسلوك وإلّا فالموت بانتظار كليهما.

وتمَّ تنفيذ الخطة في ليلة أنهى فيها العاشقان عشاءهما واندسا في فراش الغرام الذي شهد ولمس من تفانين وطرائق وأحاسيس العشق المجنون ما لا يعرفه الكثير من العاشقين. وفي لحظات كانت فيها العواطف جحيماً مستعراً والأجساد هاربة من أي رداء. وفي لحظات خرج فيها إسكندر من فلك الدنيا وراح يسبح في فضاء الغرام، وفجأة انتفض العاشقان مذعورين فإذا بباب غرفتهما يخر صريعاً محطماً، وإذا بالمهاجمين يحيطون بالسرير الذي تحول في لحظة إلى ما يشبه القبر.

وهكذا ألقي القبض على العاشقين المتمردين على القوانين والعادات والتقاليد المجتمعية (ملكية وغير ملكية) أما دراغاماشين الجميلة التي لم تعرف ولا تعرف سوى أفانين الحب والغرام بدأت ترتعش خوفاً بل رعباً من مصير طالما أبعدت شبحه من مخيلتها، في حين أن الملك العاشق بدأ أكثر تماسكاً وشراسة أو أنه ربما مثل ذلك حتى يخفف من خوف عشيقته الرقيقة المرهفة السيئة السلوك والسمعة والنوايا.

فجنّ جنون إسكندر فور سماعه للبذيء من الكلام، وقال للضابط إن هذه المرأة هي أشرف من كل نساء صربيا بمَنْ فيهم أمي وأمك، إنك لا تعرف شيئاً عن النساء حتى تتحدث بمثل هذا الكلام عن دراغاماشين إنها ليلي ونهاري، إنها دمي وعقلي، إنها فلكي الذي أحيا فيه. خذوا ما تشاؤون افعلوا بي ما تشاؤون ولكن لا تلمسوها ولا تجرحوها بكلمة. فما كان من قائد الانقلابيين إلّا أن بصق على وجهها الساحر وطلب منها أن تلعق (تلحس) له حذاءه.

أمام هذه الإهانات فقد العاشق عقله فهجم على الضابط بيديه العاريتين مدافعاً عن دراغاماشين غير عابىء «بعري جسده» أيضاً وبدأ يصرخ أنتم يا حثالة صربيا عليكم أن تعرفوا أنني أفضّل الموت على أن أطرد هذا الملاك وأنتم لا تعرفون أن بعدها عني سيسبب لي الجنون. فهل تريدون ملكاً مجنوناً؟ اقتلوني افعلوا بي ما تشاؤون لكن اتركوها محترمة ولا تؤذوها أو تمسوها بسوء.

ولما وجد الانقلابيون أنهم أمام إنسان فقد عقله وبدأ يهذي ويتلوى بين أقدامهم أطلق أحدهم عليه الرصاص فخرجت الدماء من ثقوب كثيرة حدثت في جسده لكنه كان لا يزال يتنفس وعيناه مسمرتان على عشيقته التي ضاق حلقها وتحجرت الدموع في عينيها وبدأت ترتجف من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، ثم انفجرت بالبكاء... نعم بكت هذه المرأة القوية الساحرة الرقيقة الشامخة بكت دراغاماشين لأول مرة في حياتها وتوسلت وتذللت وهي العارية ليس من ثيابها فقط بل حتى كل أسلحتها التي طالما عرفت كيف تستخدمها لتدافع عما يخصّها، أما الآن فهي لم تعد تملك سوى الدموع والرجاء والتوسل والارتماء على أقدام هذا وذاك من الجنود على أمل العفو عنها وعن جريحها العاشق النازف. لكن الذي

حدث هو أن الانقلابيين لم يرحموا دموعها ولا توسلها.. فأمروها بأن تجثو على ركبتيها وما إن جثت حتى بدأت الأقدام تتقاذفها وبات الجسد الناعم الجميل كجسد حيوان أزعج صياديه ثم أطلقوا عليها النار فانطرح جسدها قريباً من جسد إسكندر، وزحف الموت بطيئاً بطيئاً إلى العاشقين وما أن لفظت دراغاماشين أنفاسها حتى سمع الانقلابيون العاشق المكلوم يقول: أرسلوني إلى السماء... أريد أن ألحق بها... لا أريد فراقها لكنهم سخروا منه وبدل أن يرحموا جراحه تركوه ممدداً على الأرض وخرجوا من جناحه أما هو فكان يبكي تارة ويضحك تارة أخرى وينتفض ثالثة إلى أن فرغ جسده من الدماء التي ذابت فيها دراغاماشين فتوقف قلبه عن الخفقان ويبس جسده وجحظت عيناه... وهكذا مات إسكندر عاشق دراغاماشين كما أراد.

أخيراً ألم نقل في مقدمة الكتاب:

«لا تقتصر قدرة المرأة على تضليل الرجل الأحمق عن جادة الصواب وسواء السبيل... بل لها القدرة أيضاً على تضليل حتى الحكيم من الرجال... تمسك بزمامه وتخضعه لشهواته أو غضبه لتأتي النهاية كأسوأ ما يكون».

بقي أن نسأل: من هي الجنية؟

سؤال كبير متشعب تطرحه كل الألسنة حين يكون عن مملكة الجن.

ترى من هي الجنية؟ وهل هي جميلة أم قبيحة ودميمة؟ هل هي للأذى فقط أم لغير ذلك؟ وهل لها غرائز وشهوات تسعى لإشباعها كما نساء البشر وإذا كان الأمر كذلك فهل لها وقت مخصص لإشباع غرائزها؟ وهل تعرف الشبع الجنسي؟ وهل الجنية الأنثى لا تتجول في الطرقات إلّا ليلاً للإيقاع بهذا الرجل أو ذاك الشاب؟ كبائعات الهوى المتاجرات بالجسد؟ وإذا كان الجني الذكر يبيح لنفسه حب أو عشق أو الزواج من الأنثى الأنسيّة التي تعجبه ويميل لها قلبه ويتحرك بفعل سحرها الدنيوي (إن صح أو جاز القول) عواطفه وأحاسيسه، فهل للجنية (الأنثى) حق مماثل في ممالك الجن. وأخيراً وليس آخراً هل للجنية حق حرية التجول بعد منتصف الليل لتنتقي لنفسها رجلاً أو شاباً يشبع غرائزها وشهواتها؟

في محاولة منا للإجابة على هذه التساؤلات نقول: وجدنا في كتب التراث

التي تخوض في هذه المسائل (الموضوعات) مجموعة كبيرة من التناقضات فبعضها يصف الجنية بالبشاعة ودمامة الخلقة وسوء الأخلاق. وبعضها الآخر يصف الجنية بأنها طاغية الجمال وذات شعر طويل ناعم يستر اليسير المعيب من جسدها... في حين ذهب قسم آخر من الكتب إلى سرد حكايات تمعن في وصف حركتها الليلية بحثاً عن الحب والإشباع. أما ما سمعناه ممن ادعى أنه رأى الجن فإنه يضعنا في ذات الدائرة من الحيرة.

فهذا أبو يعقوب قصدناه في مكان بعيد لنتحدث إليه ونستفسر منه عما حدث له في مملكة الجن بعد أن شاع في الأنحاء خبر اختطافه على يد حفنة من الجن أخذوه إلى العالم السفلي.

بعد ساعات من البحث والسؤال والتجوال هنا وهناك حيث كانت تشير لنا الأصابع والأيدي دلّنا أحدهم إلى داره المتواضعة التي بناها أجداده على أحد المنعطفات... والتي كانت أشبه بخرابة بفعل مرور عشرات السنين التي أكلت الكثير من جدرانها وسورها وحواف شبابيكها.

استقبلنا الرجل بدهشة واستغراب فلم يكن بيننا معرفة سابقة ولمّا سألنا عن حاجتنا أجبناه أننا نبحث هنا وهناك وبين صفحات الكتب القديمة عن معلومات حقيقيّة تتعلق بالجن وقد سمعنا أنهم تعرضوا لشخص في هذه المنطقة هو أنت.

قال أعوذ بالله من الجن والشياطين... بسم اللّه الرحمن الرحيم... اللّهم اجعل كلامنا خفيفاً عليهم يا جماعة ما لكم ولهذه القصص. كان الوقت متأخراً بعض الشيء والعتمة أكلت مساحات كبيرة من بيوتات القرية وهذا ما ضاعف من خوف أبي يعقوب مما جعله يقول: الصباح رباح... في النهار أحكي لكم.

قلنا له وما الذي يمنع من أن تحدثنا الآن ثم إن وقتنا ضيّق... رجاءً أخبرنا وصف لنا ما حدث لك في تلك الليلة قال بعد لحظات من التردد... قد تسخرون مني إذا قلت لكم فعلاً إنني أخاف من هكذا أحاديث... أنتم لا تعرفون... ولن تصدقوا ما حدث حتى أني أشفق عليكم بل أخاف عليكم. فالحديث عن (أعوذ باللّه من الشيطان وجماعة الليل) وتحاشى كلمة الجن فلم يذكرها. مخيف ولا يحتمل المزاح والمكابرة فقاطعته (سائلاً) هل كنت وحدك في تلك الليلة؟ قال: نعم...

قلت ترى لو كان معك شخص آخر هل تظن أن الجن ممكن أن يعترضوا طريقك أو يخطفوك؟

سكت لبعض الوقت ثم قال الجن لا يظهر إلّا للشخص الوحيد وفي الأماكن الخربة أو المهجورة والمعتمة، قلت في نفسي: هذا الكلام يؤكد أن ما قد يراه البعض (مثل أبو يعقوب) مثلاً هو مجرد وساوس وتهيوءات (نتيجة شعور الإنسان بالرهبة والخوف المتصاعد حين يكون بسيطاً ووحيداً في بقعة مهجورة أو نائية). وأمام إصرارنا ونتيجة لإثارتنا لعنفوانه وشجاعته قال: إذاً أنتم مصرّون على سماع حكايتي؟! قلنا: بالتأكيد فسمّى باللّه ثلاثاً وبدأ حديثه وعيناه شاردتان قائلاً:

«على الرغم من سنين عمري التي تقارب الستين وعلى الرغم من أنني معروف في هذه الناحية بقوتي الجسدية وجرأتي فقد سيطرت على ساقاي المرتجفتين في تلك الليلة بصعوبة بالغة. وذكرت اسم اللّه تعالى عشرات المرات ومع ذلك تسمّرت قدماي في تربة الأرض أكثر من مرّة لماذا؟ لأنني شعرت بيد تشدني من الخلف... نعم... ثم سمعت شخصاً يصرخ في وجهي (لم أره... لا... أظن أنني رأيت وجهه...)، كان مثلنا نحن البشر: ثم تبدل في لحظة إلى وجه غريب، فلحظة أراه كرأس حمار ولحظة أخرى مثل رأس العنزة ثم يتبدل إلى... (اللهمّ ارحمنا واحمنا وأبعد أذاهم عنا) ويتابع... قلت يا رجل ماذا فعلت لك؟ قال: ألم تشعر بأن قدمك قد داست على شيء؟ قلت نعم ولكن بسبب العتمة لم أميّز ذلك الشيء... قال: لقد كان ولدي الصغير، لقد داست قدمك على ولدي الصغير الذي خرج ليلعب بعد أن نام البشر. قلت: أقسم لك أنني لم أره، وحاولت الابتعاد ولكن شيئاً كان يمسك بثيابي (قاطعته سائلاً): ألا يمكن أن تكون ثيابك قد علقت بغصن شجرة مثلاً؟ خاصة وأن عدداً من الأشجار الصغيرة والكبيرة منثورة هنا وهناك و... فقاطعني محتداً... ألم أقل لكم لن تصدقوني وستسخرون مني (واللّه لن تصدقوا حتى تروا بأنفسكم ويحدث لكم ما حدث لي).

اعتذرنا منه وطلبنا سماع المزيد فتابع كلامه قائلاً... ورغم أنني تذكرت ما قاله لي جدي (رحمة اللّه عليه) عند تعرضي لمثل هذا (أن لا أنظر إليهم وأن لا أكلمهم ولا حتى أرد عليهم... فقط عليّ أن أبتعد ولكن لأنني معروف بالقوة

والجرأة تجرأت ونظرت في وجه محدثي المتبدل والعياذ بالله ـ اللهمّ عَافِنا وأبعدهم، هنا قال صاحبي ثم ماذا حدث؟ لقد زاد تشوقنا..

فتابع أبو يعقوب «اختفى فجأة من أمامي ولكن صوته كان لا يزال يرن في أذني. تلفتّ يميناً ويساراً، فشاهدت (بسم الله الرحمن الرحيم) «بشراً... لا» ربما أشباه بشر أو هم من الأشباح... أقسم أنهم كانوا مخلوقات غريبة مخيفة قلت: أفهم من كلامك أنه لم يكن جنيّاً واحداً قال: لا... كان واحداً ثم أصبحوا كثيرين... أحاطوا بي ثم سحبوني من يدي وأخذوني لا أعرف إلى أين. كنت أحس بنفسي يضيق بينما أنا أغوص معهم في طبقات الأرض مثلما يغوص السبّاح في الماء.

وهناك تحت الأرض حيث الظلام والعظام وبقايا الجماجم، فقد رأيت العجائب. عائلات بأكملها صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً وأطفالاً... و... فقاطعناه بصوت واحد قائلين: كيف عرفت أن بين الموجودين رجالاً؟ قال: لأنه لغيرهم كان شعراً طويلاً ناعماً وجسداً أشبه بجسد امرأة الإنسية... نعم لقد اقتربوا مني وتفرّجوا عليّ وكأنني حيوان غريب نادر. قلت مقاطعاً أبو يعقوب... مهلاً لحظة يا أبا يعقوب، أريد منك أن تتذكر جيداً كل ما رأيت خاصة ما يتعلق بنساء الجن. أعني المرأة الجنيّة، قل لي هل كانت جميلة فارعة الطول نحيلة القوام طويلة الشعر أم أنها كانت دميمة الخلقة مخيفة مشعثة الشعر طويلة الأنف فمها مثل مغارة القرون الوسطى؟

قال أبو يعقوب كانت العتمة هناك: قلت: أين؟ قال تحت الأرض (بسم الله الرحمن الرحيم) في العالم السفلي شديدة ولكنهم كانوا يتحركون دون أن يصطدموا ببعضهم يعني كانوا يرون وكأنهم في وضح النهار أما مشيتهم فكانت غريبة لا تشبه مشية بني البشر... يعني كنت أراهم للحظات يطيرون فوق سطح الأرض ثم يعودون ليمشوا مثلنا كانت سيقانهم تطول وهم يسيرون، وأحياناً تقصر بينما وجوههم كانت تتبدل بسرعة البرق. أما عيونهم فلا يستطيع الإنسان النظر إليها... كانت مثل النار حمراء مستديرة ومتحركة قلت: ماذا تقصد بكلمة متحركة؟ قال يعني موضع العين يتبدل فتارة العينان تراهما بجانب بعضهما وتارة أخرى فوق بعضهما وتارة... فقاطعته مستحثاً إياه أن يصف لي إحدى الجنيات.

قال: لا أعرف كيف ولكني نظرت ملياً إلى إحدى الجنيات لقد كانت آية في الجمال. قلت: هل يمكنك أن تصف لي شكلها أقصد جسدها، هل يشبه جسد المرأة عندنا (أقصد الإنسية) صمت أبو يعقوب وسمّى باللّه واستعاذ به من الشياطين والعفاريت وجن الليل الشاردين وقال: يا صديقي ليكن في معلومك أن الجنيات لا يعرفن الثياب أي إنهن عاريات تماماً، وأما ما يستر عورتهن فهو الشعر الطويل الطويل الناعم بعضه بلون الليل وبعضه بلون الفضة قلت مقاطعاً مازحاً: أما من شقراوات؟

فأجابني محتداً: أنت تسخر مني ولا تصدقني ولكني أحلف لك أنني رأيت القليل منهن من ذوات الشعر الأشقر، أما أجسادهن فكانت رقيقة ممشوقة رائعة التقاطيع والعيون واسعة برّاقة بينما الشفاه متوهجة بلون قرص الشمس و... قلت وجوههن كيف كانت؟ قال: كانت وجوههن كالبدر المنير ويتابع أنا... لم... قلت ثم ماذا؟ قال: اسكت يا رجل فمنذ رأيت جمال الجنيات لعنت الساعة التي تزوجت فيها أم يعقوب ـ شو جاب لجاب. وهكذا لم نجد عند أبي يعقوب إلّا الكلام الذي يخلو من أية إثباتات وسألت نفسي.

ترى هل كان أبو يعقوب يحلم؟ أم أنه أصيب بإغماءة لسبب أو لآخر؟ أم أنه اعتاد أن يسرح بخياله هرباً من واقعه؟ أم...؟ أم؟ أسئلة كثيرة ولا جواب قاطع ولا إثبات يؤكد أهي الأساطير؟ أم هي حقائق تفوق قدرتنا العقلية؟ أهي هلوسات الليل وهواجس أخرى؟ أم...؟

الحالة رقم (١)

مصرية تعشق زوج ابنتها

بكل بساطة وبلا أدنى إحساس بالخجل وقفت أمام ضابط الشرطة وأدلت باعترافاتها التي جاءت على الشكل التالي.

نعم، كنت أزور ابنتي المتزوجة من شاب جميل وسيم أعجبني منذ تقدم لابنتي وكنت أضع لها المخدر في الشاي لتنام نوماً عميقاً من أجل أن يتسنى لي الاختلاء بهذا الرجل (أقصد زوج ابنتي) لأمارس معه الجنس الذي افتقدت متعته منذ سنوات فأنت تعرف يا بيه أن كبار السن من الرجال ما يقدروش يشبعوا مراتتهم. وزي ما إنت شايف أنا لسّه في الأربعينات وشهوتي للجنس لسّه قوية.

وبصراحة يا بيه كنت أستدرج بنتي في الكلام لتحدثني عن أفعاله الجنسية وقد إيه هو جنسي ثم عندما كنت أتفرد به بعد أن أخدِّر ابنتي كنت أطلب منه أن يمارس معي بالظبط زي ما بيمارس مع بنتي. لكن الحال دا مش بيدوم يا بيه لأنه في آخر مرة يظهر أني قللت المخدر حبّة ولما فاقت ابنتي ضبطتنا متلبسين. ولم تحتمل الموقف فثارت ثائرتها وهددت وتوعدت بأنها ستفضحني إن عدت لزيارتها.

انقطعت عنها فترة لكن اشتياقي وحاجتي لإشباع شهوتي دفعتني للذهاب إلى بيتها فما كان منها إلّا أن أخبرت (زوجي) أقصد والدها الذي أبلغ الشرطة وزي ما إنت شايف أنا قدامك أهو.

الحالة رقم (٢)

زوجة لثلاث رجال

تدعى فاطمة ـ وتبلغ من العمر (٣٠ سنة).

جريمتها: أنها تزوجت ثلاث رجال وأنجبت من الثلاثة، واعترفت لزوجها الأول بأنها تزوجت عليه من رجلين وأنجبت منهما وأنها غير نادمة وتعتبر الأمر بسيط ومفيش مشكلة. إشارة إلى أن زوجها الثاني كان خطيب ابنتها.

وأمام ضابط الشرطة قالت تروي مأساتها.

وجدت نفسي أعيش مع زوج أمي في (بني سويف) بعد وفاة والدي كنا نعيش في حالة شديدة من الفقر، لم نكن نجد ما نأكله ولذلك كانت والدتي تحلم باليوم الذي تتخلص فيه مني، وكانت تعرضني للزواج «كسلعة» في انتظار من يدفع أكثر. على أمل أن يخرجنا الثمن الذي ستجنيه من خندق البؤس الذي نعيش فيه.

ورغم أن عمري في ذلك الوقت لم يكن يتعدى «١٤» سنة إلّا أنه مع أول مشترٍ وافقت أمي ـ وكان هو زوجي الأول ـ كان عمره «٥٠» سنة أي إنه كان يكبرني بـ «٣٦» سنة. وتمت صفقة زواجي دون أن أجرؤ على الاعتراض. وانتقلت مع زوجي العجوز من المنطقة التي كنّا نسكن فيها إلى بلدة أخرى وعشنا في شقة صغيرة متواضعة عبارة عن غرفة واحدة ومطبخ وحمام. وتمّ الزواج على طريقته. أما بالنسبة لي فلم أكن أعرف شيئاً. بنت أربع عشرة سنة بسيطة فقيرة غير متعلمة عديمة المعرفة.

كان مجرد دخوله الغرفة عائداً من عمله يولد رعباً شديداً في داخلي كنت أخاف منه وأخشاه وهو في أحسن حالاته فكيف إذا بدأ حفلته الليلية بشرب زجاجة صغيرة من الخمر. كان وحشاً وكان يمارس معي الجنس بطريقة وحشية مخيفة ومؤلمة جداً. كنت أصرخ كنت أبكي أتوسّل إليه لكن لا فائدة. كان يستمر في نهش لحمي لبعض الوقت إلى أن يبدأ باللهاث فيستكفي.

لم أكن أستطيع رفض حاجاته التي لا تنتهي ولم أكن أستطيع أن أخبر أمي لأنها قالت لي ليلة تركت بيتها إنت دلوقتي مراته ومكانك في بيته وتدّيله حقه الشرعي ومش عايزه مشاكل.

وهكذا أثمرت عمليات اغتصابي ثلاثة أطفال على التوالي. ومن أجل أن أبعده وأتخلص منه قلت له ذات ليلة: هل تعجبك حالنا والأطفال دول إزّاي رح نربيهم، وأنت يا دوب. فقال وأنا في إيدي إيه أعمله. قلت ليه ما تسافرش وتعملّك قرشين. اقتنع بفكرتي وابتعد عني إلى إحدى دول الخليج تاركاً لي ثلاثة أطفال وبلا فلوس.

مرّ شهرين وثلاثة عشت خلالها مع أطفالي عيشة الكلاب كما يقولون واضطرتني ظروفي الاقتراض من البائعين القريبين من سكني. كان أحد الذين أتعامل معهم شاباً جسيماً هادئاً، كان يقدم لي الخدمات دون سؤالي إلى متى. وذات ليلة جلست أنا والشيطان وفكرنا يحصل إيه لو اتجوزت من هذا الشاب، أولاً حيصرف على البيت والأولاد، وثانياً يسلّي وحدتي ويشبع حاجاتي التي بدأت ترهقني وتوتر أعصابي وكان أن اتفقت معه على الزواج العرفي وعشت معه حوالى السنة كان خلالها طيباً بسيطاً ومتسامحاً مع أطفالي الذين تركهم لي مطلقي. أقصد أن أقول إنني اعتبرت أنني مطلقة. أما لماذا لا يعرف الجيران والحتة هذه المعلومة، فحتى لا يطمعوا بي. هكذا أخبرته فاقتنع. وخلفت منه طفلة صغيرة. وفي إحدى الأمسيات جاءني ليقول أنا خلاص تعبت ومش قادر على الاستمرار في عملي لأني انكسرت، (أفلست). وبدأت بعدها حياتنا بالتبدل، فكثرت المشاحنات وعلت أصواتنا مما دفعه إلى ضربي أكثر من مرّة. كان يضربني بقسوة غير آبه بصراخ الأطفال وبدأ كرهه يتسلل إلى قلبي فلم أعد أطيقه وبدأت أتمنّع عن مجامعته وامتاعه. وفجأة خرج من البيت وطال غيابه لأكثر من خمسة أشهر. والحقيقة أن غيابه لم يعني لي شيئاً لأنني وببساطة قررت أن أكون زوجة لغيره، لرجل ثالث، وما المانع؟ لن يعرف أحد أنني متزوجة من رجلين وربنا حيسامحني على عملتي علشان الأطفال دول.

وبدأت أبحث في رأسي صور شباب الحتة يا ترى حَ اختار مين. نسيت أن أقول إنني خلال السنوات الأربع التي قضيتها مع زوجاي كنت قد تعلمت الكثير الكثير من ألاعيب النساء المدردحات. وذاكرتي لا زالت مليانة بالكلام الجميل اللي سمعته عن جمالي وعن شعري ولون عيوني. إضافة إلى القدرة غير العادية على ممارسة الجنس كما أخبرني أو اعترف لي زوجي الثاني.

واجتمعت ثانية أنا والشيطان، واتخذت القرار، وعرفت أنا عايزه إيه، ورميت

شباكي على شاب حلو يعمل ميكانيكي وصدقوني كان الإيقاع به سهلاً. ونجحت في إقناعه بأن نتزوج عرفي حتى لا يعترض صاحب البيت الذي أسكنه فيطردني منه واقتنع وتزوجنا وخلفت منه «واد» أقصد صبي.

وذات يوم سمعت طرقاً على الباب وما أن فتحت حتى رأيت أمامي زوجي الأول. تسمّرت في مكاني وجمد لساني لبعض الوقت. ثم قلت تفضل ادخل فدخل وجلس على الأريكة اليتيمة في الغرفة. وقال ها. عاملة إيه. قررت أن أكون جريئة ووقحة وصريحة. قلت حَ أعمل إيه اتجوزت في غيابك على سنّة الله ورسوله ومش راجل واحد بس وإنما اثنين. فقال يعني على ذمتك دلوقتي ثلاثة رجال، فقلت نعم وفيها إيه. اشمعنا الراجل منكم بيتجوّز اتنين وتلاتة وأربعة. طبعاً لم يحتمل كلامي ولا الموقف الي حطيته فيه فراح البوليس وبلّغ عني.

الحالة رقم (٣)

اسمه إبراهيم من مواليد ١٩٦٥ يعمل في مهنة بسيطة، ونشأ في بيئة متخلفة انعكست على أسرته بالمشاكل والتفكك. فالأم مطلقة ومتزوجة من رجل آخر، والأب متزوج من امرأة ثانية. يعيش هو وإخوته الأربعة في غرفة واحدة. له ميول أنثوية (خنتي).

الأفعال التي ضبط متلبساً بها (اللواط).

قصة الخطأ المرتكب وأسبابه ودوافعه

تركت الأم الأنانية أولادها وراحت تبحث عن حياة جديدة في كنف رجل آخر.. فشغل الأب بالبحث عن أم جديدة لأولاده. ونظراً لوضع والده التعليمي والحياتي المتدني، فقد ترك ابنه (الذي يعيش حالة تخنث) ولم يعرضه على طبيب أو أخصائي. مما دفع بالصبي إلى إشباع شهوته المنحرفة مع من هم أكبر منه سناً وكان يعرض نفسه على زبائن المطعم الذي كان يعمل فيه. ألقي القبض عليه متلبساً بالجرم المشهود.

ولما سئل لماذا تمارس اللواط، أجاب:

إن دوافعه الأنثوية هي السبب في فعلته.

العوامل المحددة للمشكلة

تفكك الأسرة وإهمال حالته المرضية، وهكذا اقترن العامل المرضي بالاجتماعي فأديا إلى الانحراف.

الحالة الرابعة (٤)

الاسم: سعاد ن. مواليد سنة ١٩٦٥ هي ربة منزل، سبق ونشأت في بيئة متخلفة تسودها العادات والتقاليد القديمة. لها أخوين وثلاث أخوات. عاش الجميع في شقة من غرفتين وحالتها التعليمية جيدة.

الجريمة المرتكبة: (الأسباب والدوافع)

قتلت زوجها بالاتفاق مع عشيقها، كان عمرها ثلاثة عشر عاماً عندما تقدم لخطبتها ابن عمها، وكانت معجبة به فقبلت الزواج منه، كانت معاملته حسنة وأحبته كثيراً. أنجبت منه طفلين، ولكنها اضطرت للعودة إلى منزل أهلها بعد وفاة زوجها. وحسب عادات وتقاليد بيئتها كان محظراً عليها الخروج من المنزل فهي أرملة والناس سيلوكون سيرتها. ألحّت عليها والدتها للزواج من أجل طفليها فتقدم لخطبتها رجل في الثمانين من عمره ومع أنها رفضته في البداية إلّا أنها اضطرت للقبول به تحت إلحاح والدتها. وفي الطريق أقدم ابن خالها على قتله بطلق ناري بينما كانت تسير إلى جانبه. لقد اتفقت مع ابن خالها على قتله فحددت له مكان وزمان سيرهما لكي يبدو الحادث غيرة أو قضاء وقدراً. أما موقف الفاعلة من الخطأ، فكان إنكار معرفتها بما سيفعله ابن خالتها لكنها ما لبثت أن اعترفت بالتنسيق والاتفاق معه.

العوامل المحددة للمشكلة

المجتمع وعاداته وتقاليده البالية هو المسؤول عن هذه الجريمة.

ألم نقل في بداية الكتاب (لا تشدد الرقابة (الضغط) على النساء لأن مكرهنّ سيجعلهن يبتكرن خدعاً تجلب المصائب). ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

الحالة الخامسة (٥)

الاسم محيي الدين عمره خمسة عشر عاماً، له من الإخوة والأخوات خمسة، حالتهم المعاشية وسط، هو طالب في المدرسة الثانوية.

الجرم المنسوب إليه ـ ذبح شقيقته

قصة الجريمة المرتكبة (الأسباب والدوافع)

هو طالب في الصف الأول الثانوي حسن السلوك وجيد في مدرسته سمع من خطيب أخته أنها تقوم بأفعال غير أخلاقية وهي ليست عذراء إذ قام هو وأصدقاؤه بممارسة الفحش معها. فجنَّ جنونه وسارع إلى أمه التي أكدت الخبر، وقالت إنها أخذتها إلى الطبيب المختص فأكّد لها الظنون المنسوبة لأخته. فراح يفكر بالسمعة البشعة التي سيتداولها عنهم الجيران والأقارب. وكيف سيقابل رفاقه في المدرسة. وراح من يومها يترقب خلو المنزل من أهله. وذات يوم وجد الفرصة المناسبة وبينما هي نائمة أخذ السكين من المطبخ وتسلل إلى الغرفة وذبحها، وسلّم نفسه إلى مخفر الشرطة.

وعندما سئل عن فعلته قال إنه ليس نادماً على فعلته وهكذا أفضل للأسرة.

العوامل المحددة للمشكلة.

الدفاع عن الشرف الذي سيطر على كيان الفاعل.

الحالة السادسة (٦)

قال للمحقق:

أتيت إلى الدنيا نتيجة زواج أبوين فاسدين همّهما إشباع لذتهما والحصول على المال بأي طريق. فقد ابتلي أبي بأسوأ ما يمكن أن يبتلى به رجل. بانعدام الشرف، والقمار، وابتليت أمي بأبشع ما يمكن أن تبتلى به امرأة بالعهر والخمر. فماذا يمكن أن تكون عليه نتيجة هذا الزواج؟

لا أزال أذكر حتى الآن كيف كانت أمي تصطحبني وأنا بعد طفل صغير لحضور سهراتها الحمراء بصحبة الرجال والخمر، فأبقى الجزء الأول من الليل

ساهراً وأنا لا أعرف ماذا يجري في الغرفة الثانية. ثم يغلبني النعاس فأنام.. وكبرت.. فلم تعد تصطحبني معها وبالتالي لم أعد أراها إلّا في ساعات قليلة من النهار أما أبي فلم أكن أراه إلّا لبضع ساعات في الأسبوع. أوكلا أمر رعايتي إلى جدي وجدتي اللذين كانا يعرفان كل شيء ولا يبديا اعتراضاً حتى خالي كان يسكن معهما بصحبة عاهرة.

وخالي أعطاني أول سيكارة حشيش لأصبح رجلاً. هكذا قال.. كنت أمضي معظم أوقاتي في الشوارع وفي سينمات الدرجة الثالثة. ثم تعرفت على رجال يتعاطون اللواط فانخرطت بصحبتهم ثلاث سنوات كاملات ازدادت خلالها كمية الحشيش التي كنت أتعاطاها لسببين: أولهما أن المهنة تقتضي ذلك. وثانيهما أن الحشيش كان متوفراً عند الرجال. والآن، أنا في السجن نفسه مع والدي الذي انفصلت عنه والدتي وأراه في الوقت المخصص للتنفس في باحة السجن ولا زلت أجهل مدة سجني بتهمة اللواط. علماً بأنه سبق وتمَّ توقيفي من قبل الشرطة بتهمة ممارسة اللواط. ويبدو أن هذا العمل هو الوحيد الذي أتقنه.

البغاء المقدّس

الدوافع الدينية للبغاء المقدّس

كانت المعابد منتشرة في مدن الحضارات القديمة (بابل، آشور، أثينا، وروما ومصر وغيرها). وكانت المعابد آنذاك تحمل شتى الأسماء وتدين بالولاء للآلهة ذاتها، مع تحوير في الأسماء.

فهي أفروديت حيناً، وهي نانا، وهي عشتار، وهي ڤينوس حيناً آخر. وبغايا المعابد في تلك الفترة كنَّ يمارسن العمل نفسه والطقوس عينها مع اختلافات بسيطة ـ لكن المنحى العام هو ـ هو... جمع المال ـ وهي مبالغ كبيرة ـ بهدف إدامة العمل في المعابد وتعميرها وزخرفتها وتجميلها لتليق بالرب، ويُنفق منها جزء على كهنة المعابد والعاملين فيها.

أما فتيات المعبد فكن يمارسن البغاء خدمة للرب ولبيته مقابل رضى الرب عنهن واقتطاع جزء من المال يسير لصالحهن الشخصي أي إنها كانت تدخره لحين خروجها بقصد الزواج فيما بعد. وكثيراً ما كانت الفتيات والنسوة العاملات في هذا المجال يفضلن البقاء في المعبد، لخدمة الرب وتوفير المال في ظل حماية المعبد والعاملين فيه إضافة إلى توفير الأمان والقدسية والاحترام. فقد كان يُطلق على البغايا ـ بغايا المعبد، في تلك الفترة في بلاد الرافدين مثلاً: لقب «مقاديشو» أو «مقاديشه» وتعني المقدّسة أو المضحيّة ـ أو مانحة الخصوبة للأرض. وفي ظل هذه الهالة «المقدّسة» لم يكن عمل البغايا في المعابد معيباً أو مخجلاً أو مشيناً، بل بالعكس أضفى هذا العمل عليهن من الاحترام ما يفوق أو يساوي احترام النساء المتزوجات، وكان نخبهن يُشرب إثر كل انتصار في الحرب، أو إثر الخلاص من أي وباء يصيب المدينة. ولم يكن الاحترام والتقديس يقتصر على الفتيات والنساء اللواتي يمارسن البغاء في المعبد ابتغاء رضى الرب ـ بل كان الآباء الذين يدفعون ببناتهم ونسائهم

إلى المعابد لممارسة البغاء المقدّس هذا، كانوا يصيبون الكثير من حالة الاحترام ويوصفون بالمثالية (الآباء المثاليون).

كان سائداً آنذاك أن فضّ بكارة البنت من قبل الناس العاديين مجلبة للّعنة والأمراض، أما كهنة المعبد والملك وخدام الآلهة فهم وحدهم القادرون على تجنيب الفتاة الإصابة بالأمراض وصدّ اللعنات عن الناس والمدينة.

ولعل بقايا هذه العادة استمرت وشاعت وانتقلت إلى كثير من بقاع الأرض، حيث صار على الأب في بعض القبائل الإفريقية أن يفضَّ بكارة ابنته ليهيئها للزواج.

ولقد تعاظمت واردات المعابد (المعبد) من حصيلة عمل «بنات الرب القديسات» حتى شكّلت تلك الواردات جزءاً لا يستهان به من ميزانية الدولة، حتى أن «هيرودتس» ـ المؤرخ الشهير ـ يزعم أن الأهرامات بنيت من أموال البغايا، ويدّعي أن «خوفو» نفسه بنى هرمه بنفسه من حصيلة أرباح ابنته التي كانت إحدى كاهنات الرب الجميلات.

لكن الدوافع الدينية التي لعبت كل هذا الدور الكبير الذي أشرنا إليه ما لبثت أن تغيّرت وانقلبت على هذه الصفة (ممارسة البغاء المقدس) في المعابد بعد أن سادت التعاليم الموسوية والمسيحية والإسلامية، وتكشفت نظرة الدين الزاجرة ـ والمتسامحة نحو البغي والبغاء، بدا الدافع الديني طعماً مغرياً لكثير من نساء العصور القديمة والوسطى، ولرجال السلطة والكهنوت ـ وقد كتب المؤرخ ـ هيرودوتس ـ في وصف البغايا أبلغ وصف وسمّاهن «المضحّيات».

يقول هيرودوتس: هناك عادة ـ مخزية ـ في بلاد بابل، إذ يتحتم على كل فتاة تبلغ سن الحلم في المنطقة (ربما من سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة) أن تهب نفسها ولو مرّة واحدة للمعبد، حيث تجلس الفتاة في فناء معبد عشتار، وتنتظر الغرباء يأتون إليها ليصحبوها.

وكان الكثيرون من الأغنياء (الأثرياء) وذوي النفوذ يأتون المعبد وهم على عربات فخمة يتبعهم الخدم والعبيد، وتتخذ الفتيات أماكنهن قرب الهيكل، وكنّ يضعن عقوداً من اللؤلؤ حول رؤوسهن لتمييزهن عن غيرهن ويجلسن في صفوف متقاربة، ويمنع على أي منهن مغادرة مكانها قبل أن يختارها شخص ما، حيث يلقي

بالقطعة الفضية في حضنها وهو يتمتم ـ من أجل «ڤينوس» ـ ثم يصطحبها للمكان المخصص للاضطجاع وعادة ما يكون ملحقاً بالمعبد المقدس. وعادة يختار الرجال الفتيات الأصغر سناً الجميلات وذوات الجاذبية، أما اللواتي حظّهن من الجمال قليل، أو القبيحات، فإن عليهن الانتظار والانتظار الطويل (لسنوات) في بعض الأحيان قبل أن يعثرن على الرجل الذي يضحي بقطعة فضة من أجلهن.

وإذا كان «هيرودوتس» لم يتعرض في إفاضته لقضية «غشاء البكارة» في نساء معبد عشتار، فإنه يشير إلى أن المضحيات في معبد بعلبك في سوريا كان يشترط فيهن «غشاء البكارة» لتكون الضحية «الأضحية» عظيمة وتستحق العناء. هذا ما كان عليه الحال قبل نزول الأديان الثلاثة: اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو، ماذا حلّ بهذه الصنعة (البغاء) المقدس بعد نزول الأديان؟

البغاء في الأديان

البغاء في التوراة، (العهد القديم)

إذا بدأنا باليهودية (أول الأديان) نجد أن صفحات كتبها السماوية (العهدين: العهد القديم ـ والعهد الجديد) التوراة والإنجيل تعج بموضوعات البغاء ويعتقد البعض أن بعض المصلحين ودعاة الأخلاق عمدوا إلى التخلّص (نزع ـ اتلاف) صفحات كثيرة من الكتابين المشار إليهما في محاولة للتخفيف من كلمات الدعارة الواردة في الكتابين، والإسراف في الحديث عن أفاعيل الدعارة والمجون والفحش، مخافة أن يراها (يقرأها) الشباب وعديمو الخبرة ويتأثرون بفضائحها وحتى عهد متقدم كان يحرّم على الشباب قراءة توراة «حزقيال» بالذات لما فيها من إشارات تفصيلية تتعلق بالعملية الجنسية. وإذا كانت ممارسة الجنس ـ بغاء ـ محرّمة على بني إسرائيل فهو تحريم قاصر على الممارسة مع بنات إسرائيل. أما الغريبات (الغويم) فلهن شأن آخر. كذلك حرم البغاء داخل أرض إسرائيل، لكن وصايا التوراة لا تمانع في ممارسة البغاء في أرض أخرى، ومع بنات الغرباء.

وكان معبد النبي سليمان يغصُّ براهبات المعبد اللواتي لم يكنَّ في حقيقة الأمر غير بغايا محترفات، وكان النبي سليمان نفسه يحتفظ لنفسه وشهواته بمئات منهن، (رغم تحذير الدين ـ الأديان) الثلاثة من ممارسة الجنس خارج إطار الشرعية (الزواج) أو اتخاذ المحظيات ـ أو الاستمتاع ووصفته بالفسوق حيناً وبالشرّ حيناً آخر ـ ورغم تشدد الدين المسيحي «في تعاليم الإنجيل» إزاء البغايا ـ والبغاء ـ فإن تسامحه العملي مع العاهرات كان أمراً لافتاً للنظر، كقبول السيد المسيح أن يمسح «بالزيت» ويتطيب بالطيب على يد امرأة عاهرة، وكالدفاع عن عاهرة حينما تجمّع الناس حولها يبغون رجمها بالحجارة، كما كان شائعاً في تلك الأيام. هذه النظرة المتسامحة من قبل السيد المسيح نفسه دفعت الكثيرات إلى الالتحاق بالمعابد،

اعتقاداً أن البغاء هو أهون الشرّين، وأنه يجنب المجتمع الفاضل، والنساء الفاضلات الوقوع في أحابيل الرذيلة والفسوق. وسرعان ما استمرأت الدول الأوروبية ـ هذا التعليل ـ مدينة إثر مدينة، ولقد غالت بعض الأقطار في تشجيع إقامة المباغي، لما كانت تفرضه عليها من ضرائب ـ صارت فيما بعد ـ جزءاً رئيسياً من موارد الدولة.

إشارات في التوراة

رغم ما جاء في التوراة من إشارات بحق البغي ووصمها بالفجور واللعنة، وتحذير بني إسرائيل من مفاتنها وفتونها، فإنه في الإصحاح الثاني كرّمها واعتبرها من ذوات «القلب الذهب» كما يحلو لبعض الكتّاب أن يسمّوها.

جاء في الإصحاح الثاني

أرسل يشوع بن نون رجلين ليتجسسا على أرض «أريحا» وسكّانها بهدف غزوها ـ ذهب الرجلان الجاسوسان ودخلا بيت امرأة زانية «بغي» اسمها «راحاب» واضطجعا هناك، فقيل لملك أريحا، هو ذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل[1] لكي يتجسسا الأرض ورجالها. فأرسل الملك إلى «راحاب» يقول: أخرجي الرجلين اللذين أتياك ودخلا بيتك، لأنهما قد أتيا يتجسسان الأرض، فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما، وقالت: نعم جاء إليّ رجلان ولم أعلم أين هما، ولقد خرجا ولست أعلم أين ذهب الرجلان. اسعوا سريعاً وراءهما حتى تدركوهما. أما هي فأطلعتهما (أصعدتهما) إلى السطح ووارتهما بين عيدان كتّان لها منضدة على السطح، فسعى القوم وراءهما في طريق الأردن. ولما خرج رسل الملك، صعدت إليهما إلى السطح وقالت للرجلين، علمت أن الرب قد أعطاكما الأرض وأن رعبكما قد وقع علينا، والآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة لأني عملت معكما معروفاً، بأن تعملا أنتما أيضاً معروفاً مع بيت أبي وتستحيبا أبي وأمي وإخوتي وكل ما لهم، وتخلصا أنسنا من الموت، فقال لها الرجلان: نفسنا عوضكم للموت إن لم تفشوا أمرنا هذا، ويكون إذا أعطانا الرب الأرض أن نعمل معك معروفاً وأمانة،

---

(١) بني إسرائيل: قيل لليهود الساكنين حالياً في فلسطين أو غيرها (إسرائيل) من جهة يعقوب.

فأنزلتهما بحبل من الكوّة، وقالت اذهبا إلى الجبل لئلا يصادفكما السعاة، واختبئا هناك ثلاثة أيام حتى يرجع السعاة ثم اذهبا في طريقكما.

قالا: وإن أفشيت أمرنا نكون بريئين من حلفنا الذي حلفناه. فذهبا إلى الجبل، ولبثا ثلاثة أيام حتى رجع السعاة، ثم نزلا وعبرا نهر الأردن وأتيا إلى يشوع ابن نون وقصّا عليه ما أصابهما. ولمّا عبر بنو إسرائيل «يعقوب» نهر الأردن، قال يشوع للرجلين اللذين تجسسا على الأرض «أريحا» أدخلا بيت الزانية «راحاب» وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها وكل ما خلفتما لها به ـ فدخل الغلامان ـ وأخرجا «راحاب» وأمها وإخوتها، وكل مالها، وتركوهم خارج المدينة، وأحرقوا المدينة بالنار (البشر والحجر والشجر وحتى الحيوانات) بكل ما عليها، واستخبأ يشوع الزانية وأسكنها وسط إسرائيل «فلسطين» لأنها خبأت المرسلين.

أيضاً جاء على لسان الرب إلى هوشع بن بئيري في أيام عزيا ويوثام وآحاز، وحزقيا ملوك يهوذا وفي أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل: «أول ما كلّم الرب هوشع ـ قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنا «زنى» وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنىً تاركة الرب، فذهب وأخذ «جومر بنت وبلايم فحبلت وولدت له ابناً». فقال له الرب ادع اسمه «يزرغعيل».

يتضح من الإصحاحين المشار إليهما كيف أن الرب ويشوع بن نون تعاملا مع العاهرات على أنهما (مقدسات). لكن الرب ما لبث أن غيّر رأيه في الممارسات للزنى عندما لاحظ الإيغال في الدعارة والبغاء وممارسة الجنس حتى تحت خيمته (في معبده).

فقد جاء في التوراة الكثير من نصوص التحذير من عملية البغاء. التي جاءت في بعض المواضع بلفظة «الزنى».

فقد جاء في «أشعيا، ٢ و٣، الإصحاح الثالث، «١٦»:

وقال الربّ من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مشيتهن، ويخشخشن بأرجلهنّ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرّي الرب عورتهن».

وجاء في حزقيال ١٦. (الإصحاح السادس عشر ٢٤:٣٠): (إنك بنيت لنفسك قبّة وصفت لنفسك مرتفعة في كل شارع «٢٥» وفي رأس كل طريق بنيت مرتفعك، ورجّست جمالك وفرّجت رجليك لكل عابر سبيل، وأكثرت زناك «٢٦» وزينب مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك لإغاظتي - ويتابع - وزنيتِ مع بني آشور إذ كنت لم تشبعي فزنيتَ بهم ولم تشبعي أيضاً - وكثرت زناك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين، وبهذا أيضاً لم تشبعي «٣٠» ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة - ويتابع الرب، ولم تكوني كزانية بل مُحتَقِرَةِ الأجرة - أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها لكل الزواني يعطون هديّة، أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنى بك «٣٤» وصار فيك عكس عادة النساء في زناك، إذ لم يُزنَ وراءَكِ بل أنت تعطين أجرة، ولا أجرة تعطى لك فصرت بالعكس.

فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أنه قد أنفق نِحاسُك وانكشفت عورتك بزناك بمحبيك، وبكل أصنام رجاساتك ولدماء بنيك الذين بذلتهم لها. لذلك هاأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم، وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم، فأجمعهم عليك من حولك، وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك، وأحكم عليك أحكام الفاسقات الساقطات السافكات الدم وأجعلك دم السخط والغيرة «٢٩» وأسلمك ليدهم، فيهدمون قبّتك ويهدمون مرتفعاتك، وينزعون عنك ثيابك، ويأخذون أدوات زينتك ويتركونك عريانة وعارية.

ويتابع الرب قائلاً (٤٤:٤٥):

هوذا كل ضاربٍ مثل يضرب مثلاً عليك قائلاً مثل الأم بنتها «٤٥».

وجاء في سفر اللاويين تحذير واضح ومباشر - ١٨ و١٩.

يقول - أنا الرب. لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى، لئلا تزني الأرض وتمتلىء الأرض رذيلة.

أما في أرميا ١٣ و١٤، فيقول الرب مخاطباً أورشليم - ٢٥:٢٦.

فأنا أيضاً أرفع ذيليك على وجهك فيرى خزيك (٢٧)، فسقك وصهيلك ورذالة

زناك على الأكام في الحقل. قد رأيت مكرهاتك، ويلٌ لك يا أورشليم لا تطهرين حتى متى بعد؟

ويتابع الرب تحذيره وعيبه لنساء اليهود ورجالاتهم. قائلاً في أرميا: ٧ و٨.

لأن بني يهوذا قد عملوا للشرّ في عينيّ يقول الرب... وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه.

كما جاء في حزقيال ١٥:٢٠.

فاتكلت على جمالك، وزنيتِ على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له «١٦»، وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيتِ عليها، أمر لم يأت ولم يكن «١٧»، وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك، وصنعت لنفسك صُوَرَ ذكور وزنيتِ بها «١٨» وأخذت ثيابك المطرزة وغطّيتها بها، ووضعت أمامها زيتي وبخوري إلى أن يقول. وهكذا كان يقول السيد الرب «٢٠».

كما جاء في سفر التثنية (٢٢): لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب.

كما جاء في سفر التثنية (٢٣):

لا تكنْ زانية من بنات إسرائيل ولا مأبون في بني إسرائيل، لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن طلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما، لأنهما كليهما رجس لدى الرب إلهك.

أما في مزامير داود: المزمور.

لحفظك من المرأة الشريرة، من ملق لسان الأجنبية، لا تشتهي جمالها بقلبك لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز.

وامرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة، أفيأخذ الإنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه؟ أو يمشي على الجمر ولا تكتوي رجلاه. هكذا من يدخل على امرأة صاحبه، كل من يمسها لا يكون بريئاً. أما الزاني بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه بفعله، ضرباً وخزياً يجد، وعاره لا يُمحى.

ولم تزل تعاليم التوراة تحذر من عملية البغاء الذي يجيء في مواضع كثيرة

(عديدة) بلفظة الزنا الذي يقرن بكل شرور الأرض، فلا ينزل الغيث، ويحتبس المطر، وتنزل الصواعق وتحل الطواعين.

رفيق الزواني - يبدد ماله. «الإصحاح التاسع والعشرون».

أما أنت «يخاطب إسرائيل بصيغة زانية». فقد زنيتِ بأصحاب كثيرين، لكن ارجعي إلي، يقول الرب، ارفعي عينيك إلى الهضاب وانظري أين لم تضاجعي في الطرقات؟ جلست لهم كأعرابي في البريّة، نجست الأرض بزناك وشرّك. فامتنع الغيث، ولم يكن مطر متأخر. وجبهة امرأة زانية كانت لك «الإصحاح الثالث عشر».

كيف أصفح لك عن هذي؟ بنوك تركوني، ولمّا أشبعتهم زنوا وفي بيت الزانية تزاحموا «الإصحاح السابع».

الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب «الإصحاح الرابع، هوشع».

من أجل زنى الزانية الحسنة الجمال، صاحبة السحر، البائعة أمماً بزناها، وقبائل بسحرها، ها أنذا عليك، يقول الرب فاكشف أذيالك إلى فوق وجهك وأُري الأمم عورتك، والممالك خزيك. وأطرح عليك أوساخاً وأهينك وأجعلك عبرة، ويكون كل من يراك يهرب منك (الإصحاح الثالث - ناحوم. في مواضع كثيرة في التوراة كانت مخاطبة «بني إسرائيل» الزاجرة والمهددة والمتوعدة تأتي بصيغة المؤنث، ففي الإصحاح السادس عشر حزقيال نقرأ:

وزنيتِ مع بني آشور، إذ كنت لم تشبعي، فزنيتِ بهم ولم تشبعي.. ويتابع الرب الكلام إلى أن يقول.. ويأخذون زينتك ويتركونك عريانة وعارية، ويصعدون عليك جماعة الرب. ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم، ويحرقون بيوتك بالنار، ويجرون عليك أحكاماً قدام عيون كثيرة وأكفّك عن الزنى، وأيضاً لا تعطين أجرة بعد.

ويستحوذ فعل البغاء «الزنى» على اهتمام أنبياء بني إسرائيل فيفردون له فصولاً مطوّلة في تعاليمهم ووصاياهم.

ففي مزامير داود نقرأ: قل للحكمة أنتِ أختي، وادع الفهم ذا قرابة لتحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة، الملقة بكلامها، لأني من كوّة بيتي، من وراء

شباكي، تطلعت، فرأيت بين الجهّال. لاحظت بين البنين غلاماً عديم الفهم عابراً في الشارع عند زاوية بيتها - صاعداً إليها في بيتها - بيت الزانية - وفي العشاء، في حدقة الليل والظلام، وإذا امرأة استقبلته في زي زانية، وخبيثة القلب، صخّابة هي وجامحة، في بيتها لا تستقر قدماها، تارة في الخارج، وأخرى في الشارع، وفي كل زاوية تكمن، فأمسكته وقبلته، أوقحت وجهها وقالت له: عليَّ ذبائح السلامة. اليوم أوفيت نذوري، فلذلك خرجت للقائك، لأطلب وجهك حتى أجدك، بالديباج فرشت سريري، بمشوي كتّان من مصر، عطّرت فراشي، بمرّ وعود وقرفة هلمَّ نرتوي ودّاً إلى الصباح، نتلذذ بالحب - أغوته بكثرة فنونها، بملثِ شفتيها طوحته، ذهبت وراءها لوقته كثور يذهب للذبح. كالغبي إلى قيد القصاص حتى يشق سهم كبده، كطير يسرع إلى الفخ ولا يدري أنه له. والآن أيها الأبناء اسمعوا لي، واصغوا لكلمات فمي، لا يميل قلبك إلى طرقها، ولا تشرد في مسالكها، لأنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء، طرق الهاوية بيتها هابطة بك إلى خدور الموت.

ثم تمضي التعاليم بالزجر مرة، والحسنى مرة، والتهديد بالويل في معظم الأحيان: يا بني. أعطني قلبك، ولتلاحظ عيناك طرقي، لأن الزانية هوّة عميقة والأجنبية حفرة ضيّقة هي أيضاً، كلصٍّ تكمن وتزيد الغادرين بين الناس أمثال. الإصحاح الثالث والعشرون.

ويل للواتي يخطن وسائل لكل أوصال الأيدي، ويصنعن مخدّات لرأس كل قامة، لاصطياد النفوس. أفتصطدن نفوس شعبي وتستحيين أنفسكن وتنجسنني عند شعبي لأجل حفنة شعير، ولأجل فتات من الخبز لإماتة نفوس لا ينبغي أن تموت، وإحياء نفوس لا ينبغي أن تحيا؟ هكذا قال السيد الرب - ها أنذا ضد وسائدكن التي تصطدن بها النفوس، وأمزقها عن أذرعكن وأطلق النفوس، وأمزق مخداتكن، وأنقذ شعبي من أيديكن، فلا يكونون في أيديكن للصيد، فتعلمون أني أنا الرب.

والقوانين التي انطوت عليها تعاليم الشريعة الموسوية بشأن البغاء بالغة القسوة بحق من يرتكب الفعل، وإذا كان النصح والترغيب والتهديد والزجر والنهي والتحريم لم توقف استشراء أمر البغاء بين بني إسرائيل. فقد عُمد إلى العقوبات الجسدية التي تتدرج من الضرب إلى الجلد على ملأ من الناس حتى تصل حدّ القتل.

لا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك، فتتنجس بها، ولا تضاجع ذكراً مضاجعة أنثى.

ونظراً لاقتران الزنا بالدنس فقد حفلت مواضع كثيرة في التوراة بالنهي عن إتيان هذا العمل، أو دفع الغير لإتيانه.

لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى، لئلا تزني الأرض وتمتلىء الأرض رذيلة (الإصحاح التاسع عشر).

إذا زنى رجل مع امرأة، فإن زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية «الإصحاح العشرون».

إذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه فإنهما يقتلان كلاهما، دمهما عليهما.

إذا اضطجع رجل مع كنّته، فإنهما يقتلان كلاهما، فقد فعلا فاحشة، دمهما عليهما.

إذ اضطجع رجل ذكر اضطجاع امرأة، فقد فعلا رجساً، إنهما يقتلان، دمهما عليهما.

إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان، الرجل والمرأة ليُنتزع الشر من بني إسرائيل.

البغاء في العهد الجديد، الإنجيل

يجد المدقق في الإنجيل إشارات موجهة نحو الزنى والبغاء وهي تعتبر قليلة نسبياً قياساً لما احتوى عليه سفر التوراة من فصول حول هذا الشأن ورغم هذا القليل نجد أن هناك قسوة بالغة في بعض المواقع، وتسامحاً «بالغاً» في مواضع أخرى، حتى ليخيّل للمرء أن هناك نوعاً من التناقض في المسلكين.

ففيما يتجاوز السيد المسيح «الاتصال الجنسي» ويمد فعل الزنى حتى على النظر. «من نظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها» يعود في موضع آخر ليغفر للبغي ويصد عنها العقوبة التي جاء «المجتمع» ليوقع عليها، كانت يدك تعثرك، فاقطعها

والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.

إشارات في الإسلام

لو تمعّنا مليّاً بما جاء به القرآن من أحكام وعقوبات بشأن البغي وعملية البغاء وقارنّاها بما هي عليه في التوراة والإنجيل لرأيناها «الأحكام والعقوبات» أقل صرامة وأقل إيذاءً. فلم تبلغ عقوبة الزاني أو الزانية القتل، كما في الأديان الأخرى، حتى في حالة ثبوت التهمة.

لقد اكتفت أحكام الإسلام بالجلد، تعزيراً وتخويفاً وعبرة، وهي ساوت بين الرجل والمرأة في هذا الموقع، فكلاهما يجلدان. ولقد اقتضى إنزال العقاب بالزاني والزانية شرطاً صعباً للغاية، بل إنه يكاد يكون مستحيلاً فلأجل إثبات التهمة لا بد أن يشهد على عملية الزنى «أربعة شهود» وهذا محال من الناحية التطبيقية العملية إلّا في حالات نادرة جداً. فالخلوة التي تجمع بين رجل وامرأة بقصد المضاجعة، والاحترازات «الاحتياطات» التي يحرص على اتخاذها الاثنان - لا توفر هذا العدد من الشهود - أربعة إلّا نادراً... وغالباً ما تسقط التهمة قبل أن تُرفع، كذلك لم توقع أحكام الدين الإسلامي العقوبات الشديدة على البغيّ، فقد اكتفى بنهي أولياء الأمور على إرغام فتياتهن على البغاء، وزاد عليه بأن تسامح مع من أرغم فتاته - زوجته أو ابنته أو أخته - شرط أن يستغفر عن ذنبه ويتوب إلى اللّه، واللّه هو التوّاب الرحيم.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[1].

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾[2].

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية ١٦.
(٣) سورة النساء، الآية ١٩.

إشارة إلى أن الإسلام فرّق بين حقوق الزوجة عند الطلاق أو التفريق، وبين اللواتي يأتين الفاحشة وغيرهن، فأهدر حقوق اللاتي أتين الفاحشة، وحافظ على حقوق المحصنات، فإذا أُحصِنَّ ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ﴾(1).

وإذا كانت أحكام القرآن قد أهدرت بعض حقوق اللواتي يأتين بالفاحشة «المادية العينية»(2).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(3)، والغريب أن هذه الآية توسطت آيتين تضمنتا أحكاماً بالقتل.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾(4).

ولهذا التوسط بين حكمين يقضيان بعقوبة القتل دلالاته البعيدة حول نظرة الإسلام نحو البغاء، ناشداً التوبة مشجعاً على التعفف ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾(5).

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾(6).

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾(7).

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(8).

---

(1) سورة النساء، الآية ٢٥.

(2) انظر سورة النساء، الآية: ٢٥.

(3) سورة الإسراء، الآية٣٢.

(4) سورة الإسراء، الآيتان ٣١ ـ ٣٢.

(5) سورة النور، الآية: ٣٣.

(6) سورة النور، الآية: ٣٠.

(7) سورة النور، الآية: ٣١.

(8) سورة النور، الآية: ٣٣.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

ولقد تضمن القرآن صفات المؤمن بالتعفف، مع صفة إتيانه فروض الإسلام الأخرى، كالزكاة، والصلاة، والإعراض عن اللغو، وكل ما يشين.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[3].

ولقد حمت أحكام القرآن المرأة المحصنة، وشجبت رميها بالفاحشة جزافاً أو شبهة، بوضع شروط وعقوبات لمن يرمي التهم دونما إثبات.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[4].

ولقد ردّت أحكام القرآن عن الزوجة العقاب بالشبه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[5].

وتوعّد القرآن أولئك الذين يحاولون خلق البلبلة بإطلاق التهم جزافاً بالعذاب الشديد.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٤.

(٥) سورة النور، الآيات: ٦ ـ ٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٣].

ولأن البغاء/الزنى، صنو الخبث والفاحشة والرذيلة، فقد نفى القرآن هذه الصفات عن مريم العذراء وأم مريم.

﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٤].

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[٥].

قبل إقفال هذا الملف (البحث) وخاصة ما يتعلق منه بتناسي البعض للدور الذي لعبه مرور الوقت في اختلاط المفاهيم المسلمة (أو جزء ربما كبير منها على الأقل)، الأصيلة بالعادات والأعراف السابقة والداخلة فيه بحيث بات من الصعب لدى العامة وربما الكثير من الخاصة أيضاً التمييز بين هذه وتلك ارتأيت أن أختم بالإشارة إلى ما جاء على لسان الشيخ خلدون عرعِط على صفحات صحيفة «اللواء» حيث يقول أما المؤثرات الخارجية فهي متعددة ومتنوعة، منها الهندية والفارسية والمسيحية.

أما عن التأثيرات الفارسية فقد جاء على لسان الشيخ عبد القادر السهروردي: (وكان في الفرس أمة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون. حكماء فضلاء غير مشبهة المجوس قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق أفلاطون ومن قبله في الكتاب المسمى بحكمة الإشراق، ويطبق عليها الفرس لفظة «الخميرة الأزلية» ولما نشأت العلاقة بين العرب والفرس على أثر دخول الإسلام إلى بلاد فارس

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) سورة مريم، الآية: ٢٨.

(٥) سورة مريم، الآية: ٢٠.

توطدت الصلة بينهما وحمل الفرس معهم إلى الدين الإسلامي الجديد بعض عاداتهم وطقوسهم ويتابع (الشيخ السهروردي) وبعد هزيمتهم في القادسية دخلوا في الدين الجديد مع تراثهم وحضارتهم وثقافتهم العريقة.

التأثيرات المسيحية

عرفت المسيحية ورهبنيتها في الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها قبل انتشار الإسلام وكان العرب في جاهليتهم ينظرون إلى الرهبان بكثير من الاحترام والإجلال. فلما بزغ فجر الإسلام في جزيرة العرب وانتشر أتباعه لم يجدوا في المسيحية ومن أتباعها بداية إلّا التفهم والتلاقي ومن خلال هذا التفهم والتلاقي قالت بعض طرق التصوف في وقت متأخر بالحلولية وهي المنطلقة من المفهوم المسيحي لطبيعة سيدنا عيسى عليه السلام والذين يعتقدون أن له صفتي الناسوت واللاهوت، وقد قال الحسين بن منصور الحلاج وهو من كبار رجال التصوف الإسلامي بالحلولية كذلك ويظهر ذلك بقوله:

أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنـــا
نـحـــن روحـــان حـلـلـنـــا بـــدنـــا
فـــإذا أبـــصـــرتـــنـــي أبـــصـــرتـــه
وإذا أبـــصـــرتـــه أبـــصـــرتَـــنـــا

وقد سار في هذا التوجه العديد من المتصوفة وأقطابهم مما دفع العلماء المسلمين للتصدي لمثل هذه المؤثرات الحلولية لمعارضتها لأسس العقيدة الإسلامية، كما أن هناك الكثير من المؤثرات اليونانية في حركة التصوف الإسلامي من خلال ما نقله المسلمون من علوم وترجموا من كتب إلى اللغة العربية وخاصة كتب أرسطو وأفلاطون ويمكن معرفة الأثر اليوناني في أفكار وطروحات «ذي النون المصري» من خلال كتب (ديونيسوس) الذي من أبرز آرائه أن معرفة اللّه بالعقل غير ممكنة.

أيضاً كان لتعرف المسلمين على بلاد الهند مع بداية القرن الثاني للهجرة واعتناق الكثير من أهل البلاد للإسلام أثر متبادل من خلال التبادل أو الاندماج الثقافي. ما أشرنا إليه يدعم قولنا الذي هو لبّ البحث.

ملحق إنهاء الدراسة
(حول نظرة الديانات الأخرى للمرأة)

بعد هذه الجولة وحتى نكون أكثر قرباً من الموضوعية في بحثنا هذا ارتأينا أن نعرض لحال المرأة في مرآة الأديان «الشرائع» التالية:

المرأة عند صابئة العراق

باختصار إن شريعة الصابئة لا تحضُّ ولا تشجع على العزوبة، وفي شريعتهم المعدَّلة، وبحسب الليدي «جاروور» وهي الرحّالة والباحثة والعالمة الاجتماعية إن الصابئة المعاصرين يقرّون بتعدد الزوجات كما صرّح أحد الكهان ويسمى «كنزفرة» وهو يقتني أكثر من امرأة. «قال ليس للرجل غير المتزوج من جنّة في الآخرة.. ولا من جنَّة في الدنيا - ولو لم تخلق المرأة ما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء... إنها الجنّة ولهذا أصبح للرجل إمكانية الزواج من النساء قدر ما يشاء وبقدر ما تسمح له إمكاناته.

أما طلاق المرأة عند الصابئة فله شروط. منها إما إهمالها في واجبات الطهارة أو أن خطاياها الأخلاقية خطيرة(؟). أما اللافت في شريعة الصابئة فهو أنه لا يحق للمرأة (المطلّقة) أن تتزوج ثانية، وإن حصل فزواجها يمكن أن يتم على يد كاهن خاص بهؤلاء الخارجات على الأخلاق والقيم ويسمى «أبيسق» فللكنزفرة حق التطليق والتفريق، وللبيسق حق تزويج المطلقات لأسباب أخلاقية.

الديانة الكونفوشيوسية

أما كونفوشيوس «صاحب الديانة الإنسانية» الذي ظهر بعد ركب عظيم من الحكماء الصينيين وكان ذلك قبل ألفين وخمسمائة سنة عندما كان يعيش في إقليم «لو» بمنطقة «شو» القريبة من نهر «هوانجهوا» رجل اسمه «شوليانج هيه» وهو من

سلالة ملكية. أنجب من زوجته الأولى تسع بنات، وكانت التقاليد تقضي أن يعبد البنات أسلاف أزواجهن حين يتزوجن. وكان «تشو» يتمنى أن يكون له ولد ذكر، وعندما بلغ سن السبعين تزوج من فتاة صغيرة أذاقته طعم الحياة فطرح ذَكَرُهُ طفلاً ذكراً أسمياه تشيمو وكان ذلك في عام ٥٥١ قبل الميلاد.

قصة الخلق عند الشنتو (في اليابان)

أصدر شيوخ الآلهة من الجيل السابع أمرهم إلى إلهين شابين هما «إيزاناجي» و«إيزانامي» بأن يخلقا الأرض ويقيما الحياة عليها. وهبط الإلهان الشابان على جزيرة «أناجورو» ولم يعرفا كيف يتزوجان وكيف تكون العلاقة الجنسية «الاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى» إلى أن شاهدا ما تصنعه الضفادع في الماء وفوق حبات الرمال. وأخذ بهما العجب وهما يكشفان سرَّ اتصال الذكر بالأنثى وبدأت تملأ رأسيهما فكرة جديدة لم يعرفاها من قبل.. لماذا لا يفعلان كما فعل الضفادع، وقد كان وأنجبت «الجميلة إيزانامي» أربعة آلاف ومائتين وأربعة وعشرين ابناً هم مجموع جزر اليابان.

الديانة الجينية:

هي ديانة من ديانات الهند «ويبلغ تعداد معتنقيها حوالى مليوني نسمة» تقول إحدى طوائفها المعروفة باسم «السوتيامبر» المنبثقة من عقيدة مهاويرا إنه «لا حظَّ للنساء في النجاة ما دمن في قوالب النساء، ولا يمكن لهنَّ الخلاص إلّا إذا دخلت أرواحهن في قوالب أخرى».

أما عند الهندوس

فقد جاء في شريعتهم «منّوسمرتي» عن المرأة.

«إنه لا تليق الحرية المطلقة بالمرأة قط، بل يجب أن يرعاها أبوها في صغرها وزوجها بعد ذلك وابنها في كبرها».

ويجب على المرأة وهي صغيرة، وشابة أو مسنّة ألّا تعمل عملاً ولو داخل دارها بمطلق إرادتها وحريتها، بل يجب أن تكون تابعة فتابعة فتابعة.

حتى سلوكها الديني «العبادات» من صلاة وصوم لا تؤدّيها إلّا من خلاله... وشرعهم يرى أن على المرأة أن تطيع زوجها حتى العبودية، حتى لو كان منحرفاً وغير صالح كزوج. إنه مجتمع ذكوري بكل ما في الكلمة من معنى.

وهم يقولون إن على المرأة أن تطيع زوجها كإله ولو كان عارياً من كل فضيلة وحتى لو كان يميل إلى غيرها. والمرأة عند الهندوس لا تنال الفردوس الأعلى إلّا بإطاعة زوجها وبرضاه عنها وموافقته على دخولها الفردوس.

وهم في هذا يقولون:

«قد فطر النساء على إغراء الرجال، فعلى العقلاء أن يحذروهن، إن في استطاعة النساء استهواء حتى العلماء من الرجال وجعلهم عبيد الهوى والغضب، ويضيفون قائلين: «إن وطء الحائض من النساء يُذهب العقل والنشاط والقوة والجمال وباختصار إنه يضيّع الحياة كلها. أما اللافت فيما تقوله شريعتهم من أنه يمنع على المرأة دراسة الفلسفة وكتب الدين «الويدا».

نخلص مما سبق إلى أن المرأة في الهند «عند الهندوس» تعيش وليس لها خيار سواء كانت بنتاً عزباء، أو زوجة، أو عجوزاً. وليس لها أن تستقل أبداً فهي في عهدة أبيها ثم زوجها ثم أبنائها.

ويبقى السؤال.

هل أن المرأة خلقت لتكون أداة للمتعة؟ أم أنها تمثّل قيمة إنسانية؟

المراجع والمصادر المعتمدة لهذه الدراسة

١ ـ علم نفس الشواذ، والترج. كوفيل ـ تيموثي ـ فابيان ل. روك ـ د. كوستيللو ـ ترجمة د. محمود الزياري ـ د. محمد السيد خيري ـ جامعة عين شمس.

٢ ـ علم نفس الانحراف، د. سليم نعامة.

٣ ـ سيكولوجية المرأة، د. باسمة الكيال.

٤ ـ حق المرأة، السيد عزيز السيد جاسم.

٥ ـ المرأة والجنس، د. نوال السعداوي.

٦ ـ أحاديث، الدكتور محمد سعيد عوض.

٧ ـ حياتنا الجنسية، د. صبري القباني.

٨ ـ علم النفس التربوي، د. أحمد زكي صالح.

٩ ـ السيكولوجية النفسية، د. مصطفى غالب.

١٠ ـ مباحث علم النفس الجديد، ترجمة محمد السلمان.

١١ ـ سيكولوجية الشذوذ الجنسي، سيجموند فرويد.

١٢ ـ المرأة والصراع النفسي، د. نوال السعداوي.

١٣ ـ علم النفس الإكلينيكي، عكاشة.

١٤ ـ الحب والجنس، محمد كمال اللبواني.

١٥ ـ المسكوت عنه، وليد منسي.

١٦ ـ روضة الورد، سعدي الشيرازي، ترجمة محمد الفراتي.

١٧ ـ أصول المعاشرة الزوجية، محمد أمين الصناوي ـ الشيخ محمد كنعان.

١٨ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بركلمن.

١٩ ـ الجنس في العالم القديم، بول فريشاور.

٢٠ ـ تحفة العروس ونزهة النفوس، محمد أحمد التيجاني.

٢١ ـ حقوق الزوج والزوجة، صلاح سيف الدين.

٢٢ ـ اللقاء بين الزوجين في الكتاب والسنّة.

٢٣ ـ فقه اللغة، لأبو منصور.

٢٤ ـ واجبات الزوجة الجنسية، كارل بلانشه.

٢٥ ـ تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي.

٢٦ ـ الإرهاب السياسي، د. أدونيس العكرة.

٢٧ ـ البخلاء للجاحظ ١٥٩ ـ ٢٥٥هـ. ٧٧٥ ـ ٨٦٨م.

«إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ـ أبرويز بين هرمز ـ ابن أبي كريمة ـ أبو الأحوص الشاعر ـ أبو الإصبع بن ربعي ـ ابن سيرين ـ ابن سافري».

٢٨ ـ إحياء علوم الدين، ابن حامد الغزالي.

٢٩ ـ أخبار النساء، ابن قيّم الجوزية.

٣٠ ـ أدب السيوطي ـ جلال الدين.

٣١ ـ أدب النساء في الغاية والنهاية.

٣٢ ـ الإسلام والجنس، عبد الوهاب بوحديبة.

٣٣ ـ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني.

٣٤ ـ الأحالي، أبو علي إسماعيل القالي.

٣٥ ـ الإيضاح في أسرار النكاح، العبد الرحمن بن نصر عبد الله الشيرازي.

٣٦ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، «؟».

٣٧ ـ تحفة العروس ومتعة النفوس، محمد بن أحمد التيجاني.

٣٨ ـ تاج العروس من جوهر القاموس، الزبيدي.

٣٩ ـ الحياة الجنسية عند العرب، د. صلاح الدين المنجد.

٤٠ ـ جوامع اللذّة، علي بن نصر السمناني.

٤١ ـ الروض العاطر في نزهة الخاطر، جمال جمعة.

٤٢ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيّم الجوزية.

٤٣ ـ بلاغات النساء، ابن طيغور.

٤٤ ـ الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصبهاني.

٤٥ ـ الإيضاح في علم النكاح، تونس.

٤٦ ـ رشف الزلال من السحر الحلال، الولايات المتحدة الأميركية، لا مؤلف ـ ولا تاريخ.

٤٧ ـ شقائق الأترنج في رقائق الغنج، عادل العامل.

٤٨ ـ غاية الإحسان في خلق الإنسان، وزارة الثقافة العراقية سنة ١٩٨٩.

المراجع والمصادر الأجنبية

«مبدأ الإيمان في الإسلام» ـ

1 - Zwemer - 1919
2 - Goldsak - 1919.
3 - Hanna - 1975.
4 - Douglas - 1975.
5 - Zwemer - 1920.
6 - Anderson - 1970.
7 - Barnet - Movation - The Bases of cultural change - New York - 1935.
8 - Lewis Bernard - Islam from the prophet Muhammad to the capture of constantinople - Sanfromcisco - 1974.
9 - Mcnee, Peter - Orucial issues in Bangladesh - South Pasadena - 1972.